



دكتور  
رفيقي زاهي  
أستاذ الفلسفة المساعد  
بجامعة الأزهر

# قصة لادمان

## دراسة تاريخية مقارنة

الطبعة الأولى

١٩٨٠ - ١٤٠٠ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ، فلا يزال الجدل حول الأديان السماوية يتجدد ، ولا يزال الصراع بين أتباع هذه الأديان يمثل مركز الصدارة على المستوى الفكري والنفسي كلما تهيأت دوافع وأسبابه ، وكثيراً ما تنهأ هذه الدوافع والأسباب . وقد يستتبع الصراع الفكري والنفسي أنواعاً أخرى من الصراع تهدد أمن العالم وصلاحه .

ونحسب أن أتباع الأديان السماوية على وجه الخصوص لو تجردوا من نزعة التعصب المذهبي فظفروا في أديانهم نظرة موضوعية محايدة لالتقى الجميع على كلمة سواء .

ولاشك أن في اقدام مصر على السلام مع إسرائيل ، وتفكيرها في إنشاء مجمع يمثل الأديان الكبرى الثلاثة ، لاشك أن في ذلك كله ما يقتضى تعرف أبناء كل دين على الدينين الآخرين عن طريق القراءة الواعية ، والمناقشة الهادئة ، والمقارنة الدقيقة .

ومن يدري ربما انتهى الصراع الديني إلى لقاء على الحق - كما انتهى الصراع العسكري إلى صلح على الأرض .

ومن يدري ربما كان السلام القائم على العدل في دنيا السياسة سبيلاً إلى الإسلام القائم على العقل في مجال الدين .



أمل تم فو إليه المشاعر ، وتناجي برأعيته الخواطر ، وينبغي أن تلتقى عليه الضمائر . فإن تحقق الأمل البعيد ذات يوم فلا حرج على فضل الله . وإن اعتمد بحسن النصب على مناعته ، أو ارتطم بصخر التقليد على رسوخه أو تبدد في ضياع الجهل على امتداده ، فما على المحسنين من سبيل ، ولا على الحالمين من جناح .

وهذه الدراسة السريعة تهدف إلى تقديم العقائد اليهودية ، والنصرانية من خلال الكتب المقدسة لهاتين الديانتين ، مع بيان موقف الإسلام من هذه العقائد . كما ستلم الإماماً يسيراً بطرف من الأديان الوضعية كي تكتمل ملامح الصورة . وعسى أن تسهم هذه الدراسة المتواضعة في مساعدة الباحث المنصف على عقد المقارنة الموضوعية بين الأديان للوصول إلى الحق ، أو على الأقل عسى أن تقرى هذه الدراسة بالرجوع إلى الكتب المقدسة لتسكون أساس المقارنة العادلة .

والله ولي التوفيق ؟

١٨ من المحرم ١٤٠٠ هجرية ٨ من ديسمبر ١٩٧٩

الدكتور رفي زامر

## الفصل الأول

### الإنسان والدين

#### ١ - هل الإنسان في حاجة إلى الدين؟

سؤال يتكرر في الآونة الأخيرة على ألسنة الملاحدة والمفكرين في ضرورة الأديان - وإذن فالذي يدرس القضية بما ينبغي لها من التجرد والحياد لا يسعه إلا أن يقرر حاجة الإنسان الملحة إلى الدين على المستوى الفردي والجماعي على السواء .



## ( أولا )

### على المستوى الفردى

أيا كان وضع الإنسان في -مستواه العقلى والثقافى وفى مركزه المادى والاجتماعى ، فلا بد أن تلعب فى أعماقه ومضة الدين وتنعكس على سلوكه إشرافه الإيمان .

قد يستغنى فى حياته عن مظاهر الحضارة والعمران ، ويتجرد فى علاقته عن أصول اللياقة والذوق ، ويتعاطل فى تفكيره من مبادئ الفلسفة وقوانين المنطق ولكنه سيظل دائماً يسمع صوت الدين يهتف به ، ويحس قلبه يهتج فى روحه .  
قد يكون الصوت خفيضاً هامساً ، وقد يكون القهس ضئيلاً خافتاً ، ولكنه جزء من النفس لا يفصل وأثر على السلوك لا يغيب .

وقد ذكر بعض العلماء أن الدين غريزة فطرية ، أو دافع أولى كدوافع الأكل والشرب والجنس .. فلا يحيد للإنسان عنه مادام فيه قلب ينبض ، ونفس يتردد .

وبقطع النظر عن فوارق الثقافة والحضارة والطبقة الاجتماعية .

ونحسب أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك بعرض المطالب الأساسية للإنسان فى قوله سبحانه : « ولعلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الصخرة فتكرونا من الظالمين (١) » ،

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٥ .

فالأية تشير إلى السكن والاكل والجنس ، وتنبع ذلك بالتسكين الشرعى الذى لا يقل عن قراءته أهمية فى تحقيق نعيم الحياة .

يقع الإنسان فريسة المرض فينتجه إلى التشخيص ، ويلمص العلاج . فإذا ما فطنت جهود الأطباء وعجزت حيل الأحياء ، ولم يقد الطب والدواء - ضرع إلى معبوده فى محنته ، ينشد لديه الرحمة والطف فيتنفجر فى أعماقه ينبوع الأمل الذى تسكن إليه نفسه ويستريح خاطره .

ومكذا فى سائر ما يواجهه المرء من شدائد العيش وخطوب الحياة - لاسيما حين يعجز التدبير البشرى عن مقتضيات المواجهة .

لأنه يستعين بقوة أكبر من قوته . ويتدبر أعظم من تدبيره ، فيبسط أكف الضراعة بمحنته القاسية ، وآماله الغالية إلى من يملك وحده صنع المعجزات ، وفعل الأعاجيب .

وإلى هذه الحقيقة يشير قوله سبحانه و قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية إئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ، (١) .

وقوله ه هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم أريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين إئن أنجيننا من هذه لنكونن من العاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبنون فى الأرض بغير الحق ، (٢) .

---

(١) سورة الانعام الآيتان ٦٣ ، ٦٤

(٢) سورة يونس الآيتان ٢٢ ، ٢٣

حتى ذلك الذى احتكر لنفسه منصب الألوهية اغتراراً بملكه وجاهه لم يملك  
في لحظة الضعف الإنساني إلا أن يلقي بنفسه الهالكة في أحضان الإيمان .

ونقصد بذلك ( فرعون ) الذى لم يفتأ يردد : يا أيها الملا ما علمت لكم من  
إله غمري حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو  
إسرائيل وأنا من المسلمين .

وكما يهرع المرء إلى معبوده استدفاعاً للنقمة ، فكذلك يهرع إليه استجلاًبا  
لنعمة مرجوة ، أو استيقاء لنعمة قائمة .

بل لقد عبد الإنسان كل ما ظنه مصدر نعمة أو نقمة ، تحدوه في ذلك الرغبة  
في العطاء أو الرهبة من البلاء .

فعبد البحار ، والأنهار ، والكواكب ، والنجوم ، والشجر والحجر ، والنار  
لذلك حرّس القرآن على أن يبين للناس أن هذه الأشياء ونحوها جارية في أغراضها  
حسب التسخير الإلهي لخير الإنسان .

من ذلك قوله تعالى : وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم  
الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم  
من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، (١) .

وقوله : وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك  
لآيات لقوم يتفكرون ، (٢) .

ويذكر علماء الاجتماع أن الإنسان البدائي حين واجه الظواهر الكونية

---

(١) سورة إبراهيم الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٢) سورة المجادلة الآية ١٣

الرهيبة كالزلازل والفيضانات ، والبراكين وحار إدراكه القاصر في تفسيرها  
ربطها بالقوى الخفية التي كانت جذيرة لديه بالمعبادة والتعبد .

خلاصة القول أن القلق هو الذي يفجر في النفس طاقة الإيمان نشدانا للسكينة  
والتماسا لراحة البال واستقرار الضمير . سواء كان مصدر القلق هو مواجهة  
النقمة أو الحرص على النعمة أو الرغبة في المعرفة .

وهذا هو ما كان يقصده ( كبير كجورد ) حين قرر أننا لو استسلمنا أن نتزعج  
ما في النفوس من قلق أمكننا أن نغلق الكائنات أو نحولها إلى مراقص وحانات .  
ويقتاسب الإيمان والسكينة تناميا طرديا . فكلما زاد حظ المرء من  
الإيمان - زاد حظه من السكينة حتى ليصل إلى مستوى لا تهره فيه رغبة  
أو رهبة . وهذا هو التثبيت المشار إليه في قوله سبحانه ، يثبت الله الذين  
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، (١) .

ومن مظاهر هذا التثبيت ما نقله إلينا رواية السيرة عن الرسول ﷺ وهو  
في غار ثور وقد أحاط به المشركون وفي صدر كل منهم مرجل يغلي بالحقد  
وشيطان يتحفز إلى للانتقام - فقد قال أبو بكر لرسول الله ( والله لو أن  
أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا ) .

فرد عليه الرسول الكريم ( يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحون  
إن الله معنا ) .

ويكشف هذا الموقف عن الفرق بين الإيمان البكري والإيمان الحمدي .

فالأول يهوبه شيء من القلق والاشفاق على محمد ودينه كما عبر أبو بكر نفسه .



والثاني تجميع فيه الثقة والسكينة التي أشرنا إليها وأشار إليها القرآن في قوله  
« فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » (١) .

ومما يؤكد ما قلناه من تناسب حظ المرء من السكينة مع حظه من الإيمان  
ما يرويه القرآن الكريم عن موسى عليه السلام قبل النبوة وبعدها .  
فقد صدره قبل النبوة نهبا لمهاجر التهيّب والخوف أحيانا كثيرة ، أو نهبا  
لمواقف الانفعال الحاد والاندفاع السريع في بعض الأحيان .

يشير القرآن إلى هذا الاندفاع في قوله تعالى « ودخل المدينة على حين غفلة  
من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي  
من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه . قال هذا من عمل  
الفيضان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو  
الغفور الرحيم » (٢) .

ولكن سقطة موسى توشك أن تقع ثانية على رغم استغفاره من السقطة  
الاولى وخوفه من أن يتعرض للثأر .

وإلى ذلك الإشارة في قوله سبحانه « فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا  
الذى استنصره بالأمس يستصرخه ، قال له موسى إنك لغوى مبين ، فلما أراد أن  
يبطش بالذى هو عدو لما قال به موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن  
تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » (٣) .

وهو حين قيل له « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » خرج من مصر خائفاً  
يترقب . وهو حين رأى عصاه قد تحولت إلى ثعبان مبين امتلاً خوفاً حتى سمع  
نداء الحق « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين » .

(١) سورة التوبة الآية ٢٦ (٢) سورة القصص الآيتان ١٤ ، ١٥

(٣) سورة القصص الآيتان ١٧ ، ١٨ .

وحين كانه ربه بدعوة فرعون وملئه إلى الإيمان - قال معبراً عن مخاوفه  
 « رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح مني  
 لساناً فأرسله معي ردئاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون » (١)

حتى حين أجيب مطلبه بإشراك هارون معه في دعوة فرعون وملئه لم يزياله  
 الخوف فقال مع أخيه « إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » . قال « لا تخافا  
 لأنني معكما أسمع وأرى » (٢).

كذلك حين التقى موسى بسحرة فرعون وألقوا جبالهم وعصيهم وخيل إليه  
 من سحرهم أنها تسمى تملكه الخوف على الرغم من تجربته السابقة مع عصاه .  
 وقد وصف القرآن حال موسى في قوله سبحانه « فأوجس في نفسه خيفة  
 موسى » . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما  
 صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » (٣) .

هكذا كان شأن موسى قبل النبوة وإبانها - فانظر إليه وقد رسخت قدمه  
 في المعرفة وعظم حظه من الإيمان - كيف انقلب خوفه إلى سكينته لا تهزها  
 العواصف واستحال تردده إلى عزم لا تزله المخاطر والأهوال .

ونذكر من ذلك موقفه حين خرج ببني إسرائيل من مصر - فقد اتبعه فرعون  
 وجنوده - ورأى أصحاب موسى أنفسهم محاصرين بين خطرين ليس إلى تفاديهما  
 من سبيل - البحر أمامهم والعدو من خلفهم - ومع ذلك لم يفقد موسى ثقته  
 وسكينته ، وواجه لحظة الخطر الدام بقوة قلب استمدتها من قوة الإيمان .

وندع القرآن الكريم يصور هذا الموقف إذ يقول « فلما ترآه الجمعان قال  
 أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين » (٤) .

(١) سورة القصص الآيات ٢٢ ، ٢٤ (٢) سورة طه الآيات ٤٤ ، ٤٥

(٣) سورة طه الآيات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ (٤) سورة الشعراء الآيات ٦١ ، ٦٢

وكما يجلب الإيمان السكينة - فكذلك تجلب السكينة الإيمان - وهو ما يفهم من قوله عز وجل :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »<sup>(١)</sup> ،

وقوله عن أم موسى وقد ألقت برضيعها إلى اليم استجابة لأمر الله « فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »<sup>(٢)</sup>

والربط هو السكينة فالإيمان والسكينة يتجاذبان فى تفاعل دائم ، ويرتبطان معا برباط وثيق . وبقدر حاجة المرء إلى السكينة فى مواجهة مصادر القلق والحيرة - كانت حاجته إلى الإيمان الذى يحققها - بل وهو أفوم سبيل إليها وإن كثرت السبل العوجاء .

يتبين من هذا إلى أى حد تشند حاجة الفرد إلى الدين كضرورة نفسية ملحة لتبديد قلقه وشكوكه ، وحل عقده ومشكلاته .

أو بتعبير آخر تتبين حاجة الفرد إلى الدين لتحقيق سكينته النفسية .

## (ثانياً)

### على المستوى الاجتماعى

فإذا ما تجاوزنا دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة - وجدنا الإيمان فى نفس هذا المستوى من الأهمية .

ويرجع هذا إلى ثلاثة اعتبارات مختلفة نعرض لها فيما يأتى :

أولاً : إن الجماعة فى الواقع ليست شيئاً أكثر من الأفراد الذين ينتسبون إليها فهم بمثابة بنيان ينزل الأفراد منه منزلة اللبنة - أو بمثابة جسم حتى ينزل الأفراد منه منزلة الخلايا والأعضاء .

ولا شك أن قوة البنيان تكون بقوة لبناته .

كما أن سلامة الجسم تكون بسلامة خلاياه وأعضائه .

كذلك إذا كان كل فرد متمتعاً بالسكينة - أدى ذلك إلى قوة الجماعة وتماسكها واستقرارها النفسى - فيقوم كل فرد فيها بوظيفته الاجتماعية على خير الوجوه .

بخلاف ما إذا كان الأفراد فيها للخوف والقلق والازمات النفسية - فإن الجماعة تفقد حيوية وتماسكها وتتخلف عن مسيرة الركب القادر على المضى والانطلاق .

ثانياً : إن التدين فى حقيقته رابطة ذات وجهين .

فهو يربط للره بالإله الذى يدين له بالتقديس .

وهو فى الوقت نفسه يربطه بالجماعة التى تهتلك معه فى تقديس هذا الإله .

والوجه الثاني من وجهى الرابطة هو سر تماسك الجماعات المؤمنة وتفاعل أفرادها بما يحدث لكل منهم من مسرات العيش ، وأزمات الحياة .

وإذا كان علماء الاجتماع يكثر من الحديث عن هذا التفاعل المعصوى في جسم الجماعة ، وتماسك البنية الاجتماعية فيها ، فقد أشار النبي ﷺ في أكثر من حديث إلى هذه الحقيقة التى أنهى إليها الباحثون أخيراً .

وذلك كقوله : مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وزواجرهم كشل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسر والعلنى ، .

وقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، .

بل هكذا كان المجتمع المحمدى المسلم .

وعنه يتحدث القرآن إذ يقول : والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، (١) .

ثالثاً : يستحضر المؤمن الرقابة الإلهية عليه - فيدفعه ذلك إلى إيجابية الفعل والقول بدافع من المحبة والخوف - هذه الرقابة تقوم في توجيه السلوك بدور لا يقتضى لغيرها من الضوابط الإنسانية التى تضعها الجماعات بهــدف تنظيم العلاقات الاجتماعية .

ومن أمثلة هذه الضوابط نظريات الأخلاق ، ومبادئ العرف ، والقوانين .

---

(١) سورة الحشر الإيمان ٩ ، ١٠

بل إن المواطن الإنسانية نفسها لا تستطيع أن تحمل محل هذه الرقابة .  
فكثيراً ما يمتثال المرء على العرف ، ويهرب من قبضة اللوائح تحقيقاً لنفعه  
الشخصي .

وكثيراً ما تذبذب القيم السامية ، والمبادئ الرفيعة في تيار المصالح العاجلة  
أو تتهرب في أتون المنافع القريبة .

وأكد المس الفرق الهائل بين الرقابة الإلهية ورقابة العرف والعاطفة من حيث  
الآثر للترتب على كل منهما - أكد المس هذا الفرق في صراع قابيل وهابيل فقد  
كان أحدهما محكوما برقابة العرف العائلي ، وسلطة العاطفة الأخوية .  
بينما كان الآخر محكوما بالرقابة الإلهية التي لا تغيب عنه طريقة عين .

فلم يكن غريباً أن ينتهر قابيل فرصة غياب العائلة ، ونحوه الاحساس  
بالأخوة ليقتل أخاه هابيل الذي لم يفتر في نفسه الشعور برقابة الله إلى أن لفظ  
نفسه الأخير .

ويعرض القرآن هذه القصة بأسلوب غاية في الصفاء والشفافية فيقول : واتل  
عليهم نبأ إبنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر  
قال لاقتلك قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا  
ببأسط يدى إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي  
وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل  
أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ،<sup>(١)</sup> .

وبمناسبة المقارنة بين أثر الرقابة الدينية ، ورقابة العرف ، والقانون - نورد

---

(١) سورة المائدة الآيات ١٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

ما نشرته جريدة الأهرام بتاريخ ١٥/٩/١٩٧٨ تحت عنوان ( سارق يقطع يده بنفسه تحت عجلات قطار ) :

اتجه برازيلي إلى خط السكك الحديدية في مدينة سان باولو وانتظر مجيء قطار ثم وضع يده اليمنى على الشريط فر عليها القطار وقطعها ... وارتمى الرجل مغمى عليه .

جاءت الشرطة فقال الرجل بعد أن استرد وعيه أن اسمه : باتريستا مونيوزو وأنه أحد الذين اشتركوا في السطور على بنك صغير ، وصدر عليه حكم بالسجن سبع سنوات ، وأنه هرب من تنفيذ الحكم لمدة شهرين ومنذ أيام جاسس يقرأ في التوراة وعندما وصلت به القراءة إلى عبارة : قبل أن تلقى بك يدك في النار انقطعها . أسرع إلى شريط السكك الحديدية حيث قطع يده .

وهكذا فصلت قوة القانون ، وأجهزة الحكومة في ردع هذا السارق وتمذييه - بل لقد عجزت أمام حيله وتدبيره - فقد خدع السلطة ، وهرب من السجن .

ولكنه حين قرأ نصاً في كتابه المقدس لم يستطع أن يفلت من صرخات ضميره فراح ينزل بنفسه المقوبة التي رسمتها التوراة دون أن يصدر بذلك حكم قاض ، أو ينهض به جهاز تنفيذ .

والذي نحب أن نقرره هنا هو أن الدين ضرورة لإشاعة السلام الاجتماعي . كما أنه ضرورة لتحقيق السكينة النفسية - أي أنه ضرورة للفرد ، والجماعة على السواء .

من أجل هذا لم تخل جماعة إنسانية من دين ما يربطها ربطاً قوياً بما وراء الطبيعة حتى قال الفيلسوف الفرنسي المعاصر ( هنري ريجسون ) : ( قد نجد

مجتمعا ما ليس له علم أو فن أو فلسفة، ولـسـكن من غير الممكن أن نجد مجتمعا ليس له دين) .

ومن ثم فقد كثرت الأديان كثرة هائلة تقاسب مع ماضى من عمر الإنسانية المديد .

## ٢ - بين الأديان السماوية والأديان الوضعية

وتنقسم الأديان بشكل عام إلى قسمين متمايزين :

أديان سماوية أو إلهية أوحى بها الله إلى رسله لهداية الناس إلى الحق .

وأديان إنسانية أو وضعية استوحاها عقل الإنسان وخياله على مقتضى مصالحه الخاصة وضروراته الراهنة .

نذكر من الثانية الأديان الهندية والفارسية والصينية وأديان المصريين القدماء إلى آخر الأديان والمقائد ذات المصدر الإنساني أو الوضعي .

ونذكر من الأولى اليهودية والمسيحية والإسلام وهى الأديان السماوية الكبرى التى تحتل مكانا بارزا فى تاريخ الإنسانية .

والسمة التى تنقسم بها الأديان السماوية والوضعية هى ارتباطها جميعا بعنصر الغيب .

وبعد هذا الارتباط فارقا جوهريا بين الأديان من جهة - وبين الفلسفات والمذاهب العقلية من جهة أخرى .

فأى اتجاه عقلى أو نظام اجتماعى لا يستطيع أن يحمل المرء على ملاحظة مبادئه وأصوله فى غيبة الرقابة الإنسانية لاسيما إذا تعارض الاتجاه الفلسفى أو النظام الاجتماعى مع مصالح المرء ومنافعه الشخصية .

وهذا على العكس من الدين الذى يفرس فى نفوس أتباعه الاحساس الدائم برقابة المعبود وهدائه - تلك العدالة التى تقضى أن يحزى كلا من الخير والشر بمثله .



وعن هذا الإحساس ينشأ الضمير الأخلاقى الذى يحمل صاحبه على ممارسة الخير ومجانبة الشر احتساباً لرضا المعبود وثوابه أو خوفاً من أخذه وعقابه .  
والواقع أنه لا يوجد ضمان لآمن المجتمع وسلامه أقوى من هذا الضمان .  
ضمان الضمير الناشئ عن استحضار رقابة المعبود .

هذا ما يمكن أن يقال فى المفاضلة بين الأديان عامة وبين مجموعة الضوابط الإنسانية الأخرى من مذاهب الفلسفة ومبادئ الأخلاق وتقاليد البيئة وأصول الفرائض والقوانين .

أما ما يقال بصدد المفاضلة بين الأديان السماوية والأديان غير السماوية فهو :  
أولاً : عاصمة الأولى دون الثانية .

ذلك لأن الأديان السماوية صادرة عن الله عز وجل وهو الحق والحق لا يصدرو عنه إلا الحق .

بخلاف الأديان الإنسانية — إذ هى صادرة عن الإنسان وهو ملازم للنقص والقصور .

ثانياً قدرة الأديان السماوية دون غيرها على هداية أتباعها — ذلك لأن مخترع أى جهاز هو أعلم الناس جميعاً بما يصلحه وما يفسده .

وبما أن الله تعالى هو خالق الإنسان بل وخالق الكون — فلا شك أنه وحده العالم بدقائقه وخفاياه . ولا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، (١) .

فاذا أنزل ديناً ما لهداية الإنسان فريجات هيئات أن يدايه نظام آخر إلى تخصيص دأه ووصف دوائه .

من هنا كانت أهمية الأديان السماوية وضرورة التمسك بها والحرص عليها .

### ٣ - نظرة في الأديان السماوية

ثم إن هذه الأديان السماوية التي سبق حديثنا عنها تفتك كلها فيما يتصل بجانب العقيدة ( ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ، )<sup>(١)</sup>.

• شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، (٢) ،

• إنا أوحينا إليك كما أوحينا لى نوح والنبيين من بعده ، (٣) .

ولقد كان حجر الزاوية في دعوات جميع الأنبياء هو لإفراد الله تعالى بالعبادة والتفديس .

وبين القرآن الكريم إلى ذلك بصدده الحديث عن هذه الدعوات بنحو قوله سبحانه ، وإلى عاد أخام هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، (٤) .

• وإلى ثمود أخام صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، (٥) .

• وإلى مدين أخام شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، (٦) .

ثم تلى عقيدة التوحيد بما تستلزمه من وصف الله تعالى بسائر صفات الكمال عقائد النبوة والبعث والجزاء .

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢

(٢) سورة الشورى الآية ١٣

(٣) سورة النساء الآية ١٦٣

(٤) سورة هود الآية ٥٠

(٥) نفس السورة الآية ٦١

(٦) نفس السورة الآية ٨٤

وهذه العقائد كلها تسمى مشرك بين جميع الأديان كما أشرنا .

والى جانب العقيدة فى كل دين توجد الشريعة وهى مجموعة التكليف التى تنظم صلة الخلق بالخالق من جهة وتنظم صلة الخلق بعضهم مع بعض من جهة أخرى .

وقد أشار القرآن إلى فطرية العقيدة بقوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » (١) .

ومن هنا كانت الرسائل السماوية المتعاقبة فى مجال العقيدة تتكرار باستمرار تستهدف تذكير الإنسانية بميثاقها الأول مع الله كلما انحرفت بها جوانح الهوى عن سلامة الفطرة أو جمد بها طول العهد عن إدراك الحق .

أما فيما يتعلق بالشرائع فهى مختلفة باختلاف الرسائل - وليكنها مع ذلك متكاملة يكمل اللاحق منها السابق - كما أن السابق يمد لللاحق .

ذلك لأن كل شريعة تأنى متناسبة مع المستوى العقلى للجيل الذى نزلت له وملبية للطالب الحقيقية لهذا الجيل .

وعلى هذا فإن كل شريعة تعد أكل نظام بالنسبة إلى الفترة الزمنية والبيئة اللتين ارتبطت بهما فهو توقيت إلهى حكيم اقتضى أن تنزل كل شريعة فى حينها الخاص وفق الظروف العقلية والنفسية والاجتماعية التى تكون مناسبة تماماً .

ويبدو أن الشريعة كانت دائماً صنو العقيدة فى كل دين سماوى إذ لا نعرف ديناً سماوياً خلا من الأوامر والنواهي - أو من المطلوبات والمحاذير .

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٧٢ ، ١٧٣

وقد أشرنا من قبل إلى نهى آدم عن الأكل من الشجرة - كما سقنا الآيات التى تضمنت جانباً من التكليف فى شريعة آدم عليه السلام - وهى الآيات التى تتحدث عن صراع ولديه ( قابيل ) و ( هابيل ) .

والآيات المذكورة تدل على أن الديانة الأولى قد حرمت القتل واستحبت القربان وهما من الأمور الشرعية التى تقابل العقيدة .

بل إن تفسيرها ليشير إلى أول نظام شرعى للزواج يمد الالتزام به طاعة والخروج عليه معصية الأمر الذى يؤكد اشتغال الدين الأول على تكاليف شرعية إلى جانب العقيدة .

كذلك نجد فى رسالة لوط النهى عن إتيان الذكران .

ونجد فى رسالة شعيب النهى عن نقصان المكيال والميزان .

وفى القرآن كذلك إشارات كثيرة إلى وجود أصول العبادات الإسلامية فى الأديان .

ونكتفى بإيراد الآيات المتضمنة لذلك دون تعليق .

ورد على لسان إبراهيم ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ، (١) .

وعلى لسان عيسى ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، (٢) .

وقال سبعائه يخاطب موسى ، وأقم الصلاة لذكرى ، (٣) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٠

(٢) سورة مريم الآية ٣١

(٣) سورة طه الآية ١٤

وقال مخاطب إبراهيم ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود .  
وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، (١) .  
وورد في الصيام قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب  
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، (٢) .

وإذا كانت الإنسانية قد مرت في تاريخها الطويل بثلاث مراحل متدرجة  
وهي : مرحلة الطفولة ، ومرحلة الصبا ، ومرحلة الرشد .

فإن شرائع السماء قد نزلت متدرجة بما يتناسب مع مقتضيات كل مرحلة .  
ففي مرحلة الطفولة كانت الشريعة تشتمل على طائفة قليلة من التكاليف اليسيرة  
المجملية .

وفي صبا الإنسانية نزلت شرائع بنى إسرائيل حافلة بالتفاصيل والجزئيات -  
ولكنها مرتبطة بأقليم محدود وفترة معينة ، وجيل خاص - فلا تصلح لما عدا ذلك  
من أقاليم الأرض ، وأجيال الإنسانية وفترات الزمان .

حتى إذا كانت المرحلة الثالثة ، وبلغت الإنسانية رشدها العقلي ، والإجتاهي  
أنزل الله غائمة الشرائع متضمنة عناصر الصلاحية ، والبقاء لتكون شريعة  
الاجناس البشرية المختلفة الى يوم الدين .

ويقتضى ذلك أمرين اثنين : -

أحدهما أن تفصل هذه الشريعة على ما في الشرائع السابقة من مقومات  
الكمال .

والثاني أن تتضمن كالات أخرى تناسب مع ما تقرر من صلاحيتها لكل  
زمان ، ومكان .

---

(١) سورة الحج الآيتان ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣

وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما  
بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه » (١) .

فالشرائع السماوية إذن لا تتناقض ولا تتعارض في جوهرها العام - وإن وقع  
بينها الاختلاف تبعاً لاختلاف الظروف .

ولأننا يقع التناقض ، والتعارض نتيجة التحريف ، والتزييف ، أو نتيجة  
سوء الفهم على أقل تقدير .

واسم الإسلام وإن أطلق على الدين الأخير من باب إطلاق الشيء على أكل  
صوره - إلا أنه جوهر الأديان السماوية كلها - حتى يمكن أن تسمى كلها إسلاماً .

ومن هنا نعلم جريان هذه الكلمة ، ومشتقاتها كثيراً على السنة الأنبياء  
السابقين ، وكبار أتباعهم .

وهذا هو ما قلناه إليه الآيات التالية :

فمن دعاء إبراهيم وإسماعيل « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة  
لك وأرنا مناسكنا » (٢) .

ومن وصية إبراهيم وإسحاق « يا بني إن الله اصطفى لك الدين فلا تتبع  
إلا وأنت مسلمون » (٣) .

وقد أتبع القرآن الكريم هذه الوصية بوصية يعقوب - وذلك في قوله  
صباحانه « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢

بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون ، (١) .

ومن دعاء يوسف عليه السلام : فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ، (٢) .

ومن دعاء السجدة وقد دخلوا في دين موسى : ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ، (٣) .

وفي الحديث عن عيسى والحواريين ورد قوله سبحانه : فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ، (٤) .

وينقل القرآن عن ملائكة سبأ قولها وقد آمنت بسليمان : رب إن ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، (٥) .

فالإسلام إذن هو العنوان العام للأديان السماوية ، وإن الدين عند الله الإسلام ، ولا اعتراف بيهودية أو مسيحية مثلا كدين قائم برأسه منقطع الصلة بما قبله وما بعده ، بل كل دين يكمل السابق ، ويمهد لللاحق - مع التسليم المطلق بكأله في ظروفه الخاصة ومناسباته لهذه الظروف .

وأخر هذه الأديان هو أكملها على الإطلاق - وذلك لسببين واضحين :

- 
- (١) سورة البقرة ١٢٣
  - (٢) سورة يوسف ١٠١
  - (٣) سورة الاعراف الآية رقم ١٢٦
  - (٤) سورة آل عمران الآية رقم ٥٢
  - (٥) سورة النمل الآية رقم ٤٤

السبب الاول - أن الأديان السابقة عليه إنما نزلت لتبشر به ، وتهدله ، وتدرج بالإنسانية إليه - فهو منها بمنزلة القمة من الهرم ، أو بمنزلة الغاية من الرحلة .

السبب الثاني - أن كلا منها نزل ليغطي مساحة مكانية ، وزمانية معينة . أما الدين الأخير - فلا بد أن يحمل عوامل صلاحيته ، وتطبيقه مادامت في الأرض حياة إنسانية - إذ لا أمل في دين آخر بعده .

وإذا كان من المسلم به أن الإنسانية في تطور دائم ، وترق موصول - فإن من المسلم به كذلك أن الدين الذي يغطي مرحلة الرشد العقلي ، والنفسي الإنسانية أكمل من الأديان التي تغطي مرحلة طفولتها ، أو مرحلة صباها .

ولعل ما ذكرناه من فضل الدين الأخير على الأديان السابقة هو بعض أسرار الميثاق الذي أشارت إليه الآية السكرية التالية ، وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من القامدين ، (١) .

فإزاء الأنبياء ، بل وإزاء الأديان أيضا قضية دينية ، وعقلية لا جدال فيها - لأن منزل الأديان كلها واحد - وهو نفسه مرسل جميع الأنبياء .

ولا يقع التناقض ، والتعارض إلا إذا أسئ التفسير عن قصد ، أو عن غير قصد كما أشرنا من قبل .

ولا بد أن يتضح ذلك من خلال المقارنة .



يبد أن المقارنة بين جميع الأديان السماوية ليست أمراً يمكننا - إذ إن هذه الأديان ، أو أكثرها ليس معلوماً لأحد من الناس حتى بمقدورها المقارنة .

ولقد قال الله لرسوله ، ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، (١) .

وقال أيضاً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، (٢) .

وسنكتفي في هذه الدراسة بتقديم الملاحظ العامة لكل من اليهودية ، والنصرانية ثم نتبع ذلك ببيان موقف الإسلام من الهياتين .

كما سنورد طرفاً من الأديان الوضعية التي تدعو إليها المقارنة .

وبهذا قبل أن ننتهي من هذا الفصل التمهيدى أن نهدى إلى النتائج التي انتهينا إليها من خلاله - وهي على وجه التحديد :

( ١ ) الإنسان محتاج إلى الدين - وذلك على مستوى الفرد ، والجماعة - لأن الدين يحقق السكينة النفسية للفرد ، والسلام الإجتماعى للجماعة - ولا يمكن أن نحمل على هذه الوظيفة المذاهب والقوانين الوضعية .

( ٢ ) الأديان الوضعية التي اخترعها عقل الإنسان ، وخياله لا تستطيع أن تقوم بدور الأديان السماوية في تحقيق ما تهدف إليه حاجة الإنسان من السكينة والسلام - وذلك لما تفتقده الأديان الوضعية من خصوصية العلم بما يصلح الإنسان ، وما يفسده - وهو ما يتحقق في الأديان السماوية عامة ضرورة صدورها عن الخلق الحكيم .

---

(١) سورة طه الآية رقم ٧٨

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٦٤

(٣) بصدده المفاضلة المبرمة بين الأديان السماوية يتبين أنها كانت أديانا  
مرحلية تراكب التطور العقلي ، والنفسي للإنسانية - وذلك فيما عدا الدين  
الأخير الذي يتضمن مقومات الصلاحية للإنسانية الى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها .

هذا فيما يتعلق بالشرائع .

أما العقائد - فهي موضع اتفاق الأديان السماوية جميعا ما لم تجر فيها يد الهوى  
بالطمس ، أو التحريف .

وسيتبين ذلك بالتفصيل في الفصول التالية إن شاء الله .

## الفصل الثاني

### اليهودية

#### المبحث الأول

#### التعريف باليهود

#### ( ١ ) اليهود في التاريخ القديم

تقدمت السن بإبراهيم عليه السلام دون أن يرزق بولد يحمل اسمه ، ويهدأ  
أزوه ، ويرثه في دينه .

ولم يزل إبراهيم يدعو ربه رب هب لي من الصالحين ،  
حتى أجاب الله دعاءه ، ووهبه له الكبير غلامين صالحين كان كل منهما  
فيما بعد نبيا .

أما أحدهما فهو إسماعيل بن هاجر المصرية جارية زوجته سارة .  
فقد وهبته لإياها لما رآته من شدة شوقه إلى الولد - على حين كانت سارة  
نفسها حقا لانه .

أما الآخر فهو إسحاق الذي رزقه الله به من زوجته الأولى سارة على الرغم  
من عقمها ، وكبر زوجها كآية من آياته الباهرة .

وقد ولد لإسحاق ولدان هما ( عيسو ) و ( يعقوب أو إسرائيل ) الذي تزوج  
أربعة من النسوة ، ورزق منهما باثني عشر ولدا هم أصول الأسباط .

وقد حكي القرآن الكريم قصة يعقوب ، وبنيه في سورة يوسف مبينا الظروف الصعبة التي دفعت بهم دفعا إلى دخول مصر .

فذكر أن يعقوب عليه السلام كان يميل إلى يوسف وأخيه بنيامين أكثر من ميله إلى بقية أبنائه حتى قالوا له ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أن أبانا لفي ضلال مبين ، (١) .

وقد اجتمعت كلمتهم على التخلص من أخيه يوسف بإلقاءه في غيابة الحب ، وبذلك يخلو لهم وجه أبيهم .

وقد أذن يعقوب لبنيه أن يصطحبوا يوسف معهم في رحلة الرعي بعد إلحاح ومراجعة .

ونفذ الاخوة خطتهم الشيطانية ، ثم عادوا إلى أبيهم بقصة (الذئب والقميص) أما يوسف فقد ألتقطه بعض السيارة ، وباعوه لعزير مصر بثمان بخص دراهم معدودة .

وفي قصر العزيز تقلبت به الأيام حتى صار وزيرا للتموين ، فوضع خطة حكيمه حققت الرخاء لمصر ، على حين كانت جاراتها تفككو من القحط والجوع وفي هذه الاثناء ، حضر أبناء يعقوب إلى مصر ليحصلوا على ما يلزمهم من الغذاء . وقد عرفهم يوسف ، وأكرم ضيافتهم دون أن يعرفوه .

ثم كلف لهم عن شخصيته ، وأرسل في طاب أبو به ، حيث دخل الجميع مصر آمنين وقد طاب لهم المقام بمصر ، فأقاموا بها ، وعرفوا بين أهلها ببني إسرائيل ، وهو الاسم الذي اختاروه لأنفسهم .

وأقام بنو إسرائيل :- ( جاسان ) و ( صفح الحنة ) بالشرقية .

وقد كانوا أول الأمر حوالى سبعين نسمة - ولكن عددهم كان يتزايد بمعدلات هائلة .

وعلى الرغم من أن المصريين كانوا يذوقون عليهم مظاهر الحفاوة ، والبر - إلا أنهم لم يكونوا يهتمون بالولاء للوطن المصرى .

فلما كان عهد (رمسيس الثانى) سنة ١٣٠١ ق.م إلى سنة ١٢٣٤ ق.م عاملهم بقسوة وعنف لما علمه من مواطنهم مع أعداء البلاد من الهكسوس .

وقد أرسل الله إليه موسى ، وهارون يدعوانه إلى إطلاق سراح بنى إسرائيل :  
إِلى ذلك الإشارة فى قوله سبحانه : فَأَنبَأَهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ أَن  
أرسل معنا بنى إسرائيل ولا نغلبهم ، (١) .

وخرج موسى ببني إسرائيل فى عهد (منفتاح) الذى ورث عرش أبيه  
(رمسيس الثالث) .

وكان خروجهم من مصر حوالى سنة ١٢١٣ ق.م .  
وقد أمرهم موسى بدخول فلسطين بقوله فيما يحكيه عنه القرآن : أدخلوا  
الأرض المقدسة التى كتبنا لكم ولا تردوا على أديباركم فتقلبوا عاسرين ، (٢) .  
ولكنهم لم يستجيبوا لهذا الأمر قائلين فيما يحكيه القرآن أيضا : إن فيها  
قوما جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا  
داخلون ، (٣) .

---

(١) سورة طه الآية رقم ٤٧

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٢١

(٣) سورة المائدة الآية ٢٢

لذلك كتب الله عليهم التيه جراء جبنهم . ونحاذلهم ، وعصيانهم الامر . قال  
فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، (١) .

فلم يدخلوها إلا بعد موت موسى ، وذلك بقيادة ( يوشع بن نون ) أحد  
أصفياء موسى .

وقبل أن يشع شعب يوشع هم أبناء الذين كتب عليهم التيه كما أشارت إلى  
ذلك للتورية .

وقد تم دخولهم فلسطين بكثير من القسوة ، والوحشية .

يقول ( ول ديورانت ) في وصف ذلك ( كانت هزيمة للبرانيين الكنعانيين  
مثلاً واضحاً لإفراط جوع جياح على جماعة مستقرين آمنين ، وقد قتل العبرانيون  
من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم . وسبوا من بقي من نساءهم ،  
وجرت دماء القتل أنهاراً ، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس  
فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ) .

ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً ، وأحرقوا ،  
وصلبوا حاكها .

ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستماتح به  
وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والإنابة .

أما يوشع فلم يكن إلا جندياً فظلاً .

وقد حكم موسى حكماً سلبياً لم تسفك فيه الدماء .

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٠ .

أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذى يقول إن أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى .

وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للمواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة<sup>(١)</sup> .

وبقيت فلسطين تحت النفوذ اليهودى . وبقي اليهود آمنين طوال عهده القضاة ، والملوك .

ثم آت وحدتهم إلى التفرق ، والإنقسام ، الأمر الذى أطمع فيهم الفاتحين وكانت للضربة القاصمة على بدى (بختنصر) ملك بابل الذى انتزع فلسطين من أيدي اليهود ، وصب عليهم سوط عذابه .

فشرّد فريقاً منهم ، وقضوا على فريق آخر ، ولكنه لم يتعرض للمهتغلين بالصناعة والزراعة من صفار اليهود<sup>(٢)</sup> .

وفى سنة ٥٣٨ ق . م احتل (قورش) ملك الفرس بلاد بابل ، فسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين ، ولكنهم كانوا قد طاب لهم المقام بالمدن التى هاجروا إليها ، فلم يعد إلا قليل منهم .

وكانت هودتهم إليها هودة الجوع ، لاهودة الدولة ، ولم يحسوا قط بالولاء للدولة الفارسية ، ولذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر فاتحاً لفلسطين سنة ٣١٠ ق . م وقد آل حكم فلسطين إلى البطالة بعد الإسكندر .

وقد أرسل الله إلى بنى إسرائيل كبراً من الانبياء ، كان آخرهم عيسى عليه السلام .

ولعل كثرة أنبيائهم دليل على تأصل الرذائل فيهم وسرعة انحرافهم عن الحق

---

(١) كتاب اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٥٥

(٢) الصهيونية العالمية واسرائيل ، الدكتور حسن ظاظا وآخرين ص ٤٧

فأما كما يتردد المريض على عدد كبير من الأطباء حين تستفحل العلة ويتفاقم  
العداء . وقد أطلق اسم النصارى على الذين آمنوا بعيسى من بنى إسرائيل كما بقى اسم  
اليهود للذين لم يؤمنوا به وهى تسمية اختلفت فى تعليلها آراء المفسرين ، ولعل  
أقرب تعليل هو أنها مأخوذة من اليهود بمعنى العودة إلى الله وهو ما تهير إليه  
عبارة موسى عليه السلام إذ قال فى استغفاره لقومه بعد فترة عبادة العجل : **وأكتب  
لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك** ، (١) .

أما تسميتهم بالبرانيين فرتبطة بعبورهم البحر الأحمر يوم خروجهم من  
مصر . وقيل نسبة إلى ( ابرا ) وهو إبراهيم عليه السلام مع قلب الألف هنا  
فى المنسوب .

وعلى أى حال - فالقسميات لا تهم كثيراً فيما نحن بصدده - الأمر الذى  
يكفيها مهدة البحث نلنا للتعليل الصحيح .

فلنتابع الرحلة إذن لمرض ملاح أخرى فى هذا التعريف القصير .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٦

٥  
(م ٢ - قصة الأديان)



( ٢ )

## الفرق اليهودية

بين أتباع كل ديانة من الديانات المعروفة يوجد مجال لاختلاف الرأي ،  
وتعدد الإجماعات .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« أفرقت المجوس إلى سبعين فرقة - وأفرقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة  
وأفرقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة - وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين  
فرقة كلها في النار إلا واحدة : قالوا ومن هي يا رسول الله ؟

قال هم أهل السنة والجماعة - قالوا : ومن أهل السنة والجماعة ؟

قال الذين يكونون على ما أنا عليه ، وأصحابي إلى يوم القيامة ، .

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح - فإن من الثابت تاريخياً وقوع  
الاختلاف في الرأي بين أتباع كل ديانة من الديانات المذكورة في الحديث  
الشريف .

وإذا كان الذي يعيننا هنا هو الفرق اليهودية - فليس من المعقول أن نعرض  
بالتفصيل لكل فرقة من هذه الفرق ، فذلك ينبغي أن يتناوله كتاب آخر يكون  
موضوعه الفرق اليهودية - وإنما نكتفي هنا بالتناول السريع لأن هذه الفرق  
على سبيل المثال .

ونعول في هذا الموضوع على كل من الدكتور أحمد شاذلي في كتابه (اليهودية)  
والعبرستان في كتابه (الملل والنحل) .

أما الدكتور شلبى فقد اختار من كبار الفرق اليهودية خمس الفرق هي :

- د- ( الفريسيون )      هـ- ( الصدوقيون )      ٢- ( السكتية )  
٣- ( القرائيون )      ٤- ( المتحصبون ) .

وفىما يلى إلمامة سريعة بكل من هذه الفرق .

١- الفريسيون ( تعنى هذه الكلمة المنزليين ، أو المنهقين وهو اسم أطلقه عليهم أعدائهم - وهم لا يوافقون على هذه التسمية - ويطلقون على أنفسهم اسم ( الاحبار ) أو ( الربانيين ) أو الإخوة فى الله ) .

وهم يعتقدون أن التوراة مخلوقة من الأزل ، مدونة على ألواح مقدسة ، ثم أوحى بها إلى موسى عليه السلام فى الوقت الذى أراده الله .

ويعتقدون كذلك فى وجود الملائكة ، والشياطين ، وفى وقوع البعث ، والجزاء بعد الموت .

وهم يسلكون فى حياتهم سلوك التقشف والزهده .

وأكثرهم لا يتزوجون ، ويلجأون الى التنبؤ كوسيلة للمحافظة على امتدادهم التاريخى .

ويكرهون تقديم القرابين فى المعابد على اعتبار أن ذلك تصور ماذى ساذج لمعنى العبادة .

ويعتقد الفريسيون أن التوراة ليست هى الكتاب المقدس الوحيد - وإنما هناك أيضا الروايات الشفهية المسماة بالتلمود .

كذلك لا ينجسون الأنبياء بوصف العصمة أو القداسة - وإنما يفركون معهم فى ذلك المخاضات - فهم يمنحونهم سلطة عليا - ويعتبرون مخافتهم من عظمة الله .

وقد بالغ تطرفهم في تقديس الحاخامات إلى حد أن قالوا ( ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أوامهم هي قول الله الحي . فإذا قال أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس - فصدق قوله ولا تجادله ) .

وعلى هذا - فليس هناك اجتهاد شخصي في الدين - إذ عند الحاخام لكل مشكلة حل ، ولكل سؤال جواب .

ويرون أن الدولة اليهودية ستسترد يوما نفوذها الضائع ، ومهدما السليب على يد المسيح المنتظر الذي سيعيد ملكوت الله - وهم لذلك يعتقدون آمالهم الغالية على ظهور ذلك المسيح .

وكان نشاط الفريسيين بشكل عام نشاطا فكريا لا ثوريا - يتمثل في تفسير التوراة والتلمود ، والحث على التمسك بالشرائع والتقاليد .

وكانوا يتمتعون بنفوذ شعبي واسع أخاف منهم السلطات الحاكمة التي لم تكن تتمتع بثقل هذا النفوذ .

وفي عهد ( أوركوانوس ) ١٠٥ ق م اشتد سخطهم على نظام الحكم وأعلنوا عدم تأييدهم للحكومة - ومن ثم فقد تخلى عنهم ( أوركوانوس ) وانحاز إلى منافسيهم الصديريين الذين ظفروا على ولايتهم للدولة - ومنذ هذه القطيعة زاد تمسكهم بفكرة المسيح المنتظر الذي يخلصهم من نير السلطات الحاكمة وينصحبهم ما يحنون إليه من الأمن ، والكرامة - ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يحفظوا طويلا بصلاتهم وصمودهم في مواجهة الطغيان .

فقد اضطرب مركزهم ، وتدهورت أحوالهم - فاقبلوا على الملدات ، وانغمسوا في الشهوات ومارسوا ظهورهم بظفر الزهد فجاء ينصبرونه لصيد الدرهم والدينار .

وقد صورهم كاتبو الأناجيل بصورة الكفرة الذين ناصبوا المسيح العداء ووقفوا منه موقف المعارضة - وبذلك أصبح الولاء لهم خيانة ، والانقسام إليهم عاراً .

وقد تعاطف بعض الكتاب المعاصرين مع الفريسيين ، فحاولوا أن يدفعوا عنهم ظلم كتاب الأناجيل ، ويردوا إليهم اعتبارهم القديم . يقول ( هوكسلي ) من غرائب سخریات التاريخ إن لم تكن أغربها أن كلمة فريسي أصبحت تدل على العار ) .

ويقول ( هارفورد ) ( كانت الفريسية سيئة الحظ في التاريخ إذ قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها - بل قلما حاولت أن تفتقر هذه الفرصة إذا صنعت .

فبل بلغ الدين المسيحي مبلغاً من الضعف يلجئه الى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه ؟ ) .

ويقول القس ( بكس ) ( لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين ووضعوا طقوساً روحية بحتة ، وتمسكوا في الاعتقاد في الآخرة ، ودافعوا عن قضية الملائية أمام الكهنوت المتطرف ، وجعلوا الكتاب المقدس ملكاً مشاهداً للجميع .

وفي اجتماعات الكنيسة الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات عن حقائق الدين ، وآماله استناداً الى نصوص التوراة .

وكافح الفريسيون كفاحاً مستقبلاً في سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية . فتأثرت قلوب الشعب بتعاليم الدين ونواهيهِ بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً .

- ( الصدوقيون ) :

اختلف الباحثون في أصل نسبة هذه الفرقة .

فهم من يرى أنها نسبة الى ( صدوق ) الكاهن الأعظم في عهد سليمان .

ومنهم من يرى أن صدوقا الذي نسبت إليه الفرقة هو أحد كهنة القرن الثالث قبل الميلاد .

بينما يقرر المحققون بطلان هذين الرأيين - إذ العدال - مضعفة في إسم كل من الكاهنين ، وغير مضعفة في إسم الفرقة - فضلا عن أن الفرقة نفسها لم ترتبط بأحد الكاهنين ، ولم تعلن انتمائها إليه .

ويرجح هؤلاء المحققون أن أعداء الصدوقيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الإسم من قبل تسمية الشيء بعضده - وذلك لما عرف عن الصدوقيين من الإسراف في تكذيب ما يسلّم به فخرهم من اليهود .

فهم ينكرون البعث ، والجزاء بعد الموت - إذ ما يقدمه المرء من خير ، أو شر يجد جزاءه في هذه الدنيا لا محالة .

وينكرون مجموعة الروايات المصفوّهة المسماة بالتلمود - إذ التوراة هي الكتاب الوحيد المقدس قداسة مطلقة .

وينكرون الملائكة والحيّاطين ، والقضاء والقدر ، ويقولون بحرية الاختيار ولا يميلون الى الحركات الثورية - ويحترمون النظم والقوانين - وهو ما يتفق مع أصلهم الارستقراطي - ولذلك يطلق عليهم بعض الكتاب إسم (حزب المحافظين) في العهد اليهودي .

ويقال إن عيسى كان على صلة طيبة بهم - لأنه ماجم خصومهم الفريسيين

من جهة دولانه قبل سلطان قيصر روما على نحو ما فعله الصديقيون من جهة أخرى .

غير أن إنكارهم للبعث كان كفيلا أن يقيم بينهم وبينه سدا ضيقا من النفرة والكراهية - فشذوا عليه حملاتهم العنيفة وقاوموا دعواته أكثر من غيرهم .

#### ٣ - القراءون :

القراءون هم قلة من اليهود ورثوا نفوذ الفريسيين .

وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم - فلا قداسة عندهم للتلمود ، أو لما يسمى بالعهد الجديد .

ويفتخرون باب الاجتهاد في الدين لكل قادر عليه .

فاذا تبين الخلف خطأ السلف في شيء من أمر الدين - فإن الخلف أن يصححوا هذا الخطأ دون تهيب ولا حرج .

ومن هذه الأخطاء التي يلاحظها القراء خطأ السلف في تحليل بنت زوجة الأب مع وضوح تحريرها في الآية الخامسة من آيات المحارم .

#### ٤ - الكتبة :

يطلق هذا الإسم على طائفة من اليهود إحترفت كتابة الشريعة لمن يطلبها وقد اكتسب الكتبة من عملهم الى جانب المال قسطا موفورا من العلم بالشريعة اليهودية مكنتهم من أن يتخذوا الوعظ وظيفه - بالإضافة الى حرفة النسخ أو الكتابة .

وبالوظيفتين استطاع الكتبة أن يتهيدوا أموال الناس، ويسأثروا بتقديرهم وخاصة حين هم الفساد ، وانحرف الفريسيين - فكانوا يسمون أحيانا بالحكام وأحيانا بالسادة ، أو الآباء .

وقد برزوا في المجتمع اليهودي على أنهم حملة لواء الشريعة ، وذلك عندما فتن بريق النفوذ السياسي إجماعة القسس فساروا في ركب الحكام ، والأجانب من فرس ، وإغريق ، ورومان - وأخلوا المجال الديني للكتابة - فاحتلوه ، وأثبتوا وجودهم فيه .

وعلى الرغم من نشاطهم الرائع في خدمة الشريعة ، إلا أنهم لا تنسب إليهم آراء مميزة ، الأمر الذي يعطينا نعتقد أن دور الـ كتابة كان دورا تعليميا لا فكريا وأنهم كانوا إلى التلقين أقرب منهم إلى الريادة والتوجيه .

#### ٩ ( المتعصبون ) :

تمكس هذه التسمية الطابع النفسي لهذه الفرقة ، وتكشف عن موقفها من الفرق الأخرى التي لا ترى رأيها .

على أن المتعصبين يتفقون مع الفريسيين في كثير من العقائد ، وذلك كمقيدة المسيح المنتظر ،

كما أنهم يميلون كالفريسيين إلى الزهد ، وكثرة العبادة ، ولكنهم لا يتساحون مطلقا مع الملاحدة .

ومن سياستهم أنهم لا ينتظرون العون من الله ، بل يعملون بأنفسهم على مساعدة الله لتحقيق ما يريد لهعبه ، وكانوا بذلك يكونون الجناح اليساري في فرقة الفريسيين .

وكانوا في غاية الحساسية للحرية ، إلى حد أنهم يرفضون أي سلطان عليهم سوى سلطان الله .

وكان الموت حسندا أسهل من طاعة غير اليهود ، ومن ثم أنكروا على الفريسيين قبولهم للأمر الواقع ، وإشغالهم على أنفسهم من مسئولية التغيير

والمقاومة ، فقد خضعوا لسلطان الرومان ، واستمروا المواف ، والسلبية ،  
وتجنبوا مشقات الجهاد .

وقام المتعصبون بشورتهم على الرومان في مطالع القرن الاول الميلادي  
فكانت هذه الثورة سبباً في تفجير غضب الرومان على طامة اليهود ، فضربوا  
الثائرين ضربات قاسية ، وذبحوا قاداتهم ، فهبوا من جديد يدبرون ثورة  
أخرى ، فلم يجد الرومان مناصاً من القضاء على السلطة المحلية ، وحكموا  
اليهود حكماً مباشراً .

وفي هذا الجو بدأ المتعصبون سلسلة من حركات الاغتيال ضد الرومان بل  
و ضد اليهود المتعاونين مع الحكم الروماني .

وقد بلغوا من القسوة ، والتهور ، إلى حد أنهم كانوا يرة-كيبون جرائمهم  
علناً في الطرقات ، فأطلق عليهم اسم السفاك .

كذلك كانوا يلجأون إلى النهب ؛ واللصوصية ، والفنك حتى اعتبرهم بعض  
الباحثين ضمن الفرق السياسية أو فرق المصابات مع أنهم بدأوا حركتهم في  
إطار ديني ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان<sup>(١)</sup> .

أما الشهرستاني فيذكر من كبار الفرق اليهودية أربع فرق هي :

١ - ( الغنانية ) ٢ ( العيسوية ) ٣ - ( اليوزمانية ) ٤ - ( السامرة )

ونقل ببعض التصرف ما ذكره الشهرستاني في عرضه لهذه الفرق الأربع .

١ - ( الغنانية ) :

تنسب هذه الفرقة إلى ( هنان بن داود )

وأفرادها يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد .

---

(١) الدكتور أحمد شلبي ( اليهودية ) ص ٢٢١ وما بعدها .



وينهون عن أكل الطهر ، والظباء ، والسمك ، والجراد .

ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه ، وإشاراته ، ويقولون إنه لم يخالف التوراة بل قررها ، ودعا إليها ، ولكنهم لا يقولون بنبوته ، بل منهم من يقرر أن عيسى نفسه لم يزعم قط أنه نبي ، وإنما هو أحد القديسين الكبار الذين يقبضون موسى ، ويقدمون التوراة .

أما الإنجيل فليس إلا جمعاً لأحواله من مبدئه إلى كماله قام به أربعة من الحواريين .

#### ٢ - ( الميسوية ) :

تنسب الميسوية إلى ( أبي عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني ) .

ابتدأت نبوئته في عهد ( مروان بن محمد ) آخر خلفاء بني أمية ، وازدهرت في زمن أبي جعفر المنصور .

وقد كثرت أتباعه من اليهود الذين نسبوا إليه كثيراً من الخوارق والمعجزات .

وزعموا أن الله كلمه ، وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من الملوك الظالمين .

وقد حرم أبو عيسى كل الذبائح ، ونهى عن كل ذى روح على الإطلاق طيراً كان أو بهيمة .

وأوجب على أتباعه عشر صلوات .

وخالف كثيراً من أحكام التوراة .

#### ٣ - ( البيوزانية )

ينسبون إلى ( بيوزان ) رجل من ممدان ، وقيل اسمه ( يوحذا ) .

كان يحث على الزهد ، وينهى عن أكل اللحوم ، والانبذة .

ويذهب أن التوراة ظاهرأ وباطناً وتنزيلاً ، وتأويلاً .

وخالف بتأويلاته عامة اليهود ، وخالفهم في التفسير ، ومال إلى القول بالقدر  
وقرر أن المبد يخاف أفعاله على الحقيقة على نحو ماقرره المعتزلة .

٤ - ( السامرة ) :

يسكنون بيت المقدس وبعض رى المصرية .

يلبثون نبوة موسى ، وهارون ، يوشع بن نون ، ولا يعترفون بنبوة أحد  
من بعدهم فيما عدا نبياً واحداً هو ( ألفان ) ، زعموا أنه هو الذى بهر به موسى  
وأنه الكوكب الذى ورد فى راة أنه يضىء ضوء القمر ، .

وكان ظهور ألفان قبل المسيح بأمة سنة تقريباً .

والسامرة يخالفون اليهود فى بعض أمور أساسية ، فقبلتهم فى الصلاة إلى  
( غرايزم ) بين بيت المقدس ، ونابلس .

ويزعمون أن الله أمر داود ببناء بيت المقدس بجبل نابلس ، أو بالطور  
الذى كلم الله به موسى ، واسكن داود خالف الأمر ، وأثر بذلك إلباء .

ولغة السامرة عهد لغة اليهود - وهى قريبة من العبرانية ، وقد زعموا أن  
التوراة نزلت بلسانهم ، ثم نقلت إلى السريانية (١) .

ويلاحظ أن الفرق التى ذكرها اللهه رستانى قد ظهر بعضها قبل الإسلام  
وهذا البعض ولا شك يندرج تحت مفهوم الحديث الشريف الذى استهللنا به  
هذا الموضوع .

---

(١) الملل والنحل - القسم الأول - ١٩١

بينما البعض الآخر ظهر في وقت لاحق كفرقة (الميسوية) التي ظهرت في القرن الثاني الهجري على نحو مامر بيانه .  
على أن بعض الفرق قد تضم داخلها عدد من الطوائف متفق فيما بينها على المبادئ الأساسية للفرقة الأم ، ثم تختلف بعد ذلك في بعض الفروع .  
ومهما يكن من شيء ، فإن الفرق بشكل عام ، مثل أفلقيات فكرية داخل اليهودية أما جمهور اليهود فيمكن التعرف على عقائدهم وشرائعهم من خلال مصادر معينة تشكل طريقة حكمهم هل الأمور ، وتحدد أنماط سلوكهم في الحياة وهذه المصادر هي التي تعرض لها الآن بالبيان .

( ٣ )

## مصادر الفكر اليهودي

يرجع الباحثون بالفكر اليهودي إلى ثلاثة مصادر أساسية - بعضها إلهي مقدس ، والبعض الآخر إنساني وضعي - ولكنه يوشك أن يصل هندم إلى درجة التقديس .

ومذه المصادر هي :

١ - أسفار العهد القديم .

٢ - التلمود .

٣ - بروتوكولات حكماء صهيون .

ونخص الآن كلا من المصادر الثلاثة بشيء من البيان .

أولاً : أسفار العهد القديم :

يطلق العهد القديم على مجموعة الأسفار المقدسة عند اليهود في مقابلة ما يسمى عند المسيحيين بالعهد الجديد .

ويتضمن العهد القديم تسعة وثلاثين سفرًا<sup>٢٩</sup> يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام القسم الأول التوراة ، وهي مكونة من خمسة أسفار :

١ - سفر التكوين :

ويقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار بني إسرائيل في أرض مصر مع تفصيل في قصة آدم وحواء ، ونوح ، والطوفان ، ونسل ( سام ) ، وإجمال فيها عدا ذلك .

## ٢ — سفر الخروج :

ويعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر ، وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل ، وتاريخهم في مرحلة التيه أربعين سنة .  
ويشتمل الخروج أيضا على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات ، والعقوبات ، وما إلى ذلك .

## ٣ — سفر اللاويين :

وقد شغل معظمه بمشئون العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالاضحية ، والقربان والمحرم من الحيوانات والطيور .  
واللاويون هم نسل ( لاوى ) أو ليفى ( أحد أبناء يعقوب - ومنهم موسى ، وهارون - وكانوا سدنة الهيكل ، والمشرفين على المذبح والاضاحي والقربان والقوامين على الشريعة اليهودية .

٤ — سفر العدد : وقد خصص معظمه للحديث عن إحصائيات تتعلق بقبائل بني إسرائيل وجيوشهم ، وأموالهم ، وكثير ما يكن إحصاؤه من شئونهم - كما عرض لطائفة من أحكام العبادات والمعاملات .

٥ — سفر التثنية : وقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة ، وشئون الاقتصاد والمعاملات ، والعبادات .

وسمى بالتثنية لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه ، وورد ذكرها في الأسفار السابقة .

## القسم الثاني :

أسفار تاريخية وهو إثني عشر سفرا تعرض لقصة دخول بني إسرائيل

بلاد الكنعانيين ، واخبارهم بعد استقرارهم في فلسطين ، وتفصل تاريخ قضائهم ، وملوكهم ، وأيامهم ، والحوادث البارزة في شئونهم وهي أسفار ( يوشع ) ( القضاة ) ، ( صموئيل ) ، ( سفر الملوك ) ، ( أسفار أخبار الأيام ) ، ( سفر عزرا ) ، ( نحميا ) ، ( استير ) .

#### القسم الثالث :

أسفار الاناشيد ، أو الأسفار الشعرية - وهي الاناشيد والمواظع معروضة بأسلوب شعري بليغ - وهي خمسة أسفار ( أيوب ) ، ( مزمور داود ) .  
( أمثال سليمان ) ، ( الجامعة من كلام سليمان ) ، ( نفيذ الاناشيد لسليمان ) .

#### القسم الرابع :

أسفار الحكمة أو أسفار الانبياء - وهي سبعة عشر سفرًا ( أشعيا ) ، ( أرميا ) ( مراثي أرميا ) ، ( حزقيال ) ، ( دانيال ) ، ( هوشع ) ، ( يوشع ) ، ( يوشع ) ، ( راعوس ) ( هوبديا ) ، ( يونس أو يونان ) ، ( ميخا ) ، ( ناحوم ) ، ( حبقوق ) ، ( صافنيا ) ، ( حجي ) ، ( زكريا ) ، ( ملاحيا ) .

وجميع هؤلاء من أنبياء بنى إسرائيل إلا يونس فقد أرسل إلى ( نينوا ) .

ويستنتج كثير من الباحثين المحدثين كما يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي من ملاحظة الأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار أن الجانب الأكبر منها إنما كتب في عصور لاحقة للعصور التي يعتبرها اليهود عصور نزول الأسفار .

فلا ملاحظة أسلوب التوراة بما تضمنه عليه من موضوعات وأحكام ، وقشريات وملاحظة البيانات الاجتماعية ، والسياسية التي تنمكس فيها .

كل هذا يؤكد أن التوراة قد ألقت في عصور لاحقة لمصر موعى عليه السلام بأمد غير قصير .

فقد عرفنا أن موسى ظهر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

والذى نعهد إليه الدراسات الحديثة أن معظم سفرى التكوين ، والخروج  
ألف في حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر  
القرن السادس قبل الميلاد .

وأن سفرى العدد ، واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .  
وعلى أساس هذه الدراسات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما آخر  
من أسفار العهد القديم قد ألف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن  
التاسع ، وأوائل القرن السادس قبل الميلاد .

ويشمل هذا القسم أسفار يوشع ، والقضاة ، وصموئيل ، والملوك ،  
والامثال ، ونشيد الاناشيد ، ومعظم أسفار الانبياء .

يتبين من هذا أن أسفار اليهود تمكس الأفكار ، والنظم التى كانت سائدة  
لديهم في مختلف أدوار تاريخهم القديم .

وقد ألفت أسفار العهد القديم باللغة العبرية فيما عدا أجزاء يسيرة ألفت من  
أول الأمر باللغة الآرامية .

وأقدم ترجمة للعهد القديم هى الترجمة السبعينية وهى التى تمت في سنتى  
٢٠٣ و ٢٨٢ قبل الميلاد وكانت هذه الترجمة إلى اليونانية وقام بها إثنان وسبعون  
حبرا من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف .

ومن هذه الترجمة نقل العهد القديم الى عدد من اللغات القديمة ، والحديثة .  
وما هو جدير بالذكر أن بعض أحبار اليهود بضيفون الى الاسفار المذكورة  
أسفارا أخرى لا يقبلها أحبار آخرون .

كذلك يختلف المسيحيون في عدد أسفار العهد القديم - فبينما نجد النسخة البروتستانتية تذكر تسعة وثلاثين سفرا - نجد النسخة الكاثوليكية تريد سبعة أخرى - فتصبح ستة وأربعين .

### ثانياً: التللود .

يقصد بالتللود التاليم والروايات الففوية .  
وهتألف من الأبحاث التي قام بها أحبار اليهود ، وفقهاؤم المنتمون إلى فريق الفريسيين في شئون العقيدة ، والشرعية ، والتاريخ المقدس .  
ويتمثل حل ثلاثة وستين سفرا .  
ويتكون التللود من متن ، وشرح .

أما للتن فقد ألف في القرنين الأول ، والثاني بعد الميلاد ، وأطلق عليه اسم ( للمهنة ) بمعنى المثني ، أو المكرر ، أى أنه تسجيل للشرية .

ثم وضعت شروح المهنة ابتداء من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس وأطلق على هذه الشروح اسم ( الجمارا ) ، أى الشرح ، والتعليق .  
ويطلق التللود على مجموع المهنة ، والجمارا معاً .

وتجدر الإشارة إلى أن المهنة كتبت - باللغة العبرية - وكتبت الجمارا بالآرامية - فهد أن عبرية المهنة تختلف اختلافاً كبيراً عن عبرية العهد القديم ذلك لأن أسفار المهنة قد كتبت بعد أن انقرضت العبرية كلغة تخاطب بين اليهود ، وحلت محلها الآرامية ، وأصبحت العبرية مقصورة على ميدان الكتابة وخصوصاً في المسائل الدينية - وذلك يعطى للمهنة نوعاً من الارتفاع النسبي في اللغة يحوج إلى كثرة الشروح .



وقد قامت بالجراما مدرستان .

إحداهما مدرسة يهود فلسطين - وقد ألفوا شروحهم باللهجة الآرامية  
الفلسطينية - وهي نفس اللهجة التي استخدموها في ترجمة العهد القديم .

ويتألف من شروحهم مع المتن ما يعرف بتلود بيت المقدس

أما المدرسة الثانية - فهي مدرسة يهود بابل .

وقد ألفوا شروحهم باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية .

ويتألف من شروحهم مع المتن ما يعرف بتلود بابل .

وعن اللغتين العبرية ، والآرامية ترجم التلود إلى كثير من لغات العالم (١) .

وقد أشرنا في حديثنا عن الفرق اليهودية إلى أن من اليهود من لا يعترفون  
بالتلود ككتاب مقدس ، ويقصرون القداسة على أسفار العهد القديم ، أو على  
أسفار التوراة .

ثالثاً : بروتوكولات حكماء صهيون :

نصل الآن إلى المصدر الثالث والآخر من مصادر الفكر اليهودي - وهو  
بروتوكولات حكماء صهيون .

وندع الدكتور أحمد شلبي يحدثنا عن هذه البروتوكولات فيقول :

لا يزال واضعو هذه البروتوكولات ، ووقت وضعها من الأمرار التي لم  
تكشف حتى الآن بوجه الحق .

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة ص ٥ ، والدكتور  
أحمد شلبي ، اليهودية ص ٢٣٠

وتدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين هذه البروتوكولات ، وبين نهاية القرن التاسع عشر ، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات ، وبين مؤتمر دال ، الذى عقد سنة ١٨٩٧ .

وبرجح هذا الفهم أن هذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريفة ضد البشرية كما كانت رد فعل لمعاناة اليهود من خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد أوروبا وما نزل بهم من جور ، وتصف .

فقد درسوا فى هذا المؤتمر ضمن ماتدارسوه وسائل الإقتقام من البشرية جميعا التى اعتقد اليهود إنما اشتركت كلها بطريق أو بآخر فى إذلالهم والنيل منهم . وبروتوكولات معناها : محاضر جلسات ، ويسميا بعض الباحثين قرارات . وتلقى القسيمان إذا لاحظنا نصوص البروتوكولات ، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين ، وأن هذا التقرير عرض على المؤتمرين فى دال بسويسرا وأن المؤتمرين أقروه .

فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها ، ومحاضر بالنسبة لمرضا على المؤتمرين فى جلساتهم ، وقرارات بالنسبة لقبولها ، وتأييدها<sup>(١)</sup> .

وكانت هذه البروتوكولات موضوعة فى غموض سرية ، ولا يعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذها بما بهدوء ، وحسب تخطيط منظم .

فقد استطاعت سيادة فرنسية أثناء اجتماعها بزعم من أكابر رؤسائهم فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية فى فرنسا أن تحتلر بعض هذه البروتوكولات ، ثم تفر بها .

---

(١) لليهودية الدكتور أحمد شلبي - ٢٧٢

ووصلت هذه الوثائق إلى ( إليكس نيقولا نيفتش ) كبير أعيان روسيا القيصرية الذى دفع بها إلى صديقه العالم الأستاذ ( سرجى نيلوس ) فدرسها دراسة دقيقة وأدرك خطورتها الحقيقية ، واستطاع من خلال مقارنتها بالاحداث الجارية أن يتنبأ بكثير من الاحداث التى وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها .

من ذلك نبوءته بتسخطيم القيصرية فى روسيا ، ونشر الهيوعية فيها .

ومنها أيضاً نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية .

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين ، وقيام دولة لإسرائيل فيها .

ومنها نبوءته بسقوط الماسكيات فى أوروبا ، وقد زالت الماسكيات فعلاً فى ألمانيا ، والنمسا ، ورومانيا ، وأسبانيا وإيطاليا .

ومنها إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب ولا يظفر بغنائمها إلا اليهود .

وقد طبع الأستاذ نيلوس البروتوكولات لأول مرة سنة ١٩٠٢ فانتضحت نوايا اليهود ، وتنبه العالم إلى خطاهم الشريرة ضد راحته وسعادته ، فعمت المذابح ضدم فى روسيا حتى لقد قتل منهم فى احداها نحو عشرة آلاف ، وقد قام أكبر زعمائهم ( تيودور هرتزل ) بإصدار منشور يعلن فيه أنه قد سرقت من قدس الاقداس بعض الوثائق السرية التى قصد اخفاؤها على غير أصحابها ، وأن ذبوعها قبل الاوان يمرض اليهود فى العالم لشر التكتبات ، وهب اليهود فى كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم ، وأنها مختلقة عليهم .

ولكن العالم لم يصدق مزاعمهم للاتفاق الواضح بين خطة البروتوكولات والاحداث الجارية فى العالم يومئذ .

وجد اليهود في اخفاء فضيحتهم فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الاسواق بأى ثمن ، واستعانوا بدهبهم ، ونسائهم ، وتهديداتهم ، ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم في سائر الاقطار الأوروبية لاسيما بريطانيا لكي تهذبط على روسيا لإيقاف المذابح . ومصادرة نسخ الكتاب ، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة .

ولسكن ( نيلوس ) أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ . ونفدت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية ، لأن اليهود جمعوا نسخها من الاسواق بكل الوسائل وأحرقوها .

وفي انجلترا هكف الاستاذ ( فكتور مازسدين ) مراسل جريدة مورنج بوست على ترجمة البروتوكولات إلى الإنجليزية .

ثم توالى بعد ذلك ترجمتها إلى اللغات المختلفة مع حرص اليهود دائماً على جمع نسخها من الاسواق (١) .

وعدد البروتوكولات أربعة وعشرون تقسم بعدم تسلسل الافكار . وربما كان مرجع ذلك أن السيدة الفرنسية لم تستطع أن تختلس من البروتوكولات عهد جزء ينقصه الترتيب . والهدف الام للبروتوكولات إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود ، وتديرها حكومة يهودية .

ومن أجل ذلك يمكن أن تنقسم البروتوكولات إلى قسمين :

يبحث القسم الاول في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم .  
ويبحث القسم الثانى في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه .

---

( ١ ) راجع مقدمة البروتوكولات . لمحمد خليفة التمهيد ص ٣٣ وما بعدها

والبروتوكولات العشرة الأولى تتبع القسم الأول .

وبقية البروتوكولات تتبع القسم الثاني .

ويمكن بنا قبل أن نفرغ من الحديث عن البروتوكولات أن نعرض بعض نماذج منها على سبيل المثال ليفسنى للقارئ أن يكون فكرة عن الأسلوب الذى كتبت به .

ورد فى البروتوكول الأول والثانى : يلزم لغرضنا أن لا تحدث أى تغييرات إقليمية عقب الحروب - فبدون التغييرات الإقليمية - ستحول الحروب إلى سباق اقتصادى ، وعندئذ تبين الأمم نفوذها فى المساعدة التى ستقدمها وإن اضطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كلهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين يملكون وسائل غهر محدودة على الإطلاق ، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم ، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها .

وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين من لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم - ولذلك يكون من اليسر أن يمتصوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصا على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة - وهؤلاء الرجال - كما علمتهم من قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية والأميون ( غهر اليهود ) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة . بل يتبعون نفسا نظريا من غهر تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه .

ومن أجل ذلك لنا فى حاجة إلى أن نقيم للأميين وزنا .

فدهوم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم . دهوم

يعيشوا في أحلامهم بالذات وملاء جديدة ، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية .

دعهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الاسمي من أجلهم ، وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا تزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة . إن الطبقة المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاوله المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي نودعها .

لا تصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيقشة قد رتبناه من قبل . والأثر غير الأخلاقي لانهجائات هذه العلوم في الفكر الأسمى ( غير اليهودي ) سيكون واضحاً لنا على التأكيد (١) .

ويشير البروتوكول الثالث إلى محاولة الصهيانة القضاء على السنن، والاضوابط التي تحكم النظام الاجتماعي . وقد ورد فيه بهذا الخصوص :

« إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سرهما ، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة أكثر ، ونحقق كفايتها (٢) .

ويكشف البروتوكول الحادى عشر عن نظرة الصهيانة إلى العالم غير اليهودى وذلك على النحو التالى « إن الآمين كقطيع من الغنم ولأننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟

---

(١) البروتوكولات ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٥ .

أنها لتغضب أيوبها من كل شيء . وإلى هذا المصدر سيدفعون (١) .

هذه هي المصادر الثلاثة التي يعتمد على الباحث التركيز عليها لتعرف على عقائد اليهود ، وشرائعهم ، وأخلاقهم ، وآمالهم - ولا سيما أسفار التوراة - وهي التي أجمع على تقديمها باعتبارها كتابهم السماوي الذي يعد الصدور عنه في الفكر ، والعمل كالإيمان .

## المبحث الثاني

### في العقيدة

تدور أبحاث العقيدة في الأديان حول موضوعات أساسية ثلاثة هي حسب ترتيبها في الأهمية :

- ١ - الله وما يجب له ، وما يجوز في حقه - وما يستحيل عليه .
- ٢ - النبوات ، وما يجب للنبي ، وما يجوز في حقه ، وما يستحيل عليه .
- ٣ - الحياة الأخرى ، وما يقع فيها من بعث . وجزاء ، وما يتعلق بذلك من سائر السمعيات .

وقد نكون هناك محاور أخرى للبحث ، ومبادئ مختلفة للحديث - ولكنها مع التحقيق تنصل بهذه الموضوعات الثلاثة ، أو ترتب عليها - فهي منها بمثابة الفروع والتفاصيل .

والذين يدرسون أسفار العهد القديم يجدون هذه الأسفار توشك أن تهمل الجانب الثالث من جوانب العقيدة - فهي لا تتحدث عن الآخرة ، وما يقع فيها من مهامد البعث ، ومواقف الجزاء - وإنما تتمثل بمثوبة الجهد ، وعقوبة الشر في هذه الحياة الدنيا بحيث لا يبقى من ذلك ما يحتاج استكمالاً إلى حياة أخرى بعد الموت .

وتفصيل هذه الروح في سائر أسفار العهد القديم فبأحد بعض الأسفار المتأخرة التي تفهد إشارات سريعة إلى الحياة الأخروية .

وربما كان توقيف هذه النزعة الجديدة مرتبطاً بالعمور النفسى لليهود وقد



تعرضوا لمظاهر القمع ، والقهر ، والاضطهاد ، وعرفوا حياة الفزق ، والخوف والعبودية - وكأنهم وقد خابت آمالهم في تحقيق السعادة على الأرض بدأوا يتطلعون إلى سعادة أخرى في السماء .

أو كأنهم حين عجزوا عن القصاص لأنفسهم في الدنيا شرعوا يحملون بقصاص عادل في يوم عصيب .

يقول ( فرويد ) : ( أما الديانة اليهودية المبكرة فقد تخلت كلية عن فكرة الخلود ولا يرد في أى مكان فيها احتمال الحياة بعد الموت )<sup>(١)</sup>

ويقول الدكتور محمد جابر عبد المال الحينى : ولعل أشمل ما ورد ما جاء بتاريخ ابن الفداء وهو قول يشاركه فيه غيره من كتاب الفرق القدماء قال : وليس في التوراة ذكر للقيامة ، ولا الدار الآخرة ، ولا فيها ذكر للبعث ، ولا الجنة ، ولا النار وكل جزاء فيها فإنما هو مجمل في الدنيا - فيجزون على الطاعة بالنصر على الأعداء وطول العمر ، وسعة الرزق . ويجزون على الكفر ، والمعصية بالموت ، ومنع القطر والحيات ، وأن ينزل عليهم بدل المطر القبار ، والظلمة - وليس فيها ذم الدنيا ، ولا الوعد فيها ، ولا صلاة معلومة بل الأمر بالبطلالة ، والقصف والهز .

وهذا التصور ليس بمبدا من اليهودية - لأنهم قليلا ما أشاروا إلى حياة أخرى بعد الموت - كما أنهم لم يوردوا شيئا في أسفارهم عن الخلود في الحياة الأخرى لأن الثواب ، والجزاء يصحبان المرء في حياته .

ولم تذهب اليهودية إلى فكرة البعث إلا بعد أن فقدوا الأمل في استعادة

---

( ١ ) موسى مصرياً ، ونظرية فرويد في التاريخ اليهودي ، لمحمد الدوب

سلطانهم على الأرض ، ومن ثم ففى فكرة متأخرة فى التاريخ اليهودى ،<sup>(١)</sup>  
ويقول الأستاذ العقاد ، وقد دخلت المكتب الإسرائيلية من ذكر البحث  
واليوم الآخر . . .

فالارض السفلى ، أو الجب ، أو الفيول هى الهاوية التى تهوى إليها  
الاجسام بعد الموت ، ولا نجاة منها لميت وأن الذى ينزل الى الهاوية لا يصعد .  
وأول إشارة ليوم البحث وردت فى الإصحاح الرابع والعشرين من كتاب  
أشعيا الذى عاش حوالى القرن الثالث قبل الميلاد - وفيه نبوءة عن يوم يطلب  
الرب جند العلاء فى العلاء ، ويجمعون جمع الاسارى فى السجن ، وينجسون  
القمر ، وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك فى جبل صهيون ، وفى  
أورشليم .

وفى الإصحاح السابع والعشرين بعده أن الرب يعاقب بسيفه القاسى الشديد  
فى ذلك اليوم لباسان الحية العارية ، ويقتل التنين الذى فى البحر .

ومن أحوال ذلك اليوم كما جاء فى الإصحاح الخامس والعشرين أن رب الجنود  
يصنع لجميع الشعوب ولغة السماء ولغة الحر حل دردى سماء ممخة دردى مصق .

وجاءت إشارة أخرى إلى يوم البحث ، والهيئوة فى الإصحاح الثانى من  
كتاب دنيال وهى أصرح من الإشارات السابقة حيث يقول فيها النبى : أن  
كلهم من الرافدين فى تراب الأرض يصنقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية .  
وهؤلاء إلى عار الإزدراء الأبدى .

---

(١) فى العقائد والأديان - ٢١٦

وبلاحظ أن كتاب دنيال لا يحسب من كتب العهد القديم في جميع النسخ .  
ويرجع تاريخ هذه النبوة إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد حوالى سنة  
مائة وخمس وستين .

وإذا كان الثواب والعقاب قبل ذلك نصرا يؤتاه الإسرائيليون على الأعداء  
أو بلاء يصابون به على أيدي الأقوياء جزاء لهم على خيانتهم ياهو ، وعبادتهم  
غيره من أرباب الشعوب (١) .

ونكتفى بهذه النصوص في تأكيد ماقررناه من أن أسفار العهد القديم قد أغفلت  
الحديث عن الآخرة ، واعتبرت الموت هو المشهد الختامى في حياة الانسان الحافلة  
بمواقف العمل ، والجزاء فيها عدا بعض الأسفار المتأخرة التى تضمنت إشارات  
سريمة إلى الحياة الآخروية كتعميد عمالقي اليهود من مرارة ومعاناة .  
وعلى هذا نقصر حديثنا بعد هذا التمهيد على قضيتين اثنتين - الألوهية ،  
والنبوءات .

### أولا - الألوهية :

يعرف اليهود إلههم بإسم ( يهوا ) أو ( ياهو ) وهو إسم أطلقه الإله على  
نفسه كما تذكر التوراة .

وقد ورد في سفر الخروج ، وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل  
ياهو إله آبائكم إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا  
إسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فدور (٢) .

---

(١) عباس محمود العقاد في كتابه الله ص ١٠٩

(٢) الخروج ، الإصحاح الثالث

فياهو إذن هو الإسم الأعظم الذى يضم كل وجوه السموات والسموات .  
وفى بيان معنى هذا الإسم ، أو تفسير هذه التسمية يقول الأستاذ العقاد  
« وهو إسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق - فيصح أنه من مادة الحياة - ويصح  
أنه نداء لضمير الغائب لأن بنو إسرائيل كانوا يتقنون ذكره توفيرا له ، ويكتفون  
بالإشارة إليه ، ويصح غير ذلك من الفروض » (١) .

وقد نسبت الكتب اليهودية المقدسة إلى (ياهو) عددا من الصفات التى تصور  
اليهود أنها مظاهر قداسة ، وجوانب كمال ، أو أنها لانفادى مع مقتضيات الألوهية  
على أقل تقدير .

ولعل أكثر هذه الصفات وضوحا فى كتبهم ، وورودا على ألسنتهم ثلاث  
صفات هى :

( أ ) التفرد بالخلق .

( ب ) التجسد .

( ج ) القوة ، والحدة ، وسرعة اتخاذ القرار .

ونلقى الضوء على كل من هذه الصفات الثلاث حسب ما جاء فى كتبهم المقدسة .

(١) التفرد بالخلق .

يقرر اليهود أن (ياهو) كان ولم يكن شئ معه ، وأنه حين اتجهت إرادته  
إلى ظهور العالم خلق الكائنات المختلفة وحده دون أن يكون له معين ، أو شريك .  
ثم ويمرر سفر التكوين قصة خلق العالم فيقول :

(١) الله ، ص ١٠٨

وفي البدء خلق الله السموات والارض ، وكانت الارض خربة ، وخالية على وجه الغمر ظللة وروح الله يرفعه ، وجه المياه ، وقال الله ليسكن نور فمكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة - ودعا الله النور نهرا ، والظلمة دعاهما ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا .

وقال الله ليكون جلد في وسط المياه ، ليكون فاصلا بين مياه ، ومياه ، فعمل الله الجلد وفصل التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء وكان صباح وكان مساء يوما ثانيا ، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضا ، وجمعت المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لتنبث الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا وشجرا مثمرا يعمل ثمرا كجنسه بذره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبذر بذرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بذره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا ، وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون آيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين - النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم وجعلها الله في جلد السماء لتنير .

ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما رابعا ، وقال الله لتتقضى المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطير طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، وخلق الله التنايين العظام وكل ذرات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن .

وباركها الله قائلا أثري واكثري واملئ المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يوما خامسا .

وقال الله لتخرج الأرض أنفسا حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش  
أرض كأجناسها ، وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم  
كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله  
نعمل الإنسان على صورتنا كصورتنا فيساطون على سمك البحر وعلى طير السماء ،  
وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله  
الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقتهم وباركهم الله  
وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر ،  
وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض .

وقال الله لاني قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذرا على وجه كل الأرض ، وكل  
شجر فيه ثمر شجر يبذر بذرا . لكم يكون طعاما . ولكل حية ان الأرض ،  
وكل طهر السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب  
أخضر طعاما كان كذلك

ورأى الله كل عمله - فإذا هو حسن جدا ، وكان مساء ، وكان صباح يوما  
سادسا ، (١) .

وهكذا يعرض سفر التكوين قصة خلق السموات ، والأرض ، وما فيهن  
في ستة أيام وينسب ذلك كله الى الله تعالى دون أن يكون له ند أو شريك على  
نحو ما نجد في الأديان الوضعية كالبرهمية ، والورادشية .

وبذلك تكون اليهودية ديانة توحيد خالص فيما يتعاق بمسألة الخلق .

ولكن الأمر لا يستمر على هذا النمط من القوة ، والاستقامة كما سنرى  
بعد قليل .

---

(١) الإصحاح الأول .

### التجسيد :

الطبيعة اليهودية بشكل عام أقرب الى المادية منها الى الروحية ، وأميل إلى التجسيد منها إلى التجريد .

وقد انعكس ذلك على فكرتهم عن الله ، فلم يستطيعوا أن يتصوروه كائناً سامياً منزهاً عن المادة ، ولوازمها - وإنما تشير كتبهم المقدسة في كثير من المواضع إلى ماديته وتحمده وتمثله في أشياء قرروا أنها من خلقه .

فقد كانوا يتمثلونه في رحلاتهم وأسفارهم أمامهم يهديم شعاب الطريق متمثلاً في عمود سحاب أو عمود نار .

وعن ذلك تقول التوراة بصدد الحديث عن خروج بني إسرائيل من مصر : وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحاب يهديم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضئ لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يهوج عمود السحاب نهاراً ، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب ، (١) .

وإذا كانت أفضل سمات الرب تتم حين يتقمص جسد إنسان - فقد نسبوا إليه كثيراً من اللوازم الإنسانية حتى ما تقهر منها بالضعف ، والمجز ، والقصور - فهو يتعب ويستريح ، ويندفع ، ويندم ، وينازل ، وينهزم ، ويسلم لخصمه ، ويخضع للأمر الواقع .

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

ونسوق الآن من نصوص الكتب المقدسة ما يتضمن الإشارة إلى هذه العقائد الباطلة .

---

(١) سفر الخروج ، الإصحاح الثالث عشر .

وقد ورد في سفر التكوين بعد قصة الخلق ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدره لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل لها خالقا ، (١) .

وفي سفر صموئيل الأول بعد أن خالف شاول ملك بني إسرائيل أمر ربه في القتال .

وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا : اذهب على إني قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي ، (٢) .

وتحدث التوراة عن موقف من مواقف يعقوب حصل فيه على بركة الرب فسماه بإسرائيل إشارة إلى قوته ، وصموده - تقول التوراة :

« ثم قام في تلك الليلة ، وأخذ إسرائيل ، وجاريته ، وأولاده الأحد عشر ، وعبر مخاضة يبرق - أخذهم ، وأجازهم الوادي ، وأجاز ماكان له ، فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر .

ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فاخلع حق فخذه يعقوب في صارعته معه .

وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر - فقال له لا أطلقك إن لم تباركني .

فقال له ما إسمك - فقال له يعقوب - فقال لا يدهي إسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل - لأنك جاهدت مع الله ، والناس ، وقدرت .

---

(١) التكوين ، الإصحاح الثاني .

(٢) صموئيل الأول الإصحاح الخامس عشر .

( م ٥ - قصة الأديان )



وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك ، فقال لماذا تسأل عن إسمي وباركك هناك ،  
فدعا يعقوب إسم المكان فنيائيل . قائلا لاني نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت  
نفسى<sup>(١)</sup> .

( ج ) القوة ، والحدة ، وسرعة اتخاذ القرار .

وعلى الرغم مما يعترى يهوا أحيانا من الضعف ، والخنوع - إلا أنه في أكثر  
الاحيان قوى عنيف يطر اللعنات على رؤوس مخالفيه بغير حساب - وتفسح  
نقمة لتفعل النساء والاطفال ، والديوخ المسلمين . بل وتفسح أكثر لتفعل  
مع هؤلاء البهائم ، والطيور التي يملكها الأعداء .

ولا يخفى يهوا اللهوى بتدمير جيل المخالفين - بل قد يصل لإنتقامه إلى  
الجيل الثالث ، والرابع من أحفادهم . وهكذا يعذب الأبناء بذنب الآباء ،  
والأحفاد بجرمة الأجداد .

ويتحدث التلمود عن الرب فيقول : صوت الرب قوى ، صوت الرب على  
بالجلال ، صوت الرب مكسر الأرض ، بل الرب يفتت أرض لبنان ، صوت الرب  
يقدر لب النار ، صوت الرب يزلزل البرية ، يزلزل برية قادش ، صوت الرب  
يولد الإبل ، ويعمل الغابات جرداء ، وفي ميكله الكل قاتل المجد لله ،<sup>(٢)</sup> .

وبما يعكس الروح التدميرية ليهوا ماورد في تنويج شاول ملكا على  
بنى إسرائيل .

• وقال صموئيل لشاول أياى أرسل الرب لمساعدك ملكا على شعبه إسرائيل ،

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الثانى والثلاثون .

(٢) الدكتور محمد جابر عبد الوهاب الحينى ، فى العقائد والأديان ص ٢٢٢

والآن فاسمع صوت كلام الرب هكذا يقول رب الجنود إنى قد أفنقت ماعمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صموده من مصر .

فآلآن اذهب ، واضرب عماليق ، واحرمه كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا ، وامرأة ، وطفلا ، ورضيعا ، وبقرًا وغنما ، وجلا وحمارا ،<sup>(١)</sup>

وقد يغضب يهوا على أصفياهه اسبب ما - فلا يمنهم نعمة العفو أو فرصة الاعتذار وإنما يصيبهم بنقمته . ويصيب نسلهم كذلك .

ومن أوضح القواعد على ذلك ما نقصه التوراة من وعيده لآدم ، وحواء على أثر مخالفتها بالاكل من الفجرة .

والنص الذى سنسوقه ينسب إلى يهوا بعض اللوازم البشرية الأخرى كالنزه والتجسد وقصور العلم - إلى حد أنه كان على الدهن تماما من معصية آدم ، وزوجته حتى اعترفا له بذلك .

تقول التوراة :

« سمع صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاخبتا آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم ، وقال له أين أنت ، قال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاخبتات ، فقال من أهلك أنك عريان ، هل أكلت من الفجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت ، فقالت المرأة : الحية أغرتنى فأكلت ، فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ،

---

(١) صموئيل الأول ، الإصحاح الخامس عشر .

على بطنك تسمين ، و ترابا تأكلين ، كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نفسك ونسلكها ، هر يسحق رأسك وأنت تصحقين عقبه ، وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعابك حبلك ، بالوجع للدين أولاداً ، إلى رجلك يكون اشقيافك وهو يسود عليك ، وقال لآدم لأنك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك ، بالنعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً فثبت لك وتأكل أعشاب الحقل بهرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخرجتك منها لأنك تراب وإلى تراب تعود ، (١) .

وقد يتنبه ياهو في ثورته الجاهلة إلى خطئته في رأى ، أو تطرفه في قراره فيرجع إلى سلمه ، ويعدل عن قراره ، بل قد يقبح ذلك بالندم على سرعة اندفاعه وحدة انفعاله .

يتمثل هذا واضحاً في عفوه عن عبدة العجل بعد مراجعة موسى له وتذكيره بمواثيقه السابقة .

وتعرض التوراة القصة كاملة فنقول :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطل في النزول من الجبل - اجتمع الشعب على هارون وقال قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون أنزعوا أفراس الذهب التي في آذان نسائكم وبنينكم وبناتكم وآتوني بها ، فنزع كل الشعب أفراس الذهب التي في آذانهم وآتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالآزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكة ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الثالث .

مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامهم ، ونادى هارون وقال هذا عيد الرب  
فبكروا في العيد واصنعوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة .

وجلس الشعب الأكل والشرب ، ثم قاموا للعب ، فقال الرب لموسى اذهب  
انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، ذاغوا سريعا عن  
الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسجورا وسجدوا له وذبحوا له ، قالوا  
هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، وقال الرب لموسى رأيت  
هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم  
فأصيرك شعبا عظيما .

فنصرع موسى أمام الرب الإله وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك  
الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة ، لماذا يتكلم المصريون  
قائلين أخرجهم بغيث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ، ارجع عن  
حو غضبك وأندم على الشر بشعبك أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك  
الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نساكم  
كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد فقدم الرب على الشر  
الذى قاله أنه يفعله بشعبه ، (١) .

ولمى جانب ما يفيد النص السابق من عدول ياهو عن قراراته عند مراجعته  
وتنبيهه إلى الصواب - فإنه يشهد أيضا إلى مرحلة من مراحل تصدور اليهود  
للألوهية وهى المرحلة التى ضاقت فيها مداركهم عن تصور إله لا يسمعون  
صوته ، ولا يرون صورته - فاتخذوا من حلبيهم عجلا جسدا له خوار .

---

(١) الخروج ، الأصحاح الثانى والثلاثون .

وهناك مرحلة ثالثة وأخيرة وفيها تخلصوا من تصور يهوا مشدودا بقيود  
الجسمية والمكان فتصوروه إلها مجردا يعلم أحوالهم ، ويرحم ضعفهم طوال ساعات  
الليل والنهار وأيا كان المكان الذى يمرون به ، أو يقيمون فيه .

وقد كانت هذه المرحلة الراقية فى التصور والتى انتهى إليها اليهود فى القرن  
السادس قبل الميلاد تتفق تماما مع أوضاعهم السياسية والاجتماعية حين تعرضوا  
الأسر البابلى بكل ما صحبه من تمزق وتشات وهوان .

فى إذن ثلاث مراحل مر بها التصور اليهودى الألوهية .

لإحداها كان الإله فيها متصفا بالخلق والقوة مع أضافه بالجسمية وبعض لوازمها .  
والثانية تصور فيها عجلا مسبوكا من الذهب .

والمرحلة الثالثة ارتقى فيها التصور الى النحو من التجريد يلىق بذات الإله .

ويلخص الأستاذ المقاد التصور اليهودى للإله فى بعضى مراحلها فيقول :

( وعبدوا الإله بإسم د ايل ، لانه القوى فى اللغة الآرامية ) .

ولكن الاسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زمانا يصفون الإيل بالصفات  
البشرية — ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية كما فى إسم د هامليل ، من العمومة  
أو د ايل أب ، من الأبوة وغه ذلك من أواصر الأسرة البشرية .

وظلوا إلى ما بعد أيام موسى عليه السلام ينصبون إلى الإله أعمال الإنسان  
وحركاته فيذكرون أنه كان يمشى فى الجنة ، وأنه كان يصارع ، ويأكل ويشرب  
ويغشى مركبات الجبال ، وأنه دفن موسى حين مات فى مآب <sup>(١)</sup> .

## (ثانياً)

### النبوءات

آمن اليهود بضرورة الرسل والأنبياء مبلغين عن يهوا ما يريد أن يشرعه للناس من طقوس العبادة وأنماط السلوك .

وقد أشرنا فيما قبل إلى أن الله قد أرسل إليهم عددا كبيرا من الرسل الذين كانوا يحددون فيهم الشعور الدينى كلما انحرف بهم الهوى عن جادة الطريق وقد عللنا كثرة الرسل للذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل بسرعة زيفهم عن الحق وشدة قابليتهم للانحراف .

ولهذا السبب نفسه لا نوجب حين نزام متقلبين على أنبيائهم متمردين عليهم ولعل في نص عبادة المعجل الذى أوردناه منذ قليل ما يشير إلى هذه الحقيقة أما اعتقادهم النظرى فى الأنبياء فيقسم بكثير من السفاهة والانتفاص ولا يستلنى من ذلك الأنبياء الذين ينتسبون إليهم ويتعصبون لهم الأمر الذى يدل على أنهم قد يصدرن فى عقائدهم عن تصورهم المادى للأمور وحكمهم المختل على الأشياء .

والصورة العامة التى ترسمها أسفارهم المقدسة للأنبياء إنما هى صورة قائمة تبعث على التقذذ والغيثان .

فهم بشر كسائر البشر تصدر عنهم الرذائل النفسية المخزية ويقبلون على دنايا الأمور فى غهر وعى أو فى غهر اكتراث .

ونؤيد الآن ما قلناه بالاشواهد من أسفار اليهود المقدسة فنعرض لتصوير

هذه الأسفار المنسرفة طائفة من الأنبياء الذين يمتاز بهم بنو إسرائيل ومنعرت إلى أى حد كانت هذه الأسفار تصور طبيعة الشعب اليهودى لا طبيعة هؤلاء الأنبياء الأجلاء .

فروح عليه السلام يشرب الخمر ويسرف فى سكره حتى يتعمى ويكون أضحوكة لبعض بنيهِ .

تقول التوراة وابتدأ نوح يكون فلاحا وخرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعمى داخل خبائه فأبصر ( حام ) أو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا فأخذ ( سام ) و ( يافث ) الرداء ووضعا على أكتافه ومشيا إلى الورا وستر عورة أبيهما ووجهاهما إلى الورا فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال : ماعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبد لهم ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم (١) .

ويطلب على الظن أن وراء النص سرا سياسيا خطيرا هو محاولة تفضيل الساميين ومنهم اليهود على الكنعانيين الذين كان اليهود أنفسهم يناصبونهم العداء وينازعونهم على أرض فلسطين .

فإذا انتقلنا إلى إبراهيم عليه السلام فإن التوراة تصف رحلته إلى مصر فنصيب إليه واقعة يظهر فيها التهاون بالشرف والتماس الرزق والأمن على حساب العرض والفضيلة فقد ورد فى سفر التكوين ( وحدث جوع فى الأرض فانهدر إبراهيم إلى مصر لينترب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديدا وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساى امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا

---

(١) سفر التكوين الإصحاح التاسع .

رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويسبقونك فولى أنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأبن وجال فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارى امرأة إبرام فدعا فرعون إبرام وقال له ما هذا الذى صنعت بى لما ذا لم تخبرنى أنها امرأتك لما ذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى والآن هى امرأتك خذها واذهب فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامراته وكل ما كان (١) .

والغريب أن التوراة عادت فنسبت مثل هذه الواقعة إلى إبراهيم مع ملك جرار كما نسبت مثل ذلك إلى كل من إسحاق ولوط عليهما السلام (٢) .

أما داود فيصوره العهد القديم ملكا عربيدا مهفولا بإشباع شهواته النهمه وإرضاء رغباته الجامحة وهو لا يبالى فى سبيل تحقيق ذلك بأن يكذب ويمتال بل أنه الإستييح فى سبيل شهواته هدم أسرة مستقرة وقتل زوج برى .

ولنستمع إلى هذه القصة التى تتنافى مع أبسط أصول الأخلاق والتى تعين نسبها أى رجل عادى فضلا عن أن يكون بطلها واحدا من أنبياء الله الأطهار .

(وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملك أن داود أرسل يواب وهبيده معه وجميع إسرائيل فأخرجوا بنى عمون وحاصروا ربه وأما داود فأقام فى أرشليم وكان فى وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك

---

(١) التكوين الثاني عشر .

(٢) التكوين الأصحاح السادس والعشرون .



فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليس هذه بشعبيع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئنها ثم رجعت إلى بيتها وحملت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبل فأرسل داود إلى يوأب يقول أرسل إلى أوريا الحثي فأرسل يوأب أوريا إلى داود فأنى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوأب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا أنزل إلى بيتك واغسل رجلك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراة حصنة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداود إن الثابت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوأب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وضدا أطلقك فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاء داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل .

وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوأب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكان في محاصرة يوأب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي هلم أن رجال البأس فيه فتخرج رجال المدينة وحاربوا يوأب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا<sup>(١)</sup> .

---

(١) سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح الحادى عشر .

ثم جاءت الرسل إلى داود بأخبار القتال وعلمت زوجة أوريا بقتل زوجها فلما أنهت المناحة ضمها داود إلى نسائه .

هذه هي الصورة المؤسفة التي ترد عليها قصة داود في العهد القديم . ولم يكن ولده سليمان بأسعد حالا منه عند اليهود فقد زعموا أنه في أواخر أيامه كان يتسكسل عن الذهاب إلى الهيكل وأنه اتخذ تائبيل يتقرب إليها بالعبادة<sup>(١)</sup> وليس بعيد نص التوراة الذي ينسب إلى هارون أنه اتخذ المعجل ليسكون الها لبني إسرائيل .

ولم ينج موسى نفسه من مفتريات اليهود فرعوا أنه قتل أخاه هارون تبرما به وحققاً عليه لما رأى تعلق قلوب بني إسرائيل به والتفافهم حوله .

ولم يقف سفه اليهود عند حد التطاول على مقام الأنبياء وهو وحده لثم لا يرجعه في الشناعة إلا لثم التطاول على الله وإنما امتد تطاولهم إلى بيوت هؤلاء الأنبياء كذلك فبى عندهم مسارح هزيلة تفهد من روايات الفسق والفوضى ومؤامرات الدهس والحياة ما يندى له الجبين ، ونكتفى هنا بعرض مثلين عما تقوله التوراة عن هذه البيوت التي صانها الله عن مواطن الريبة ومظان السوء .

أما أحدهما فمن بيت لوط وقد اعتزل الناس ببنييه في بديع بالجبل فاحتالبا عليه وأسكرتاه وعاشرتاه معاشرة جنسية وحلنا منه في ليلتين متتاليتين وعن ذلك يقول الكتاب المقدس : وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وأبنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وأبنتاه وقال البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كمادة كل الأرض

---

(١) راجع معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ص ٢٩٣ .

هلم نصق أبانا خمرًا واضطجع معه فنحبي من أبينا نسلا ودخلت البكر واضجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إنني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرًا الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحبي من أبينا نسلا فسقنا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً وتامت الصغيرة أيضاً واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها لحبلت أبلتنا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه «وآب» وهو أبو المآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم<sup>(١)</sup>».

وأما المثل الثاني من الأراجيف اليهودية حول بيوت الأنبياء فهو ما يحكيه التوراة من أمر رفقة زوجة إسحاق مع ولدها يعقوب ضد ولدها الآخر عيسو الذي كان أحب الولدين إلى نفس إسحاق . وهدف المؤامرة هو أن ينتصب يعقوب حق عيسو في بركة أبيه تقول التوراة : « وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا بني فقال له ها أنا ذا فقال إن قد شئت واست أعرف يوم وفاتي فالآن خذ عدتك جميعتك وقوسك وأخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً وأصنع لي أطعمة كما أحب وأنتى بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت .

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأني به وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إنني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً أنتى بصيد وأصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي فالآن يا بني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من الممر فأصنعهما أطعمة لأبيك كما تحضرها إلى أبيك ليأكل حتى

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح التاسع عشر .

بباركك قبل وفاته فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسوا أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس ربما يحسنى أبى فأكون فى عينيه كتهانن وأجلب على نفسى لعنة لا بركة فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى اسمع لقرلى فقط وأذهب خذلى فذهب وأخذه وأحضر لأمه أطعمة كما كان أبوه يحب وأخذت رفقة ثياب عيسو أبناها الأكبر الماخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب لبناها الأصغر وألبست يديه وملأته عتقه جلود جدي الممز وأعطت الأظعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب أبناها .

فدخل إلى أبيه وقال يا أبى فقال هأنذا من أنت يا بنى فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بركك قد فعلت كما كلمتني فم أجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك فقال اسحاق لابنه ما هذا الذى أسرعت لتجد يا بنى فقال إن الرب إلهك قد يسرلى فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسلك يا بنى أنت هو ابنى عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى اسحاق أبيه لجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشمرتين كيدي عيسو أخيه وباركه وقال هل أنت هو ابنى عيسو فقال أنا هو فقال قدم لى لأكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى فتقدم فأكل وأحضر له خمر فشرب فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه . وقال أنظر رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب وتسجد لك فبأهل كن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكون لأخوتك ملعونين ومباركوك مباركين وحدث عندما فرغ اسحاق من بركة يعقوب وقد خرج من لدن اسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيد فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقيم أبى وليأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك فقال له اسحاق أبوه من أنت فقال أنا أبوك بركك عيسوا فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال فمن هو الذى اصطاد صيداً وأتى به إلى فأكلت من الكل قبل

أن تهىء. وباركته نعم ويكون مباركا فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه باركنى أنا أيضا يا أبى فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك (١) .

وتكمل التوراة القصة فتذكر أن عيسو حقد على أخيه يعقوب وفكر في قتله فنصح اسحق ورفقة ولدهما يعقوب بالهرب إلى دار خاله لابان بفاد أن آرام فهرب إلى هناك حيث اتخذ له زوجة من بنات خاله وكان أبوه قد دعا له الرب أن يجعله مثمرا ويكثره فيكون جمهورا من الشعوب ويعطيه بركة إبراهيم له وللسلّة معه حتى يرث أرض غربته التى أعطاهما الله لإبراهيم .

ولا يفوتنا في ختام هذا البحث أن نهيىء إلى أن إيذاء اليهود لأنبيائهم لم ينحصر في تلفيق التهم وصنع الأكاذيب ولا في مجرد الانصراف عنهم ورفض دعواتهم وإنما وصلوا في الإيذاء إلى أقصى غاياته وأبعد حدوده فقد قتلوا عددا من أنبيائهم لينعرسوا بذلك صوت الحق ويطفئوا نور الله وما هم بقادرين .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فظائعهم في قوله سبحانه ( ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ) (٢)

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاحان السابع والعشرون والثامن والعشرون .

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٧٠ .

## المبحث الثالث

### في الشريعة

تعد الشريعة اليهودية منهجا شاملا يغطي مختلف نواحي الحياة فهي تنظم علاقة المرء بربه وعلاقته بغيره من أبناء جنسه ومن أبناء الاجناس الاخرى ، وتقدم تصورات واضحة ، العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، والانكحة ، والموارث وهذا هو ما نقصده هنا بمعنى الشمول .

ومحاول الآن أن نلقى الضوء على أهم المجالات الشرعية عند اليهود .

### ( أولا )

## في الزواج ونظام الأسرة

### ١ الزواج وتعدد الزوجات :

نحث اليهودية على الزواج وترغب فيه ، ويدور هذا مرتبعا باتجاههم إلى كثرة النسل محافظة على بقاء النوع في الشعب اليهودي ، وامتداده عبر العصور ، والسن المفروضة لصحة الزواج هي الثالثة عشرة للرجل والثانية عشرة للمرأة . ولكن يجوز نكاح من بدت عليه علامات بلوغ الحلم قبل هذه السن ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة إلا إذا حالت دون ذلك أسباب صحية أو مادية ، وتسمح الشريعة اليهودية أن يتزوج الرجل من كانت زوجته لعمه ومن كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه ولا تحمل الرضاع سببا للتحريم .

وفىما يتعلق بزوجة الأخت المتوفى قد نصت التوراة على أنه إذا لم يكن للمتوفى ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي بل يدخل عليها أخو زوجها ويتخذها امرأة لنفسه والبكر الذى تلده يقوم بإسم أخيه الميت لتلا يحمى إسمه من إسرائيل (١) .

فإن رفض أخو زوجها أن يبنى بها فإن التوراة تذكر ما ينبغى عمله حيثئذ فقد ورد ( وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لإخيه إسمى فى إسرائيل لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج فيدعوه شيوخ مدينة ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها تتقدم امرأة أخيه إليه أمام الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه فيدعى إسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل (٢) .

والزواج فى اليهودية صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة للرجل تهترى من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق .

ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة وقدم الرجل للمرأة هدية لها قيمة فى حضور شاهدين على الأقل ويعتبر ذلك مقددا . وإذا حضر العقد عشرة رجال أو أكثر أتبع العقد بصلوات وأدعية يشترك فيها الجميع ومن تقاليد الفكر اليهودى أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالجليش ولا يرتبط بأعمال تبعده عن زوجته مدة عام - فمهر العسل فى الفكر اليهودى عام كامل .

وعلى الزوجه مهما بلغت مكاتها أن تقوم بالأعمال اللازمة لبيتها .

---

(١) اليهودية للدكتور شلبى ص ٢٩٨/٢٩٩

(٢) سفر التثنية ، والاصحاح الخامس والعشرون .

ويحدد ( آرثر هرتزبيرج ) دور المرأة في أعمال المنزل فيقول (إن على المرأة أن تطبخ الحبوب . وتحبز وتفصل الملابس وتطبخ . وترضع ولها . وتنظف البيت وتنظفه . وتفزل وتخييط الثياب ولاكنها إذا أحضرت خادما تابعا لها من بيت أبيها فإنها تعنى من الطبخ والحبز والنسيل وإن أحضرت خادمين معها أعفيت من الطبخ والرضاعة وإذا أحضرت ثلاثة فإنها تعنى من تنظيف البيت وتنظيمه ، وإذا أحضرت أربعة فإنها تعنى من كل الأعمال ولكن ربى ألور يقول إن الزوجة إذا أحضرت معها مائة خادم فإنها لا تعنى من الغزل ولزوجها أن يرغبها عليه لأن البطالة تقود إلى الفساد<sup>(١)</sup> .

أما تعدد الزوجات فهو جائز في اليهودية دون قيد أو حد ، وقد نسبت الأسفار المقدسة التعدد إلى كثير من أنبياء بنى إسرائيل .

يقول ( جوستاف لوبون ) ( وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعا كثيرا لدى بنى إسرائيل على الدوام وما كان القانون المدنى أو القرصى ليعارضه<sup>(٢)</sup> .

وغير اليهود يعتبرون وثنيين في نظر اليهود ومن أجل هذا لا يميزون زواج اليهودى أو اليهودية من غير اليهود .

أما الطلاق فحق مباح للزوج الذى تكون المصمة بيده دائما ولا ترتب عليه أى حقوق مادية للزوجة سوى مؤخر العداق .

ومع ذلك فهناك صورة واحدة يحرم فيها الزوج من ممارسة حقه في الطلاق ويصبح ارتباطه بزوجته ارتباطا أبديا .

---

(١) كتاب اليهودية للدكتور هلبى ٢٠١

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٩



وقد تحدث سفر التلمنية عن هذه الصورة على النحو التالي ( إذا اتخذ رجل امرأة، وحين دخل عليها أبغضها ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها إثمًا ردبا وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة يأخذ الفتاة أبرها وأمها ويخرجان علامة عذريتها إلى شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويفرمونه بمائة من الفضة ويهبطونها لآبي الفتاة لأنه أشاع إثمًا ردبا عن عذراء من إسرائيل فتسكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه (١) .

وفي مقابلة الزواج الأبدى الذى لا انفصام له نتحدث عن الطلاق النهائي الذى لا رجعة فيه ذلك لأن من حق المطلق أن يراجع مطلقته ما لم تزوج غيره فإن تزوجت غيره ثم طلقها الزوج الثانى أو مات عنها لم يجز للزوج الأول أن يعود إلى مطلقته لأنها قد تنجست بزواجها الثانى فأصبحت مراجعة الزوج الأول لها من الإثم والعار (٢) .

#### الميراث :

تؤول تركة الميت إلى أولاده على أن يستأثر الولد الأكبر بسهمين ثم يقسم باقى التركة بين بقية الأولاد للذكر مثل حظ الانثيين .

على أن الأنثى لا تراث إلا إذا بلغت الثانية عشرة فإن كانت أصغر من ذلك حرمت من الميراث وعلى الورثة رعايتها والإنفاق عليها من تركة أبيها .

فإن لم يكن له أولاد آلت التركة إلى أصوله ، فإن لم يكن له أصول فإن حيازة التركة تكون حينئذ من حق الفروع .

---

(١) سفر التلمنية ، الاصحاح الثانى والعشرون .

(٢) اليهودية للدكتور شلبى ص ٢٩٨

وفي حالة عدم وجود ورثة شرعيين تصير التركة إلى حيازة أول من يضع يده عليها من المعارف والجيران فإن ظهر للبيت وارث خلال ثلاث سنوات سلمت إليه وإلا أصبحت ملكا شرعيا لمن هم في حيازته<sup>(١)</sup> .

## ( ثانيا )

### في الجنايات والحدود

تنص اليهودية على تجريم طائفة من الأفعال الفاضلة وتبج كلا منها بمحده المقدس قصاصا من الجاني وردعا لغيره .

ونسكتفي هنا بالحديث عن الزنى والقتل والسرقة بوصفها جنايات شرعية لها عقوباتها المقدرة في الشريعة .

#### ١ - الزنى :

تستجيب اليهودية الزنى وتنفر منه في كثير من المواضع المتناثرة في أسفار العهد القديم ولا سيما في التوراة .

وعقوبة الزنى كما تنص التوراة هي القتل رجما إلا في صورتين أحدهما المخطوبة إذا دلت ملابسات الفعل على أنها مكرهة .

والصورة الثانية إذا كان أحد طرفي الجريمة فتاة غير مخطوبة ولا متزوجة فإنه يكتفى بفرض الزواج على الطرفين زواجا مؤبدا لا طلاق فيه .

تقول التوراة ( وإذا وجد رجل مضطجع مع امرأة زوجة رجل يقتل الإثنين الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتزج الشر من إسرائيل .

---

(١) لليهودية للدكتور شلبي ص ٢٩٧

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدوها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوها .

كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجوهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك .

وإن كان إذا وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا ليس هل الفتاة خطيئة للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا هكذا الأمر أنه في الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها إذا وجد رجل فتاة عذراء غده مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجدوا يعطى الرجل الذي اضطجع معها لاني الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه (١) .

ولم تذكر الصورة الأخيرة مرجع صورة الزواج المؤبد لأن الزواج هنا لم يتم ابتداء على أساس التراضي فهو أدخل في باب العقاب .

## ٢ - القتل :

القتل جناية كبرى في كل الشرائع لأنه عدوان وحشى على أئمن منحة منحها الخالق وهي منحة الحياة .

وبغير سفر الخروج إلى أن للقتل أنواعا مختلفة وفروعها متباينة ، فنه القتل العمد وغير العمد ومنه المباشر وغير المباشر أى ما يكون بيد القاتل نفسه أو بفعل ثور يملكه .

ومن ثم تتمدد أحكام القتل وتختلف عقوباته .

---

(١) التفنية ، هـ الثاني والعشرون .

ويستتبع الحديث عن القتل الحديث عن بقية الجرائم الجسدية الأخرى من أنواع الكسور والجراحات .

ويجمل سفر الخروج أحكام ذلك كله على النحو التالي ( من ضرب إنسانا فإت يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يعتمد بل أوقع إقه فى يده فأنا أجمل لك مكانا يرب إليه .

وإذا بضى إنسان على صاحبه ليقتله بفدر فن عند مذبحى خذه للموت . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . . . . . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلسكة ولم يقتل بل سقط فى الفراش فإن قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا إلا أنه يعرض عن عطلته ويتفق على شفائه . وإذا ضرب إنسان عبده أو أخته بالعصا فإت تحت يده ينتقم منه لكن إذا بق يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله . وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يفرم كما يضح عليه زوج المرأة ويدفع بد القضاء ، وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين ، وسنا بسن ، ويذا بيد ، ورجلا برجل ، وكيا بكى وجرحا بجرح ، وردا برد ، وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أخته فأنفها يطلقه حرا عوضا عن عينه وإن أسقط سن عبده أو أخته يطلقه حرا عوضا عن سنه .

وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة فإت يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئا ولكن إذا كان الثور نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل ، إن وضعت عليه ، فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه .

إن نطح الثور عبدا أو أمة يعطى سيده ثلاثين شافل فضة والثور يرجم<sup>(١)</sup>.

(١) سفر الخروج والاصحاح الحادى والعشرون .

٣ - السرقة :

تفاوتت عقوبة السرقة تبعا لتفاوت قيمة الشيء المسروق فمن سرق إنسانا وباءه يقتل حدا ومن سرق ثورا يعوض عنه بخمسة نهران ، ومن سرق شاة يعوض عنها بخمسة من الغنم ، وإذا وجدت السرقة في يده حية ثورا كانت أم حمارا أو شاة يعوض عنها باثنين وتجزئ التوراة قتل السارق إن ضبط متلبسا بجنايته (١) .

وفيا عدا ذلك فعلى السارق أن يرد الشيء المسروق ونحو قيمته معه تعويضا للمالك عما ألحقته به الجناية من ضرر

مذه بعض الأمثلة للجنايات والحدود التي نصت عليها التوراة وهناك أمثلة أخرى لا ينسج لها هذا العرض السريع لجوانب الشريعة اليهودية .

( ثالثا )

العبادات والقرايين

١ - العبادات :

ترتبط معظم العبادات اليهودية بالأعياد والمواسم الدينية ، وتمتخذ العبادة في اليهودية مظاهر مختلفة ، فهناك الصلاة وهي عبارة عن أدهية وتسابيح يرفعها المصل إلى الرب .

وأما الزكاة فقرة إلى الله يأخذها المستحقون من الفقراء واللاويين المشرفين على شتون الهيكل وما ورد في التوراة عن الزكاة ( وكل عشر الأرض من حبوب

(١) الاصحااحان الحادى والعشرون والثانى والعشرون من سفر الخروج .

الأرض، وأثمار الشجر فهو قدس للرب ، وإن فك إنسان بعض عشرة يريد خمسة عليه وأما عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون قدسا للرب لا ينحصر أجيد هو أم ردى ولا يبدله وإن أبدله يكون هو وبديله قدسا لا يفك<sup>(١)</sup> .

والصيام عند اليهود أعماط مختلفة فنه الامتناع عن الطعام والشراب ومنه الامتناع عن بعض المباحات كتناول الخبز المخمر أو تناول ما فيه روح وقد أشرنا إلى شيء من ذلك من قبل .

أما الحج فقد كان ينحتم على كل يهودى ذكر ، رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام وأن يبقى به أسبوعا كل مرة ، يبدأ الأسبوع يوم الجمعة ، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون ويقودها السكينة واللاويون ، وقد قصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود إذا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتحدوا<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - القرايين :

تكثر الكفارات والقرايين في الديانة اليهودية ، كثرة ظاهرة وتندفع كلها إلى اللاويين الذين تخصصوا لخدمة الهيكل ، كصدر أسامى لسد نفقاتهم ، ونفقات الهيكل على السواء .

وأهم ما يذكر من ذلك .

( أ ) ذبيحة الإثم وهي تور يقدمه المذنب إلى الكاهن بعد أن يعترف بخطيئته وفي ذلك تقول التوراة ( إذا أخطأت نفس سهوا في شيء من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وعملت واحدة منها وإن كان الكاهن الممسوح يخطئ . لاثم

---

(١) سفر التلثة الأصحاح الثاني والعشرون .

(٢) اليهودية أحمد شلبى ( ٣٠٢ ، ٣٠٣ )

الضئب يقرب من خطيئته التي أخطأ ثور ابن بقر صحيحا للرب ذبيحة  
خطيئة (١).

### (ب) ذبيحة السلامة :

وذبيحة السلامة هي ثور يقدمه المرء إلى الكاهن بمناسبة نعمة أنعم الله بها  
عليه ولا بد أن يكون الثور صحيحا ، غالبا من العيوب التي تنقص من  
قيمته (٢).

### (ج) قربان الولادة :

تعتبر اليهودية الولادة من النجاسات التي لا تطهر منها المرأة إلا بالتكفير  
فعلينا أن تقدم إلى الكاهن زوجها من الحمام أو الحمام وبدون هذه الكفارة  
لا يتحقق لها التطهر من نجاستها .

وإن كانت موصرة فعلينا أن تقدم خروفا قربانا للرب ويعطينا سفر اللاويين  
بعض التفصيل في ذلك إذ يقول ( إذا حملت امرأة ولدت ذكرا تكون نجسة  
سبعة أيام كما في أيام طمس علتها نكون نجسة وفي اليوم الثامن يحنن لحم عولته  
ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهرها كل شيء مقدس لا تمس وإلى المقدس  
لا تهيء حتى تكل أيام تطهرها .

وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمسها ثم تقيم ستة وستين  
يوما في دم تطهرها ، ومتى كملت أيام تطهرها لاجل ابن أو ابنة تأتي بخروف  
حولى محرقة وفرخ حامة أو يمامة ذبيحة خطيئة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن  
فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من يذبح دمها ، هذه شريعة التي تلد ذكرا

---

(١) سفر اللاويين الأصحاح الثالث .

(٢) سفر اللاويين الأصحاح الرابع .

أو أنش وإن لم تمل يدها كفاية لهاة تأخذ يمانتين أو فرخى حمام - الواحد  
معرفة ، والآخرة ذبيحة خطيئة فيكفر عنها السكاكين فتطهر (١) .

#### ( د ) النذور :

النذر هو ما يلتزم المرء بتقديمه إلى الرب من قرابين دون أن تفرضه عليه  
الشريعة فإن كان الناذر رجلا لزمه أداء نذره شرعا - وإلا كان آثما .  
أما المرأة ففيها تفصيل تقرره التوراة على النحو التالي : وأما المرأة فإذا  
نذرت نذرا للرب والتزمت ببلانم بيت أبيها في صباحها وسمح أبوها نذرها  
واللازم الذي ألزمت نفسها به - فإن سكك أبوها لها ثبتت كل نذورها وكل  
لوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت .

وإن نهاها أبوها يوم سمعه - فبكل نذرها ولوازمها التي ألزمت نفسها لا تثبت  
والرب يصفح عنها - لأن أباه قد نهاها .

وإن كانت لزوج ونذورها عليه أو نطق شفتها الذي ألزمت نفسها به وسمح  
زوجها فإن سككت في يوم سمعه تثبت نذورها ولوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت .  
وإن نهاها زوجها في يوم سمعه فسخ نذرها الذي عليها ونطق شفتها الذي  
ألزمت نفسها به ، والرب يصفح عنها .

وأما نذر أرملة أو مطلقة - فبكل ما ألزمت نفسها به يثبت عليها (٢) .

#### ( رابعا )

### المواسم والأعياد

المواسم والأعياد في الشريعة اليهودية مقترنة بذكرات بني إسرائيل ،  
ومتصلة بمقائدم الهدية أو ثبب اتصال .

(١) سفر الواين ، الأصحاح الثاني عشر .

(٢) الأصحاح الثلاثون من سفر العدد .



ويسترجع اليهود في أعيادهم ومواسمهم تلك العقائد والذكريات - فيبتهجون أو يبتسجون ، ويتقربون إلى الله بالصلوات والادعية ، ويقدمون الأضاحى والقرابين ، ويطهون بعض الأطعمة الخاصة .

ونقصر الحديث في هذه المجالة على أهم المواسم والأعياد إذ هي كثيرة بشكل لافت للنظر .

#### ١ السبت :

عند حديثنا عن تصور اليهود لهفئات يوموا أردنياً ماقررتة التوراة بخصوص خلق السكبن فى ستة أيام واستراحة الرب فى اليوم السابع بعد أن فرغ من عمله وتأسيساً على هذا تحتم للتوراة على بنى إسرائيل أن لا يمارسوا أى عمل من الأعمال فى يوم السبت .

يقول سفر التثنية ( احفظ يوم السبت لتقدمه كما أوامرك الرب إلهك ستة أيام تفتنل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما أنت وإبنك وعبدك وأمتك ونورك وحمارك وكل بهائمك ونزيبلك الذى يستريح عندك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع مشدودة لأجل ذلك أوامرك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت (١) ) .

والسبت هو أساس اليهودية كما أن التثليث أساس المسيحية والتوحيد أساس الإسلام فمن لم يقل بالسبت فليس يهودياً وإن كانت بعض الفرق شذت عن هذا الإجماع كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

---

#### (١) الاصحاح الخامس .

وعقوبة من يباشر عملاً يوم السبت هي القتل كما نصت على ذلك التوراة .  
فقد جاء في سفر العدد ( ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب  
حطباً في السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل  
الجماعة فوضعوه في المحرص لأنه لم يعلم ماذا يفعل به فقال الرب لموسى قتل يقاتل  
الرجل برجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة فأخرج كل الجماعة خارج المحلة  
ورجموه بحجارة فقتل كما أمر الرب موسى <sup>(١)</sup> ) .

على أن السبت في اليهودية ليس هو السابع من كل أسبوع لحسب بل هذا  
هو السبت الأسبوعي أو سبت الأيام وإلى جانب سبت الأيام هناك سبت  
الأسابيع وهو أسبوع كامل ويتحقق بعد دخولهم الأرض الموعودة بستة  
أسابيع ثم يتكرر بعد ذلك كل سنة أسابيع .

ثم هناك سبت الفهور وهو الفهر السابع بعد دخولهم هذه الأرض وفي  
سبت الأسابيع وسبت الفهور يذبح اليهود الأضاحى ويقربون القرابين شكراً  
للرب وعرفاناً بفضلته <sup>(٢)</sup> .

أما سبت السنين وسبت اليوبيل فينتحدث عنهما سفر اللاويين ويقرر  
ما ينبغي لهما من مظاهر الرماية والتقدیس ، ففي الأصحاح الخامس والعشرين  
من هذا السفر :

( وكلم الرب موسى في جبل سيناء قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم متى

---

(١) العدد الأصحاح الخامس عشر .

(٢) اللاويون الثالث والعشرون .

أنتقم إلى الأرض التي أنا أعطيتكم تسبت الأرض سبتاً للرب ست سنين تزرع  
حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلتها وأما السنة السابعة ففيها يكون  
للأرض سبت عطلة سبتاً للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك تزرع  
حصيدك لا تحصد وعنب كرمك المحصول لا تقطف سنة عطلة تكون الأرض  
ويكون سبت الأرض لكم طعاماً لكم ولعبدك ولأمثلك ولأجورك ولعسرطنيك  
النازلين عندك ولهاائمك وللحيوان الذي في أرضك تكون كل غلتها وتعد لك  
سبعة سبوت سنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام السبعة السبوت  
الصنوية تسماً وأربعين سنة ثم تعبر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر  
في يوم الكفارة تعبرون البوق في جميع أرضكم وتقدسون السنة الخمسين وتنادون  
بالمسح في الأرض لجميع سكانها تكون لكم يوبيلاً وترجعون كل إلى ملكه  
وتعودون كل إلى عهده يوبيلاً تكون لكم السنة الخمسون لا تزرعوا  
ولا تحصدوا زرعها ولا تقطفوا كرمها المحصول لأنها يوبيل مقدسة .

## ٢ عيد الفصح :

يرتبط عيد الفصح بذكرى خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه  
السلام - ويقع في اليوم الرابع عشر من شهر أبيب - ويمنر سبعة أيام  
ياكل فيه اليهود فطيراً ظهر نحر تذكراً بما كانوا يأكلونه أيام الخروج ،  
ولا يعملون فيه عملاً ، ويقربون القرابين إلى الهيكل ، كما يرفعون فيه الصلوات  
إلى الرب (١) .

(١) سفر اللاويين ، الأصحاح الثالث والعشرون .

### ٣ يوم التكفير :

هو يوم في العام يحاول فيه اليهودى أن يعبد الله لا كإنسان ، بل كملك ، والملك لا يأكل ولا يشرب ، ويمضى وقته كله في العبادة وتعظيم الله .

فعلى اليهودى أن يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة في صوم جاد وعبادة دائمة .

وهذا اليوم يصق بقسمة أيام تسمى أيام التوبة حيث يطهر اليهودى خلالها تطهراً يكفل له النقاء طوال العام القادم .

وفي اليوم العاشر يوم الصوم والعبادة تسكن طهارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضي ويمدون لاستقبال عام جديد .

وتقع هذه الأيام في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية (١) .

### ٤ - عيد التنظيف :

وهو ثمانية أيام أولها الخامس والعشرون من بسليو ، يسرجون في الليلة الأولى سراجاً ، وفي الثانية اثنين ، وهكذا في الثامنة ثمانية سرج .

وذلك تذكار أصغر ثمانية أخوة قتل بعض ملوك اليونان .

فإنهم قد تغلب عليهم ملك من اليونان كان يفرح البنات قبل الدخول هل أزواجهن ، وله سرداب قد أخرج منه حبلى .

فإن احتاج إلى أنثى حرك الإيم قددخل عليه فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيدخل سبيلها .

---

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٣٠٥ .

وكان في بنى اسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة .

فطلبها اسرائيل للزواج ، فقال أبوها إن زوجتها افترعها الملعون ، فانفق بنوه على  
مخطة لحماية شرف أختهم من الملك العربي ، فلبس أحضرهم ثياب النساء ، وخبأ  
خنجرأ وأتى باب الملك على أنه أخته ، فحرك الملك الجرس ، فأدخل عليه ،  
فحين خلا به قتله وأخذ رأسه ، وحرك الحبل الأيسر وخرج ، فدخل سبيله ،  
فأسعد ذلك بنى اسرائيل وانخذوا هذا اليوم عيداً تذكراً للأخوة الثمانية (١)

---

(١) عباده حين ، المسألة اليهودية - ٨٨ .

## تعقيب

ما نحن أولاه قد فرغنا من استعراض الجوانب الهامة للديانة اليهودية ، وحرصنا على أن تذكر أسفار العهد القديم هي المعين الأساسى الذى نستمد منه تصورنا لهذه الديانة ، إذ المكتب المقدسة هي أوثق مصدر يرجع إليه الباحث فى أى ديانة كي لا يتم بشئ من التجنى ، أو التحامل .

ولكن عددا من النصوص التى أوردناها يثير كثيرا من الملاحظات الهامة ، والمساؤلات الحائرة .

بل أن كثيرا من هذه النصوص يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن أسفار اليهود ليست سماوية مقدسة ، وإنما هي مخلقة على السماء - ألقت فى أزمنة لاحقة للمصور التى ينسبها إليها اليهود على نحو ما انتهى إليه الدكتور ( على عبد الواحد وافي ) .

وتريد الآن أن نضع أيدينا على عدد قليل من هذه الملاحظات التى تؤكد صحة ما نذهب إليه .

١ - ذكرنا فى مسهل حديثنا عن العقائد اليهودية أن الأسفار الأولى من العهد القديم بما فى ذلك أسفار التوراة تخلو من الإشارة إلى يوم البعث - ومن ثم كان اليهود لفترة طويلة من تاريخهم يربطون بين العمل ، وما يترتب عليه من الجزاء العنوى ، ولا يعتقدون بجزاء آخر وراء هذا الجزاء .

وخلو التوراة على الخصوص من أى إشارة إلى يوم البعث دليل على ملحقها من تحريف .

إذ لا يعقل أن تظل ديانة كبرى كالديانة الموسوية من هذه العقيدة الأساسية التي تضمنتها سائر الأديان .

على أننا نجد في القرآن الكريم ما يؤكد اشتغال الموسوية الخالصة على عقيدة البعث شأنها في ذلك شأن الأديان الدجارية الصحيحة .

فقد ورد على لسان الصحرة بعد أن آمنوا بموسى وهددهم فرعون بعقابه (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض لنا نقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنة ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأتي ربه مهرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأتيه مؤمنا قد عمل للصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار وذلك جزاء من توفى) (١) .

بل أن القرآن الكريم حين يمرض بالحديث لأول مواقف المناجاة بين موسى وربّه ليشرح إلى تضمن رسالته لجوانب العقيدة الثلاثة - الألوهية والنبوة والبعث - يقول سبحانه ( وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني . وأقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ) (٢) .

من هذا يتبين أن قصر جواز العمل على ما يصيب المرء من خير أو شر في هذه الحياة بعكس تصرف اليهود في كتبهم المقدسة بالخلف بما يتفق مع تصورهم القاصر لهذا الجواز .

---

(١) سورة طه الآيات ٧١ من ٧٦ .

(٢) سورة طه الآيات من ١١ إلى ١٦ .

٢ - أن الصورة التي رسمتها أسفار العهد القديم قد لا تتفق مطلقاً مع مقتضيات الألوهية .

وقد رأينا أكثر من شاهد لفـكرتهم الساذجة عن إلههم يهوا من خلال ما تصوره به هذه الأسفار .

فهو يجهل خطايا خلقه حتى يعترفوا له بها .

وهو ينازل بعض أنبيائه فيفقد تماسكه ولا يسمعه إلا أن يسلم بالهزيمة .

وهو يباشر العمل فينتعب منه .

ويتخذ القرار ويعدل عنه .

ويصدر الأمر ويندم عليه .

إلى آخر ما أوردناه في مبحث قضية الألوهية .

٣ - كذلك الصورة التي رسمتها أسفار العهد القديم للأنبياء عليهم السلام لا تليق على الإطلاق بذواتهم الشريفة .

فهم يشربون الخمر .

ويتهاونون بمآل الشرف والمروءة حرصاً على السلامة أو رغبة في المريد من متع الحياة .

ويستبيحون القتل ، والتآمر في سبيل إشباع شهواتهم النهمه ورغباتهم الجاهلة بل إن منهم من سفك دم أخيه حقداً عليه .

ومنهم من قرب القرابين إلى غدير ياهوذاً - كما سلا - أو استهانة به .

(٧م - قصة الأدمان)



وقد عرضنا شواهد ذلك كله من أسفارهم المقدسة في ثنايا مبحث النبوات .  
٤ - يظهر بوضوح أن بعض الأسفار تشتمل على إصحاحات تألفت بعد وفاة أصحاب هذه الأسفار - ومن ثم تكون نصبتها إليهم نوعا من التفضيل الفاضح ، والزيغ المكشوف .

ونورد هنا ما ثبت ذلك من سفر التثنية ، وسفر يوشع على سبيل المثال .

في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا ، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ، وجميع نفتالى ، وأرض أفرايم ، ومنسى ، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب الدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر ، وقال له الرب هذه هي الأرض التي أفسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنفسك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك . . . ، وليكنك هناك لا تغبره - ، فأت هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فاغور ، ولم يعرف لإنسان قبره إلى هذا اليوم .

وفي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر يوشع هذه الإشارة إلى موت هذا النبي : وكان بعد هذا الكلام أنه مات يوشع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين ، فدفنوه في تخم ملكة في تمنة سارح التي في جبل أفرايم شمالي جبل جاعش وعبد إسرائيل الرب كل أيام يوشع ، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يوشع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل .

٥ - تشتمل الأسفار أحيانا على بعض الأساطير الشعبية التي لا يمكن أن تكون وحيا منزلا ، وإنما هي أقرب إلى الخيال الشعبي في بني إسرائيل ،

ونذكر من ذلك ما ينسبه سفر القضاة إلى شمشون من قوة أسطورية خارقة

هلمّا بأنّه لم يكن من الانبياء ، ولا من الاولياء الذين تخرق لهم القروانين ، أو تظهر على أيديهم المعجزات .

ونلتقط هذه اللقطة من سفر القضاة وهي تصف لنا نهاية شمشون بين أعدائه الفلسطينيين :

و أما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليزبحوا ذبيحة عظيمة لماجون لهم ، ويفرحوا وقالوا قد دفع إلهنا إيدنا شمشون عدونا ولما رآه الشعب مجدوا لهم لأنهم قالوا قد دفع إلهنا إيدنا عدونا الذي خرب أرضنا وكثر قتلانا ، وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا أدعوا شمشون ليلعب لنا ، فدعوا شمشون من بيت السجن ، فلب أمامهم ، وأوقفوه بين الأعمدة ، فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعنى ألخص الأعمدة التى البيت قائم عليها - وكان البيت مملوءا رجالا ونساء ، وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين ، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون - فدعا شمشون الرب وقال يا سيدى الرب اذكرنى ، وشددنى يا الله هذه المرة فقط فأنقم نقمة واحدة عن عينى من الفلسطينيين ، وقبض شمشون على العمودين المتوسطين الذين كان البيت قائما عليهما ، واستند عليهما الواحد يمينه . والآخر يساره ، وقال شمشون لفت نفسى مع الفلسطينيين ، وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب ، وعلى كل الشعب الذى فيه ، فكان الموتى الذين أماتهم فى موته أكثر من الذين أماتهم فى حياته (١) .

٦ - تنطوى الاسفار المقدسة أحيانا على أقوال يبدو بينها التناقض والتعارض بشكل يكلف عن تعدد مصادرهما ، ويمد أن تكون وحيا من لدن الله الواحد . ومن شواهد هذا التناقض أن الاسفار قد نسبت إليه سبحانه التسليم على بعض قراراته .

---

(١) سفر القضاة ، الاصحاح الخامس عشر .

بينما نجد في بعض الأسفار ما يفيد خلاف ذلك .

فقد ورد في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر العدد قول الرب وليس الله إنسانا يكذب ، ولا ابن إنسان فيندم . .

ومن شواهد هذا التناقض أيضا أننا نجد في الأسفار ما يفيد فردية المسؤولية أى مسؤولية كل إنسان عن عمله كما في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية .  
ونجد فيها كذلك تسرب لعنة الرب إلى الجيل الثالث والرابع من أحفاد المعصاة .

وهذا التناقض الذى نلاحظه بوضوح في أسفار العهد القديم هو الاختلاف الذى تنزه عنه القرآن الكريم ، وإليه الإشارة في قوله تعالى ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) .

فدعوى التحريف إذن يمكن أن تستند إلى أسس موضوعية من العهد القديم نفسه بما في ذلك أسفار التوراة وهى كتاب الشريعة اليهودية ،

ولعل هذا هو ما حل الفيلسوف اليهودى ( اسينوزا ) على الاعتراف بهذه الحقيقة .

فهو يقول : إن من يعتقدون أن التوراة على ما هى عليه الآن رسالة من الله بحث بها من السماء إلى البشر لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين بأن ارتكبت الخطيئة في حق الروح القدس ، إذ لقد قلت فعلا كلام الله مزيف ، ومنقوص ، ومحرف وأنا لا أملك منه إلا شذرات ، وأن الميثاق الذى يعهد بهمدهم الله بهذا مع اليهود

قد فقد ، ومع ذلك فإنى لا أشك فى أنهم لو وقفوا على فحص المسألة لكفوا عن الاحتجاج ،<sup>(١)</sup> .

هذه هى الملاحظات التى رأيت أن أعجل بها فى هذا التعقيب - على أن نكون لنا وقفة أخرى مع موبد من الملاحظات الماثلة - وذلك أثناء تناولنا لموقف الإسلام من اليهودية وأتباعها إن شاء الله .

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفى

## الفصل الثالث

### بين عمدين

نقصد بالعمدين العهد القديم بما تضمنه من الاسفار المقدسة لدى اليهود والعهد الجديد بما تضمنه من الاناجيل والاسفار التي يقدسها النصارى .

فقد توفي موسى عليه السلام ، وتوالى بعد ذلك ظهور الاسفار المقدسة .

كما توالى ظهور الانبياء الذين يقررون شرائع النوراة دون أن يأتوا بشرائع جديدة .

وقد حدد الرسول ﷺ دور هؤلاء الانبياء حين قال : علماء أمنى كأنبياء بنى إسرائيل مهمة هؤلاء الانبياء إذ أن إتخصص في مجرد تفسير نصوص التوراة وتطبيق شرائعها ودعوة الناس إليها دون أن تكون لهم شرائع جديدة لتسيخ كتابهم الذى أجمعوا على تقديسه .

غير أن الفترة الزمنية التى فصلت بين وفاة موسى ، وظهور عيسى عليهما السلام - وهى فترة طويلة - تقارب ثلاثة عشر قرنا - لم تهتد أسفار العهد القديم فحسب وإنما شهدت مع ذلك طائفة من الهيانات الوضعية التى ابتكرها الخيال الشرقى ووفقا للمصالح البيئية الراهنة ، أو الآمال الإنسانية الملحة - وقبل كل ذلك وفقا للمستوى العقلى الذى يتمتع به أصحاب كل ديانة من هذه الهيانات . كذلك شهدت الفترة المذكورة ظهور الفلسفات الإغريقية بكل ما فيها من

وجوه القوة ، ونواحي القصور ، وبكل ما استتبعته من انجازات متباينة في الفكر ، ومبادئ متعارضة في الاخلاق ، وأنماط مختلفة في السلوك .

وقد تسلمت بعض هذه الديانات الوضعية ، والنزعات الفلسفية إلى بنى إسرائيل واتسمت فيما أعتمد بثلاث ظواهر أساسية .

وهذه الظواهر هي :

- ١ - تأثر بالتوراة ، أو بعض أسفار العهد القديم .
  - ٢ - هيأت الاذهان لقبول المسيحية والإيمان بالمسيح .
  - ٣ - أثرت تأثيراً قوياً على واضعى الاناجيل وشراحها بعد عهد المسيح .
- ومن هنا كانت أهمية الإمام السريع ببعض هذه الديانات الوضعية ، والنزعات الفلسفية على سبيل المثال باعتبار أنها كانت همزة وصل تاريخى بين اليهودية والمسيحية ، أو بين العهد القديم والعهد الجديد .
- لإذ الدخول إلى المسيحية دون هذا التمهيد الضرورى يعد قفزة جزافية لا يقرها منطق الأحداث ، ولا منهج الدراسة العلمية .
- وسوف يقتصر حديثنا على ما نراه وثيق الصلة بالحياة الدينية ، والاجتماعية لبنى إسرائيل .

## المبحث الأول

### في الديانات الوضعية

كثرت الأديان الوضعية في الألف سنة الأخيرة قبل الميلاد كثرة ظاهرة .

ويؤكد كل بلد شرق في هذه الفترة يكون له أدينه الوضعية التي أمل لها معاصر الولاء والتقدير .

فهناك الأديان الفارسية ، والصينية ، والبابلية ، والهندية ، فضلاً عن الأديان المصرية التي تمتد إلى ما قبل ذلك بألوف السنين .

وكان أصحاب هذه الأديان الوضعية ينتقلون بأديانهم من بلد إلى آخر ، فيحدث ما يمكن أن نطلق عليه اسم ( القجاج الديني ) بين أبناء الديانات المختلفة .

على أن الهند بنوع خاص كانت ذات إشعاع ديني قوى على سائر البيئات الشرقية ، وذلك لكثرة ما نفّس فيها من عقائد . وظهر فيها من أديان .

بالإضافة إلى ما عرف به الهند على مر التاريخ من حضارة راسخة ومدنية بالذخ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة ( الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد ، لها مدينة قديمة وحضارة توغل في القدم إلى أبعد أهوار التاريخ ) .

غير أن تلك الحضارة قد انبثت الصلة بيننا وبين جزء كبير منها حولاً صار كذا ، مدفوناً في بطون القدم لم يكشف عنه التاريخ بعد . والآثار الباقية التي اتصل تاريخها هي الجزء من تاريخهم الذي ابتداء بالعصر الآري .

غير أن الكهف والبحث والنقوش وما تنطق به الأحجار التي لم يؤثر فيها  
كر الغداة ومر العشى ، كل ذلك يشير إلى أن في طيات ذلك الدفين الذى لم ينشر  
من قبره بعد خطارة زاهية ومدنية سامية (١) .

أولاً : البرهمية :

١ - الألوهية :

البرهمية هي أكبر الديانات الهندية على الإطلاق ، وتنسب إلى برهما ، وهو  
على أرجح الأقوال الإله الخالق الذى أنشأ الكائنات على اختلاف أنواعها ،  
وتباين مظاهرها .

ولكن مهمته تنتهى عند حدود الخلق والإيجاد .

وإلى جانب برهما يوجد إلهان آخران وهما ( فشنو ) وإلهة ترجع مهمة  
الحفظ والتدبير ، فهو يحفظ النبات حتى ينمو ، ويحفظ الصنهر حتى يكبر ولا  
بقاء لشيء من مخلوقات برهما إلا بعناية فشنو وتدبيره - وكل الحكماء والصالحين  
يقومون بالعدل والإصلاح والفضيلة ، وينصرون للاختيار على الأشرار بفضل  
من فشنو .

والإله الثالث والأخير هو ( سيفا ) ، وهو الإله المخرّب المفسى الذى تصفر  
به الأوراق الخضراء ، ويأتى الهرم بعد الهباب ، وتغنى مياه الأنهار في  
لحج البحار .

وينصبون إليه النار لأنها عنصر غريب مدمر إن تأجج لا يبقى ولا يذر (٢) .

---

(١) الديانات القديمة ، لآي زهرة - ص ٢١ .

(٢) محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة - ص ٢٧ ، ٢٨ .



فهو إذن ثالث من الالهة يقوم كل طرف فيه بمهمة محددة .  
والبراهمة يشعرون تجاه براهما بالتقدير والتقدير - كما يحملون لفشون ومشاعر  
الحب والولاء .

بينما تنطوي أنفسهم تجاه سيفها على مشاعر الرهبة والخوف .

## ٢ - النبوات :

يتذكر البراهمة النبوات بدليل مضمونه أن النبي إن كان سيقهر ما قرره  
العقل ففي العقل الإنساني غناء عما يقوله النبي .  
أما إن قرر النبي شيئاً لا يقبله العقل فليس من المنطوق أن نترك حكم العقل  
لحكم بشر ما .

ويبدو دليل البراهمة على رفض النبوة برافاً محيراً ، وإن كان بقليل من التأمل  
تبدد الحيرة ، ويظهر زيف البريق .

فإن العقل الإنساني على فرض كمال استعداده لمباشرة وظيفة البحث والتفكير  
فهو محتاج مع ذلك إلى النبي الذي يساعده على سلوك الطريق السوي .

وشأن العقل في ذلك شأن السيارة التي استكملت كل مقومات التحرك من  
أدوات ووقود ، وإن كان ذلك كله لا يكفي ، وإنما تحتاج السيارة أيضاً  
إلى السائق الذي يوجه خطواتها ، مثله في ذلك مثل النبي في قيادة العقل  
الإنساني .

## ٣ - تناسخ الأرواح :

يمثل تناسخ الأرواح أساساً من أسس العقيدة البرهمية .

فالمت لا يعنى في الحقيقة إلا فناء البدن وفساده .

أما الروح فلها شأن آخر غير شأن البدن .

فإن زادت حسنات المرء على سيئاته صعدت روحه إلى السماء .

وإن رجحت كفة السيئات هبطت الروح إلى الهاوية .

ومهما يكن من شيء فما هي إلا فترة ثم تعود الروح إلى الأرض من جديد

فإن كانت خيرة تقمصت جسداً لإنسان .

وإن غلب شرها على خيرها - تقمصت جسداً حيوانياً - ثم تنتقل من حيوان

إلى حيوان ، وفي كل مرة تحتل قسماً من الأذى والعذاب ، وهكذا حتى يتحقق

الطهر الكامل للروح ، وتسكون حينئذ أهلاً لمجاورة براهيم العظيم .

فالروح لا تنفنى أبداً سواء كانت خيرة ، أو شريرة ، وإنما يختص الفناء

بالأبدان .

وننقل هنا هذا الحوار بين (باسديو) و (أرجن) وهو يهيم إلى اعتقادهم

في بقاء الأرواح ، وتناسخها بعد الموت .

( قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفيين إن كنت بالقضاء

السابق مؤمناً - فلتعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بوقوف ، ولا ذاهبين ذهاباً لارجرج

معه - فإن الأرواح غده مائتة ، ولا متغيرة - وإنما تتردد في الأبدان على تغاير

الإنسان من الطفولة إلى الشباب ، والكهولة ، ثم الشيخوخة التي عقباها موت

البدن ، ثم العود ،

وقال له كيف يذكر الموت والقتل من هرف أن النفس أبدية الوجود لا من

ولادة ولا إلى تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار

تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تبيسها ، لسكنها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو

آخر ، ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خلع .

فما غمك لنفس لا تبيد ، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تنفد لمنقود  
لا يوجد ولا يعود .

فإن كنت تلمح البدن دونها وتخرج لفساده - فكل مولود ميت ، وكل ميت  
طائد ، وليس لك من كلا الأمرين شيء ، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور  
وإليه تصير (١) .

٤ - نظام الطبقات :

نقسم البرهمية الناس إلى طبقات أربع :

١ -- طبقة الكهنة ، أو رجال الدين ، وقد خلقهم برهما من فة ، وهم أعلى  
الطبقات وأفضلها .

(ب) طبقة رجال الجيش ، أو المسكرين - وقد خلقهم برهما من يديه رمز  
البأس والقوة .

(ج) طبقة الفلاحين والعمال وسائر الحرفيين ، وهم غلوقون من فخذ برهما

(د) طبقة المنبوذين وهم الطبقة الرابعة والآخره ، وقد خلقوا من قدم  
برهما . وتقع عليهم خدمة بقية الطبقات .

ولا يجوز لأحد من الطبقات الثلاث الأولى أن يخاطب المنبوذين ، أو يتزوج  
منهم ، وإلا يكون قد ارتكب جرماً صارخاً لا سبيل إلى غفرانه ، أو التجاوز  
عنه في الشريعة البرهمية .

والطبقية قدر إنسان لا فكاك منه - إذ هي من الأشياء التي يرثها الأبناء  
من الآباء .

فابن الحكام كاهن ، وابن المنبوذ منبوذ ، وهكذا في بقية الطبقات (١) .  
ويمكن في هذا العرض السريع للبرهمية الانتقال إلى ديانة وضعية أخرى تعد  
امتداداً لها ، أو تطويراً لها يتم به أدق .

## ثانياً البوذية

تختلف البوذية عن ديانات كثيرة عن غيرها من الأديان .  
فقد كانت قبل كل شيء ديانة خلق وسلوك ، لا ديانة طقوس وقرابين ، ولم  
تسكن لها معابد ولا أديرة ، ولا هيئة مقدسة من الحكمان .  
وقد وقفت موقفاً محايداً من آلهة الهند التي كان يعبدونها الناس في ذلك الزمان  
فلا هي اعترفت بها ، ولا هي أنكرتها ، بل غضت الطرف عنها جميعاً (٢)  
١ -- مؤسس البوذية :

ولد ( سدهاتا ) بإحدى مقاطعات الهند سنة ٥٦٣ قبل الميلاد ، وكان سليل  
عائلة أرستقراطية ورعت الجاه والغنى والنعيم المريض .  
وقد ماتت أمه في الأسبوع الأول من ولادته ، فانتقل إلى حضانه خاله .  
وشب الطفل في النعمة والترف كما يهب أبناء السادة والملوك ، ووجد الدنيا  
كلها تحت إمرته ، والنعيم ومن إرادته ، وتهيأت له مفاتيح الحياة ، وأنبسط الأمل  
أمام عينيه ، وتدفتت المسرات تحفه من كل جانب .

---

(١) الفلسفة الهندية البهروني ، ص ٩٠ إلى ٩٤ .  
(٢) معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثاني ، ص ٤٨٦ .

وبالغ مطلع الشباب وهو يرفل في هذه النعمة ، وسارع أبوه فزوجه من  
ابنة أحد الأمراء .

وكان من الممكن أن يعبّر مفاتيح الحياة التي يعيها كما يعبّر ما غيره من أبناء  
الأمراء والمترفين .

وكان من الممكن أن نفسه مفاتيح الحياة تلك الآلام التي يمانها البائسون  
والأشقياء .

كان من الممكن أن يلمبه شبابه عن هرم الفيوخ ، وصحته عن آلام المرضى ،  
وحياته المرحلة عن شروء الموت والفناء كما يلمو غيره ، كان الشباب لا يهرم ،  
والصحة لا تنحل ، والحياة لا تزول .

كان من الممكن أن يحدث هذا ، ولكن ( سيدها تا ) لم يستسلم للملاذ  
والفصوات ولم يفرغ لنفسه ويستغرق في مباحج الدنيا ومتع الحياة ، وإنما عاش  
في مجتمعه يقاسى مهنكلاته ويحيا فضاياه .

بل من الحق أن نقرر أنه قد جذبه جانب التماسه والبقاء أكثر مما جذبه  
جانب النهم والسرور - ولم يرضخ للحياة التي رسمت له - وإنما رسم هو لنفسه  
طريقاً آخر ومن لها سبيلاً مختلفة توافق استعداد النفس الخاص .

وفي إحدى الليالي كان قصره يمج بالبشر والمصرات بسبب ولادة ابنة له  
فقال ( سيدها تا ) وهذه رابطة أخرى علينا أن نفصمها ، وحرّم أمره على أن  
يفارق هذه الملاذ ويبدأ حياة الزهد والتأمل .

وفي حجة القصر بعد ماشهه من مرح وغناء ، ألقي نظراته الأخيرة على زوجته  
وطفله ، وقبّل من القصر ، وامتطى جواده ، وانطلق إلى شعاب الصحراء ليبدأ  
المرحلة الجديدة من حياته - وكانت منه آنذاك تسعاً وعشرين سنة .

وحين أسفر الصبح توقف على ضفاف نهر رملية . وهناك ترجل وقطع  
بسيفه ذوائبه المتهدلة وأماط عنه كل حلية وأرسلها مع حصانه وسيفه إلى منزله  
ثم واصل سيره حتى ألتقى براهبين من البراهمة ، فبقى معهما ، وتلبذ عليهما  
وأراد أن يصل إلى غايته عن طريقهما .

ولكن ما لبث أن كان له تلاميذ ومريدون يتلقون عنه ، ويقتدون به ،  
ويكونون له المحبة والتقدير .

وأسرف ( سذاهتا ) في زهده وتقشفه فلبس الأثمال البالية . واكتفى بالقليل  
من الطعام والشراب - بل لقد قيل أن غذاءه لم يكن يزيد في اليوم على حبة  
أرز واحدة .

ولكنه فاجأ تلاميذه ذات يوم بتعديل جوهرى في اتجاهه الفـكرى والسلوكى  
على السواء فأصاب كفايته من الطعام والشراب ، وأستبدل بأثماله ما كان حرمه  
وعلى نفسه من الثياب وحين انصرف عنه تلاميذه ، واتهموه بالخروج على مبادئه ،  
استطاع أن يقنعهم بأن تعذيب البدن لاخير فيه ، وأن الزهد ينبغى أن يكون  
وسيلة لا غاية - إذ الغاية الحقيقية هى التأمل فى مظاهر الـكون ومشاهد الوجود  
والوصول إلى ما وراء ذلك من إدراك الذوات الروحانية ، والاتحاد معها ، أو  
الفناء فيها - وهى درجة ( النرفانا ) التى هى أشرف مقامات التأمل .

ويطلق على ( سذاهتا ) فى هذه المرحلة لاسم ( بوذا ) - أى المقدس الذى  
كشف عنه الفطاء .

ويسجل ( بوذا ) هذه اللحظة التى هى لحظة سعادة وفوز فيقول دالما  
أدركت - ماذا تحررت من الهوى ، وتحررت من شرور الـكون الأرضى -

تحررت من شرور الخطأ وتحررت من شرور الجهل، وتيقظ في شعور التحرر،  
وشعور عدم تكرار المولد .

لقد انتهيت إلى الصراط المقدس ، وقد تمت الفريضة - فلن أرجع إلى هذه  
الدنيا رجعة أخرى ،<sup>(١)</sup> .

أما العجرة التي كان ( بوذا ) يجلس تحتها عند ما تم له الكشف - فقد  
سميت شجرة العلم ، أو العجرة المقدسة - وقد احتلت عند البوذيين مكانة سامية  
مثل مكانة الصليب عند المسيحيين .

وإذا كان المسيحيون قد نكسروا الصليب في حياتهم ، ورسوموه على حلبيهم  
وأجسامهم فإن البوذيين يرون في العجرة المقدسة شيئاً يجب أن يسعى إليه  
الناس لا أن يسمى هو إلى الناس - ولهذا زرعوا في كل قطر شجرة واحدة من  
نوع العجرة المقدسة - يحجون إليها في المناسبات المختلفة .

ويملق كتاب معالم تاريخ الإنسانية على عناية البوذيين بهذه العجرة بقوله  
« ومن سوء الحظ أن تلاميذ جوتاما ( بوذا ) عنوا بحفظ شجرته أكثر من عنايتهم  
بالحفاظ على أفكاره التي أساءوا منذ البداية فهمها وشوهوها ومسخروها »<sup>(٢)</sup> .

ومن مظاهر هذا الذهوية ما يتصل باعتقادهم حول شخصية ( بوذا ) نفسه  
- فقد استبعدوا أن يكون بشراً قائماً فحدر من صلب بشر فان - فزعوا أن  
أمه حملت فيه بعجزة ، وأنه واحد من سلسلة كائنات قدسية هي اليوداوات، وأن

---

(١) أديان الهند الكبرى ، للدكتور أحمد شلبي ، ص ١٤٣

(٢) المجلد الثاني ، ص ٤٧٢

شكل البوذوات روحا خالصة لا تقتد إليها يد الموت - فهناك سلسلة من البوذوات مضت مع الغابرين ، وأخرى من البوذوات سقتلوها في اللاحقين<sup>(١)</sup> .  
ونعود من جديد إلى شخصية ( بوذا ) لنعرض طرقا من أخلاقه .

وعلاء الهند يرسمون له صورة رائعة - فيذكرون أنه كان شديد الضبط - قوى الروح - ماضى المريعة - واسع الصدر - عزوفا عن الشهوة - بالغ التأثير - بريئا من الحقد - بعيدا عن المدوان - جامدا لا يفتبع فيه حب ولا كراهية فلا تحركه العواطف ، ولا تهيجه النوازل - بليغ العبارة - فصيح اللسان مؤثرا بالعاطفة والمنطق - له منزلة كبرى في أعين الملوك - ومجالسه ملتحق العلماء والعظماء .

ومن القصص التي تروى في توافقه . أن أحد تلاميذه قال له مرة . إننى أيتها السيد أؤمن بكل نفسى أنه لم يوجد قط ، ولا يوجد الآن ، وإن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدرا ، أو أكثر عقلا من مرشدنا المبارك .

فسأله ( بوذا ) هل أنت قد عرفت كل العارفين الذين سبقوني ، وهل عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدى ؟

فأجاب التلميذ : لا يا سيدى فلم يقيسرى ذلك .

قال بوذا هل عرفت كل المعرفة وتوغلت فى نفسى كل التوغل .

فقال التلميذ لا يا سيدى وكيف لى ذلك ؟

فقال ( بوذا ) فلم إذن أسرفت فى قولك وجعلتنى خيرا الناس وأنت لا تعرفنى ولا تعرف الناس ؟<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المجلد الثانى من معالم تاريخ الإنسانية ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٩

(٢) أديان الهند الكبرى . للدكتور شلبى ، ص ١٥٥

( م - ٨ قصة الأديان )



وكان تلاميذ — ذ ( بوذا ) على نحو هذه الأخلاق السماوية - فقد صاروا على طريقتهم البهاولية من ضبط النفس ، وحسن الاحتمال ، وقهر الشهوات ، والإخلاص للمثابم العليا ، والتضحية في سبيل انتشارها بأمر ما يمكن .

فلا عجب أن انتشرت التعاليم البوذية في وقت قصير ، واحتلت مكانا بارزا بين المذاهب والديانات .

وننقل هنا هذا الحوار بين ( بوذا ) ، وأحد تلاميذه - وهو حوار يعكس في وضوح مدى ما يتحلى به تلاميذه المباشرون من طاقات هائلة على الصبر والاحتمال - فقد قال ( بوذا ) لتلميذه ومريده ( بورنا ) وهو يوجهه إلى إحدى القبائل المعروفة بالقسوة والحضونة ليدعوه إلى المذهب الجديد - ( بوذا ) : إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب - فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذينة خفنه ثم غضبوا عليك وسبكوك فإذا كنت قاعلا ؟

فأجاب ( بورنا ) أقول لاشك أن هؤلاء قوم طيبون لينوا العريكة - لأنهم لم يضربوني بأيديهم ، ولم يرجعوني بالحجارة .

( بوذا ) فإن ضربوك بأيديهم ، ورجعوك بالأحجار فإذا كنت قاعلا ؟

( بورنا ) أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصى ولا بالسيوف .

( بوذا ) فإن ضربوك بالعصى وبالسيوف ؟

( بورنا ) أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يجرعوني الحياة نهائيا .

( بوذا ) فإن حرعوك الحياة ؟

( بورنا ) أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد

السيء بلا كبير ألم .

( بوذا ) أحسنت يا بورنا - إنك تستطيع بما أوتيته من العصي والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة سروننا - فاذهب إليهم وكما تخلصهم ، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك ، وكما تمررت فمرهم ، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب ( بورنا ) إليهم - وكانت النتيجة أن آمنوا كلمهم بالبوذية واتبعوها (١) .

وقد ظل ( بوذا ) وفيا لتعاليمه - حرصا على نشرها وترسيخها - غر حافل بما يتعرض طريقه من عقبات وصعاب حتى وافاه أجله المحتوم وهو في الثمانين من عمره بعد أكثر من خمسين عاما من مقاومة النفس ، وتوجيه المريدين (٢) :

#### ٢ - التعاليم البوذية :

آن لنا - وقد فرغنا من هذا الاستعراض السريع لحياة ( بوذا ) وكفاحه لنشر تعاليمه - أن نلم للمأسا سريما بأهم هذه التعاليم - لاسيما ما يخدم فكرتنا منها - وهي الفكرة التي أشرنا إليها مسبقا عن وضع الديانات الإنسانية بين الديانات السماوية -

#### الالهية :

يزعم بعض الباحثين أن ( بوذا ) أنكر الالهية ، ورفض أن يكون لهذا الوجود خالق حكيم تستند إليه الكائنات في وجودها الحق .

ولكن الفيخ محمد أبو زهرة يقرر أن ( بوذا ) لم يتعرض لهذه القضية

---

(١) أدبان الهند الكبرى ، الدكتور أحمد شلبي ، ص ١٤٧

(٢) الفيخ محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، ٣ ،

بالسلب ، أو الإيجاب ، وأن مذهبهم كان يتركز في الإصلاح النفسى ، والإجتماعى - بل إن منتحلي نحلته كانوا على الاعتقاد بوجود الإله (١) .

ورأى الشيخ أبى زهرة قريب من رأى ( ولز ) - وقد أوردنا هذا الرأى فى مستهل حديثنا عن البوذية .

#### (ب) التناسخ :

آمن ( بوذا ) بتناسخ الأرواح على نحو ما يؤمن به البراهمة .

ويبدو أن هذه الفكرة عقيدة مشتركة بين الديانات والنحل الهندية المختلفة وهذا هو ما كان يقصده ( البيروني ) حين قال ، كما أن الشهادة لكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والثلاث علامة النصرانية ، والأسباب علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية - فمن لم ينتحله لم يكن منها ، ولم يد من جملتها (٢) .

ويقرر ( بوذا ) أن الإنسان كـ ركب جسمى يملك قوى يتحرك بها ، وآلات يهضر بها - فهو يحس ويلمس ، ويبصر ، ويسمع ويشم ، ويدرك - وهو بهذه الحواس والمضاعير يتصل بالعالم الخارجى .

أما طبيعته فيشتمل على النزوات والكفاءات الناتجة عن الماضى - فهى جنة كانت ، أرقبيحة أنت له من الحياة التى عاشها فى الماضى ، وهى التى تكيف شخصيته ، وترسم حياته الجديدة .

وذلك أن الحياة الداخلية للشخص ليست لإسلسلة من الخيالات، والرغبات، والعواطف .

---

(١) الديانات القديمة ص ٦٩

(٢) الفلسفة الهندية ، ص ٥٢

قازا انفصلت الاواصر المادية بالموت - تقدمت الروح جسدا جديدا - ثم  
يسعد الشخص الجديد ، أو يوفق حسباً تمياً له من السلوك السابق (١) .

( ج ) النيرفانا :

يختلف الباحثون في تفسير النيرفانا اختلافا كبيرا - ولكن كثيرا منهم يميل  
إلى تفسيرها في ضوء ما حدث لبوذا نفسه تحت الشجرة المقدسة حيث انكشف  
له الغطاء ، وتجلي له سر السعادة الأعظم .

وفي ذلك يقول ( بوذا ) كلمنى صوت من داخل قائلا : إن الهوى هو أصل  
الحزن ، والنفس هي التي تجلب الشقاء - وذلك أن المرء يقول دائما أنا أنا ،  
ويقول زوجتى وأولادى - فهم أيضا نوع من أنا - أما من يهوام فليسوا أنا فهو  
فيهمى ما يرى فيه شهوة نفسه - وإذا غاب شقى بهذه الفكرة .

يذهب الناس في الهنديا كالخريق المدمر فيؤذون ، ويقتلون ويكونون لعنة  
على الخلق .

قال ( بوذا ) للصوت فان قبلت فهل أناال الحرية ؟

فأجاب الصوت نعم نعم (٢) .

فالنيرفانا إذن على هذا التفسير هي القضاء على الانانية ، والتحرر من الشهوات  
حيث يصير الإنسان سيدا لنفسه ، لا عبدا لها ، وأن في مقدوره الإفلات من  
هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية الداخلية ، ومحبة الآخرين .

وأساس النيرفانا هو ما يعرف عند البوذيين بالحقائق الأربع وهي :

---

(١) الدكتور أحمد شلبى ، أدیان الهند الكبرى ، ص ١٥٧

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٩

١ - الألم موجود - فالولادة ، والمرض والموت ، ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء كلها تأتي الألم .

٢ - لهذا الألم سبب وهو الشهوات والرغبات - إذ هي تنمي فينا حب الذات والتملك .

٣ - هذا السبب قابل للزوال - وذلك بالقضاء على الشهوة ، والتخلص من اللطم إلى الأشياء .

٤ - الوسيلة لتفادي الألم موجودة وهي تلخص في :

١ - الآراء السليمة - ٢ - الصغور الصائب - ٣ - القول الحق - ٤ - السلوك الحسن - ٥ - الحياة الفضلى - ٦ - السعى المهكور - ٧ - الذكرى الصالحة - ٨ - التأمل الصحيح .

وأم شىء في التعاليم البوذية هي هذه الحقائق الأربع - فن آمن بها واتبعها كتب له النجاة والسعادة ، ووصل إلى النيرفانا .

ومن لم يعرفها ، ويعمل بها ظل في شقاءه وآلامه - يموت ويحيا - ثم يهرم ويهلك فيولد من جديد - ولا تنقطع هذه الصالحة حتى يعرف هذه الحقائق ويقبها

يقول ( بوذا ) : لقد أحرزت علم هذه الحقائق الأربع المقدسة ، وأحرزت فهمها بانجلاء تام - فصرت على يقين بأن قد ظفرت بالبوذية الكبرى ، وقد عرفت أنه قد ضمنت لى النجاة بروحى .

---

(١) الدكتور شلبى ، أديان الهند الكبرى ، ص ١٥٨ ، راجع أيضا معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثانى ، ص ٤٨٤

ومولدى هذا آخر مولد ، وليس لى بعد هذا من مولد مستأنف ، .

وقبل أن ننتهى من حديثنا عن الديرانا يحسن بنا أن نورد ما يمكن أن نطلق عليه (الوصايا العشر) في البوذية وذلك لصلتها الوثيقة بالديرانا وهذه الوصايا:

- ١ - يجب أن لا نقضى على حياة .
- ٢ - يجب أن لا تأخذ إلا ما يعطى إليك .
- ٣ - يجب أن لا نقول ما هو غير صحيح .
- ٤ - يجب أن لا تستعمل شرابا مسكرا .
- ٥ - يجب أن لا تبشر علاقة جنسية محرمة .
- ٦ - يجب أن لا تأكل طعاما في غير أوانه .
- ٧ - يجب أن لا تكل رأسك بالزهر أو تستعمل المطور .
- ٨ - يجب أن لا تقضى المقاعد والمساند الفخمة .
- ٩ - يجب أن لا تحضر حفلة رقص أو غناء .
- ١٠ - يجب أن لا تقضى ذهبا أو فضة .

(د) إلغاء الطبقات :

عرفنا فيما سبق أن البرهمية تنظم الناس في طبقات أربع تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا ، وأن كل إنسان يرث عن أبيه طبقته الاجتماعية بشكل حتمى .

فهو لا يستطيع أن يتجاوز طبقته الموروثة مهما كانت مواهبه الفردية وملاكاته الشخصية . أما ( بوذا ) فإنه يرفض النظام الطبقي رفضا نهائيا .

ومن أقواله في ذلك ( اعلوا أنه كما تفقد الأنهار السكبيرة أسماءها عند ما

تصب في البحر ، كذلك تبطل الطبقات الأربع عندما يدخل المخلص في النظام وقبل الشريعة (١) .

إن ما يدعوا إليه ( بوذا ) هو الرهبانية ، وفي الرهبانية يتساوى سائر البشر وإذا كان إلغاء الطبقات شأهد قوة في التعاليم البوذية ، فإن مما تجدر ملاحظته أن ( بوذا ) إنما يلقى الطبقية بالنسبة إلى البوذيين الذين قبلوا شريعته . أما غير البوذيين فهم فريق آخر أقل مستوى وأدنى منزلة .

وهذا على العكس من الإسلام الذي ينظر إلى الناس جميعاً نظرة متكافئة دون اعتبار لشعوبهم ، ومواطنهم ، وعقائدهم الدينية .

وهذا ما يفهم من قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا (٢) .

فقد جعل وحدة الأصل الإنساني أساساً لإلغاء الطبقية ، كما جعل التواصل والتعارف سبيلاً لتحقيق الوحدة التي تنهأ عن تمدد القبائل واختلاف الشعوب .

٣ - انتصار البوذية :

كافح التلاميذ ( بوذا ) بعد وفاة رائدهم في سبيل الحفاظ على مبادئه ومعالجه . وكانت رقة أخلاقهم ، ولين طبائعهم وقوة احتمالهم تكشف عن إيمان صادق وإخلاص شديد ، وتمتدب إليهم الاتباع والمؤيدين . بل لقد أتيح للبوذية أن تمتد خارج الهند إلى بلاد أخرى لقيت فيها أنصاراً آمنوا بمبادئها وعملوا على انتشارها .

وقد أحرزت البوذية تقدماً هاملاً في ظل رعاية ( أوسكا ٢٦٤ - ٢١٧ قبل الميلاد ) الذي يعد من أعظم الملوك في التاريخ ، وهو الملك العسكري الوحيد الذي يهدد التاريخ بأنه تخطى عن الحرب بعد النصر .

---

(١) أدريان الهند الكبرى للدكتور شلبي ص ١٧٤ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

وقد فتح شبه الجزيرة الهندية ، وكرس بقية حياته لنشر البوذية في أصقاع العالم وكان يحكم إمبراطوريته بسلام شامل ، وبكفاية عظيمة ، وحاول (أوسكا) أن يصل إلى النهر فانا عن طريق التعاليم التي وضعها (بوذا) .

وكان أول ملك في التاريخ قام بمحاولة إنسانية شعبة تربية توحيد نظرهم إلى غايات الحياة وسبلها - وذهب هيئات التعليم البوذية منها كبيرة وحاول أن يستنهمهم إلى دراسة أدبها الخاص دراسة أوفى وأدق - وأقام في طول البلاد وعرضها النقوش التي تسرد على الناس تعاليم (بوذا) الخالصة بعد أن استبعد منها الزيادات المحصورة بالسخرافات المخالفة للهـ قول . وماتزال خمس وثلاثون من نقوشه باقية إلى اليوم ،

وفضلاً عن ذلك فإنه أرسل المبشرين لنشر تعاليم أستاذه في جميع أنحاء العالم . وظل (أوسكا) ثمانية وعشرين عاماً على هذا النحو من الإخلاص للبوذية والحرص على انتشارها حتى احتلت مكاناً بارزاً في كثير من أجزاء العالم (١) .





## المبحث الثاني

### في النزعات الفكرية

حفلت أرض اليونان بالمذاهب الفلسفية ، والنزعات الفكرية .

وكان لذلك أثره القوي على أنماط السلوك ومظاهر الحياة .

وانتقل كثير من هذه المذاهب والنزعات إلى أهل فلسطين فاعتنقها بعض الخاصة الذين أقبلوا عليها بنهم شديد .

ونقتصر هنا على نزعات ثلاث لها صلة وثيقة بموضوع بحثنا وهي :

أولاً : الفيثاغورية .

ثانياً : الرواقية .

ثالثاً : الأبيقورية .

( أولاً ) : الفيثاغورية :

تنسب الفيثاغورية إلى ( فيثاغورس ) الذي ولد في ( ساموس ) حوالي سنة ٥٨٠ هـ قبل الميلاد .

ثم هاجر إلى ( كروتونا ) جنوب إيطاليا ، ويقال إنه عرج على مصر وبعض بلاد الشرق فطاف في أرجائها قبل أن يلقى عصا تسياره في ( كروتونا ) .

ولم يكد يستقر بها حتى أنشأ الجمعية الفيثاغورية ، وظل على رأسها يقودها ويوجه فعاطها بقية حياته .

ولم تكن تلك الجمعية في أول أمرها مدرسة فلسفية - بل كانت جمعية تدهو إلى الإصلاح الديني ، ومكارم الاخلاق ، وطهارة النفس من الرجنس والفس . وكان أعضاؤها يرتدون الثياب البيضاء ويؤثرون في عيهم الخفوة والتعفف (١) .

ومن مهمهم الاخلاقية وجوب المروية وإطالة المسكون وترديد الصلوات ومحاسبة الضمير ، وفي هذا يقول أحدهم : لا مدع أبداً جفنيك يستصلبان للنوم قبل أن تمرض على عقلك أعمال يومك فتسائل نفسك قائلاً فم سر ؟ إذا صمت ؟

ماذا نسيت أن أفعله بما أمرت به ؟

فإذا انتهيت من هذه الأسئلة - فراجع أعمالك واحداً بعد واحد . فإذا وجدت نفسك قد اقترفت زلة فاستح منها وأندم عليها ، وإذا كنت قد فعلت خيراً فاستمتع به ، (٢) .

### ( ثانياً ) : الرواقية :

مؤسس الرواقية هو ( زينون ) القبرصي الذي ولد نحو سنة ٣٤٢ ق . م في مدينة ( سيبيوم ) من أعمال قبرص وتوفي سنة ٢٦٤ قبل الميلاد ، وكانت مدينة يونانية تغلب على أهلها النزعة الدينية التي يتميز بها الجنس السامي ، وقد كان يذمى إلى هذا الجنس عدد كبير من سكان تلك الجزيرة .

وقد رحل إلى أثينا حيث درس الفلسفات المختلفة وطبعها بطابع ذمته

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين والكتور زكي نجيب محمود ص ٢٩

(٢) الدكتور محمد غلاب ، الفلسفة الإغريقية ، الجزء الأول ص ١٤ .

وأخرجها للناس فلسفة جديدة ، فأنشأ حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد مدرسة في رواق مزخرف نسب إليه المذهب وأصحابه (١) .

وتختلف الرواقية في جوهرها عن فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو لأنها ذات طابع عمل أخلاقي يؤثر البحث في طرائق السلوك على التحليق في آفاق الميتافيزيقى أو الضرب في مآهات النظريات حتى أن الرواقيين عرفوا الفلسفة بأنها « عمل الفضيحة » .

وتمتد الرواقية العلاقة بين الله ، والعالم على نحو يؤكد وحدة الوجود .

فنسبة الله إلى العالم كنسبة روحنا إلينا - فهو منبث في العالم كله لأنه نفس العالم ، والعالم جسمه .

وكما تتخذ الروح الإنسانية مركزا رئيسيا في الجسم يمتاز عن بقية الأجزاء - فكذلك الله قد اتخذ لنفسه مركزا يمتاز على الرغم من انتشاره في كل دقائق الـكون الكبير (٢) .

أما عن الأخلاق الرواقية فيمكن تلخيصها في كلمتين اثنتين - الصبر - والعفة - الصبر على الشدائد ، والعفة عن الشهوات - ولا سعادة للإنسان من غير نفسه وضميره .

فن راض نفسه على مغالبة الآلم والحزن ، وقع الشهوة والهوى - فقد بلغ غاية السعادة المقدرة لأبناء الفناء .

ويلتق الإنسان بمقله مع الآلهة ، وبجسده مع الحيوان الأعجم .  
وفضيلته الإنسانية - هي أن يطيع العقل ويهوى الجسد .

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩٩

وعصيانه للجسد - هو مقاومة الشهوات .

وطاعة العقل - هي طلب المعرفة :

وسعادة الإنسان كلها هي السعادة التي تتمتعق له من الاستغناء عن الشهوة ،  
وتحصيل السلام - فإزاد على ذلك من السعادة فهو نهم لا يدرك - أو فضول  
لا خير فيه .

فالحياة إذن حرب بين الفضيلة ، والريذة - وصراع بين الخير ، والشر -  
وعلى الإنسان أن يكون فاضلا خيرا لا لغاية يحققها ، ولا للذة يحصلها - ولكن  
لأن ذلك هو الواجب .

وأساس الفضائل كلها - الحكمة - ومنها تذبح الفضائل الأساسية الأربع وهي :

١ - بعد النظر      ٢ - الشجاعة

٣ - ضبط النفس ، أو العفة      ٤ - العدل .

وإذا كانت الحكمة هي أساس هذه الفضائل فإن من حازها حاز كل شيء -  
ومن فقدتها فقد كل شيء .

فليس في العالم إلا إثنان حكيم ، ومغفل ولا شيء بينهما .

فالحكيم هو الكامل ، وهو الحر - الغنى ، وهو الملك حقا ، وهو العاقل  
والعنان وليس للمغفل إلا البؤس ، والقبح والفقر .

والحكيماء في الدنيا قليلون - وكلما تقدم الزمن زادوا قلة (١) .

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠٤

(ثالثا) الأبيقورية:

نشأ أبيقور زعيم المذهب بين القرن الرابع ، والقرن الثالث قبل الميلاد .  
وقد أقبل على دراسة الفلسفة وهو في نحو الرابعة عشرة ، وافتتح مدرسته  
في حديقته المشهورة بأثينا سنة ٣١١ قبل الميلاد وهو في نحو الثلاثين من عمره .  
وكان يقبل في مدرسته العبيد ، والرافعات ، والمأجورات ، ولا يرى حرجا في طلب  
السرور حيث يوجد بريئا من الألم والندم - بل لا يرى كيف يتغويل الحكيم  
الخير إذا أخرج من حسابه مسرات الذوق ، والنظر ، والسماح .

ومن أعرض عن سرور يستعابه في غير ألم ولا ندم - فهو أحمق وليس  
بحكيم .

ذلك لأنه كان يقسم السرور إلى قسمين سرور متحرك - وسرور مستقر ،  
أو ساكن فالأول ما يعقب ألما أو ندما

أما الثاني على العكس من ذلك ، ويعنى به سرور التأمل والقناعة .

ولهذا فقد كانت معيشته الشخصية هي معيشة الزهاد المتقشفين حيث كان  
يقضى معظم أيامه على الخبز والماء ، أو على الخبز واللبن .

فاتهام الأبيقوريين بالتهاك على الشهوات والإغراق في الملذات إذن ليس له  
أساس على .

فإن ما يفهم من سهرتهم الشخصية ، ومن اتجاهم الفلاسفة أيضا يدل على أنهم  
لم يكونوا يقصدون باللذة اللذة الوقتية التي كانت غاية القورينائيين .

وإنما كانوا يقصدون لذة أوسع معنى وأسمى شأنا .

فيسح أن نرفض لذة عاجلة لأنها تستتبع ألما أكبر منها .

ويصح أن نتحمل ألمًا طويلاً لأنه يستتبع لذة أكبر منه .

على أن اللذة العقلية أكبر قيمة من اللذة الجسمية - لأن الجسم لا يحس إلا باللذة الحاضرة .

أما العقل فيستطيع أن يتلذذ بذكرى لذة ماضية ، وبأمل في لذة مستقبلية .

وخير اللذات على الإطلاق - هدوء البال، وطمأنينة النفس وراحة الضمير .

واللذة بشكل عام لا تكون في كثرة الحاجات وسدها - بل إن كثرة الحاجات تجعل من الصعب سدها وهي تعقد الحياة من غير أن تزيد في السعادة - فخير لنا أن نقلل حاجتنا جهد الطاقة - ومن ثم فقد كان ( أبيقور ) يقرر أن البساطة والاعتدال وضبط النفس أهم وسائل السعادة - وأكثرها ما كان يصف نفس الحكيم بهدوء البحر ، أو بالسحاب الصافية المغمصة - وهو لا يجيز للإنسان أن يقبل الذل تحت أى ظروف - فإن اضطرت له الحياة إلى قبول الذل - فخير له أن يطلق الحياة مختاراً (١) .

هذه هي أهم الدهانات الوضعية ، والنزعات الفسخرية التى سادت العالم بين المحدثين القديم والجديد والتي كان لها أثر فى مجرى الأحداث كما سيتضح بعد قليل .

## المبحث الأول

### نظرة عامة

#### ١ - عصر المسيح

سادت أحوال بنى إسرائيل كثيرا قبيل ظهور المسيح ، وعم الفساد حياتهم السياسية والاجتماعية ، والدينية ، واشتدت الحاجة إلى خلص يأخذ على عاتقه تبديد ما في الحياة السياسية من قهر واستبداد ، والقضاء على ما في الحياة الاجتماعية من تفكك وانحلال ، وتقرير الدين على وجه يرتفع به عن مظاهر السطحية والجهود .

#### ( أولا ) الحياة السياسية ، والاجتماعية :

كانت الدولة الرومانية إحدى دولتين تقسمان ميادة العالم قبيل ميلاد المسيح والأخرى ، هي الدولة الفارسية التي فرضت سلطان الأكاسرة على عدة مناطق من الشرق .

وكانت سوريا ، وفلسطين من نصيب قياصرة الرومان .

غير أن النظم السياسية ، والاجتماعية في هاتين المنطقتين ، بل وفي سائر المناطق الخاضعة للنفوذ الروماني كانت تنقسم بكثير من الفلق والإضطراب ، ومن شواهد ذلك ، ثورات العبيد المتكررة ضد الدولة ، وما تفرضه من نظم أو تسنه من قوانين .

وقد فتحت سوريا ، وفلسطين للدولة الرومانية على يد القائد الكبير (بنباى) الذي قضى على ثورة العبيد الثالثة بقيادة (سبارتاكوس) المشهور .

وقد حسبت هزيمة (سبارتاكوس) من العظام التي أضيفت إلى مجد (بنباى) وخلدت ذكره بين الأبطال ، ولكن هذا الانتصار في الواقع لا يدل على مجد حقيقى للدولة الرومانية بقدر ما يدل على ما فيها من مواطن الضعف ، ومواضع التصدع .

فلئن كان من دلائل القوة أن تستطيع الدولة قمع فتنة كتلك الفتنة الجبارة التي لم يعرف لها مثيل في ثورات العبيد الأقدمين . إلا أنها ولا ريب من دلائل القوة التي تقابلها دلائل الضعف من ناحية أخرى .

فلو لم يكن في بنيان الدولة صدع مخيف ، لما استطاع عبد مثل (سبارتاكوس) أن يجمع سبعين ألفاً من العبيد ، ويقهر بهم جيوش الرومان ثلاث سنين ، ولولا خلل في كيان المجتمع ، لما اشتمل على أعضاء هذا العدد من المقهورين الذين ينظرون إلى العرش الرومانى نظرة الحقد والكراهية ، ويمجازفون بالحياة للهبوط به إلى الحضيض .

ولم تكن ثورة (سبارتاكوس) هى الثورة الوحيدة التي يقوم بها العبيد ضد الدولة الرومانية ، فقد سبقتها ثورة (أونس) الذي تجلى لاتباعه في صورة النبى والمملك المتوج ، واستطاع أن يقيم عرشاً يستقر في جزيرة (صقلية) مدة عشر سنين .

وقد سبقته ثورة (أونس) ، ولحقت بها ثورات أخرى تبلغ مبلغها من العنف . ولم تخل إحداها من صبغة دينية فيما يدعيه قادتها على الأقل .

ولم يكن هذا الخطر خافياً على ساسة الرومان ، لحاول المصلحون منهم أن يتداركوا بعض مواضع الخلل في البنيان الاجتماعى ، فقيدوا الملكية الزراعية بخمس مائة فدان ، وممنوا المعوزين بأغذية تبيعها الدولة بأقل من تكاليفها الفعلية ، ولكن عوامل الخراب كانت أفضل من عوامل التعمد والاصلاح .



وزادت الحال سوءا في عهد ( أغسطس ) المجيد كما كان يسمى في التاريخ الروماني إلى حد أن المسيح عليه السلام وصفه في كلمات قليلة حيث قال ( للثالب أجرة ، ولطبور السماء أوكار ، أما ابن الإنسان ، فليس له ابن يسند رأسه ) (١) .

والواقع أنه كان عصرا مجيدا بقوة السيف دون أى قوة أخرى من القوى الإنسانية ، وقد أخذت ( روما ) من قوة السيف كل ما تعطيه ، فتوحا واسعة ، وقوة تصد بها الأعداء وتقمع الثائرين ، وقد رفعت القيصر إلى مقام الألوهية المعبودة ، فقررت لعبادة شهرها في السنة لا يزال معروفا بإسمه إلى اليوم ، ونعنى بذلك شهر ( أغسطس ) .

وكان القانون ، والنظام فخر ( روما ) الأول ، فضاع القانون مع السلطان المطلق وضاع النظام مع التفاوت البعيد بين الحاكين ، والمحكومين - ثروة وترف وطفيان من ناحية ، وفقر وضنك وهوان من ناحية ، ولا نظام للحياة نفسها ، ولا قيمة لها مع إفراط النعيم حتى السأم من الحياة ، وإفراط الشقاء حتى النقمة على الحياة .

لم يستقر الأمر للدولة الرومانية في فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحها للرومان ولما ظل التنازع بين الرومان ، والفرس ، لا يترك للبلاد المفتوحة قرارا على مدى عشرين سنة .

فقد انقسم رأى القوم ، وشعورهم بين الدولتين .

منهم من يشايح الفرس ، ومنهم من يهايبع الرومان .

واشد التناحر بين الفريقين اشتدادا خرج بهم إلى ضراوة الوحشية .

---

(١) إنجيل لوقا ، الإصحاح التاسع .

ومن الحوادث البارزة في هذه الفترة ، أنه قبيل وفاة (هيرود) ثارت طائفة من الغلاة على مبادئه وأفعاله ، وحطموا كل ما فيها من معالم الوثنية ، فغضب الوالي غضبا شديدا لا على هؤلاء الثائرين فحسب . وإنما على كل رعاياه من أبناء فلسطين .

فمقد للثوار محاكمة صورية ، وأمر أجناده ، فحملوه إلى المحكمة حيث قضى عليهم بالموت حرقا .

ولم يقف غضب (هيرود) عند هذا الحد ، وإنما قبض على الزعماء الذين يستأثرون بحبة الناس ، فحبسهم ، وأوصى أخاه بقتلهم إذا مات على أن يكون ذلك قبل إعلان وفاته لتذهب حسرة الشعب عليهم بفرحة شامتهم في — ٤ ، وتم لـ (هيرود) كل ما أراد .

ثم كانت البلية العظمى بتقسيم البلاد بين أبنائه الثلاثة ، ف وقعت (الجليل) في حصة (هيرود) الثاني (اينتنباس) .

و وقعت اليهودية في حصة (أرخلوس) .

و وقعت مضاف الشام في حصة (فيليب) .

وكان التنافس والصراع بين الأخوة الثلاثة لا يكاد يتوقف ، فضلا عما ورثوه عن أبيهم من مظاهر الحقد ووحشية الانتقام <sup>(١)</sup> ،

### (ثانيا) الحياة الدينية :

تأثر الحياة الدينية في شعب ما بوضع الحياة السياسية فيه أمر لا يختلف عليه إثنان .

---

(١) راجع حياة المسيح للمقاد ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

فحين يتساح الحكم ورجال السياسة مع رجال الدين في مباشرة شعائرهم ، ونشر تعاليمهم ، ويساعدونهم على ذلك بما يحتاجون إليه من المال ، تنهبط الحياة الدينية نشاطا ملحوظا ، ويتخلص الدين من شوائب الخرافة والسطحية وسوء التأويل وهي الشوائب الخطيرة التي تعلق عادة بالأديان ، فتطمس روائها الرائع وجوهرها الأصيل .

أما حين يكون الحكم أنفسهم متمسكين بمبادئ الدين مواظبين على أداء شعائره وطقوسه فإن ذلك كفيل بتأصيل الإحساس الديني في نفوس العامة ، وجذبهم جذبا إلى التزام أوامره وأحكامه ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون .

وعلى العكس من هذا حين يتحمل الحكم من مبادئ الدين ، ويتحررون من قيود الأخلاق ، أو يستغلون الدين كوسيلة مضمونة لدهم حكمهم ، وتأييد سياستهم ، فإن الدين يتحول بين الناس إلى شعار أجوف لا معنى له ، وتقليد موروث لا روح فيه ، بل إن رجال الدين أنفسهم يتحولون إلى فريق من الانتهازيين الذين يصطرون فيما بينهم على المناصب ، ويتنافسون في حيازة الثروة ، والحصول على الجاه ، ويشغلهم ذلك كله عن أداء الشعائر ، وحفظ التعاليم ، وطرق أبواب الاجتهاد ، وهذا هو ما حدث للديانة اليهودية وكهنيتها قبل ظهور المسيح .

لقد تزوج ( هيرودس ) بـ ( هيروديا ) زوجة أخيه ( فيليب ) زواجاً غم شرمي ، وهاشر ابنتها ( سالوى ) معاشره غم شريفة ، فلم ينكر أحد عليه من كهنة اليهود .

ولما تصدى ( يوحنا ) المعمدان لهذا الزواج ، فأبكره ، وشهر به ، حرض الكهنة الصوابين على التخلص منه والقضاء عليه ، ذلك لأن الوظائف

الكهنوتية الكبرى بكل ما تدره من ثروة وجاه كانت بيد الملك وحده يمنحها من يشاء .

يقول الدكتور (أحمد عبد القادر الجمال) عن الوظائف الدينية في هذه الفترة :  
« وكانت وظيفة رئيس الكهنة مع الزعماء نظرا لما يتبعها من نفوذ سياسي ومغرم مادي ، .

ولقد شارك رئيس الكهنة في وظيفة إدارة الهيكل ، وتصريف الشئون الدينية هيئة من المستشارين أطلق على مجلسهم لاسم مجلس (السندريم) <sup>(١)</sup>  
ومن طوائف الصراع بين رجال الدين على هذه الوظيفة المرهقة ، أن أنصار الفرس تغلبوا على أنصار الرومان في بيت المقدس .

وكان أنصار الفرس يرشحون للرئاسة الكهنة (انقيجوروس) بن (أرستيبوس) فقبض بيده على مزاحمه (مركاوس) ، وقضم أذنه بأسنانه ليحول بينه ، وبين وظيفة الكهانة طول حياته ، إذ كانت هذه الوظيفة محرمة على الملاحين وذوى العاهات (٢) .

وقد أشرنا عند حديثنا عن الفرق اليهودية إلى أن الاحبار والكهنة قد ارتموا في أحضان الحكام ورجال السياسة ، وتركوا مجال الفتناء والتعليم للكتبة الذين أطلق الشعب عليهم لاسم ( حملة لواء الشريعة ) .

ويلخص الدكتور (أحمد شلبي) ما ساد الحياة الدينية آنذاك من سطحية وفساد فيقول ، حلف بنو إسرائيل شريعة موسى ، وجعلوا همهم جمع المال ، وامتد هذا التفكير المادي إلى العلماء ، فأخذوا يحرضون العامة على تقديم

---

(١) الدكتور أحمد عبد القادر الجمال، دراسات في النظم السياسية والإجتماعية ص ٨٤ .

(٢) عباس العقاد ، حياة المسيح ، ص ٤٠ .

القرايين والنذور إلى الهيكل رجاء أن يصلوا إلى الغفران ، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم ، وتمتقوا في المادية ، وهدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، وانغمس الكثير منهم في متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقمين حساباً .

وفي كلمة واحدة : لقد فسدت العقيدة ، وفسدت الأخلاق ، ولم يكن بد من منقذ يحاول أن يردم عن طغيانهم الذي كانوا فيه يعمهون<sup>(١)</sup> .

على أن الأمر قبل ظهور المسيح لم يخل تماماً من بعض المحاولات الجادة لهذا الإنقاذ .

من شواهد ذلك - ظهور بعض النزعات الفلسفية الوافدة من اليونان - وهي نزعات تحاول أن تنسأى بالآرواج فوق الفواغل المادية ، والعلاقات الجسدية . كما تسالت إلى فلاسطين بعض الديانات الهندية التي تتجه نفس الاتجاه - وقد ألمنا بذلك كله في الفصل السابق .

كما ظهر في هذه الفترة أيضاً المتفلسف الإسرائيلي ( فيلون ) الذي حاول أن يفلسف العقيدة اليهودية ، فزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً ، وأنه من الممكن التوفيق بينهما وبين العقل إذا لوحظ ما تطوى عليه النصوص والإشارات .

وعنده أن الناس أقسام ثلاثة :

١ - ولید الارض .

٢ - ولید السماء .

٣ - ولید الله .

---

(١) الدكتور أحمد شلبى ، المسيحية - ٣٢ .

فوليد الأرض ، من يطلب متاع الجسد .

ووليد السماء من يطلب متاع الفكر .

ووليد الله ، من تجرد عن الدنيا ، وأقبل بحملته على عالم فوق هذا العالم  
معصوم من الفناء ، برىء من المادة ، في زمرة الهداة والمرسلين (١) .

ومهما يكن من شيء ، فقد كانت هذه النزعات بمثابة التهديد المنطقي لظهور  
المسيح .

ثم كان السيد المسيح نفسه نقطة تحول كبرى في طريق الدين ، والفلسف  
على الصواء .

( ٢ )

## حياة المسيح

( ١ ) مريم وإليصابات :

كانت ( حنة بنت فاووز ) امرأة عمران حاملا - فنذرت ماني بطنها محرراً لخدمة الهيكل .

فلما تمت لها أشهر الحمل - وضعت مريم عليها السلام .

ولم يكن في شريعة بنى إسرائيل أن يدفعوا ببنايتهم إلى خدمة الهيكل وإنما كان ذلك مقصوراً على البنين دون البنات .

وقد اعتذرت ( حمنة ) إلى الله لعدم تمكنها من الوفاء بنذرهما السابق فألهمها الله أنه قبل ( مريم ) لخدمة الهيكل وفاء بنذر أمها البارة .

وشبه ( مريم ) من الطهوق حتى بلغت مبلغ الاثوثة - فخطبها شاب لإسرائيل يقال له ( يوسف النجار ) .

ولما كانت ( مريم ) في كفالة زوج أختها ( زكريا ) عليه السلام - فقد كان يتردد عليها كثيراً في الهيكل - فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء - فإذا سأها عن ذلك - قالت هو من عند الله - فأغراه ظهور الفاكهة في غير أوانها أن يسأل الله غلاماً ذكياً يرثه ويرث من آل يعقوب . على الرغم من كبر سنه ، وعقم زوجته إليصابات .

وتفتحت أبواب السماء لدعاء الشيخ النبي - فحملت زوجته به ( يحيى ) الذي سمى فيما بعد به ( يوحنا المعمدان ) .

وفي الشهر السادس من حمل (إليصابات) نزل ملك الرب إلى (مريم) فتمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما ذكيا تسميه عيسى أو يسوع ، ويكون رسولا نبيا يحدد صلة بنى إسرائيل بمخلصهم العظيم .

وحين تعجبت (مريم) لطلبها وهي بكر لم تزوج ، وتعجب (زكريا) لخل زوجته العاقر على حين قد بلغ هو من الكبر عتيا - كان جواب الملائكة أن ذلك لا يمر على قدرة الله الذي يخلق من العدم المحض وجودا حقا ، ويصنع من لا شيء كائنات تتصف بالحياة ، والتأنه .

وقد أفضت (مريم) إلى أختها (إليصابات) بما يختمر في نفسها من معاصر الحسية ، والاشفاق - فقالت لها إن مافي بطنى يسجد لما في بطنك ، وطمأنتها بما يحمل لها المستقبل من شرف وتكريم .

أما (يوسف النجار) - فلم يساوره شك قط في طهارة عروسه البتول - ولكنه حين بدت عليها علامات الحمل - سألها سؤالا يكهف عما يخامر نفسه القلقة من خواطر حائرة - قال لها :

(إله يسألك عن أمر فلا تعجل على) .

قالت (وما هو ؟)

قال (هل يكون قط شجر من غير حب . وهل يكون زرع من غير بذر . وهل يكون ولد من غير أب ؟)

فألت (نعم) وفهمت ما أشار إليه .

أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر - فإن الله قد خلق الصجر ، والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر .

أما قولك هل يكون ولد من غير أب - فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير



أب ولا أم ، فصدقها ، وسلم لها حالها (١) .

### (ب) الميلاد ، والنفأة :

تمت أشهر الحمل لمريم عليها السلام ، ووضعت ولدها ( يسوع ) المسيح في بيت لحم .

ويختلف الباحثون حول تاريخ ميلاد السيد المسيح اختلافا كبيرا لا يرى داعيا له في هذه المجالة .

ولكننا نهيئ فقط إلى أن الكنيسة الغربية تحتفل به في السادس والعشرين من ديسمبر .

بينما تحتفل به الكنيسة الشرقية يوم السادس من يناير .

ويرى أن طائفة من المجوس عرفوا تاريخ ميلاده ، فأقبلوا على بيت لحم يحيون الوليد العظيم ، ويسجدون له .

وننقل هنا ما يذكره الإنجيل متى بهذا الخصوص .

فقد ورد في الإنجيل الثاني ( ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى اورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فإتينا رأينا نجمه في المشرق ، وأتينا لفسجد له .

فلما سمع هيرودس الملك ، اضطرب وجميع اورشليم معه ، وجمع كل كتبة الشعب ، ورؤساء السكينة وسألهم أين يولد المسيح ، فقالوا له في بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب النبي وأنت يا بيت لحم .

---

(١) تفسر ابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ١١١٦

أرض يهوذا است الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى  
شعبى لإسرائيل .

حينئذ دعا ( هيرودس ) المجهوس سرا ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر  
ثم أرسلهم إلى بيت لحم ، وقال اذهبوا ، وافحصوا بالتدقيق عن العصبى ، ومتى  
وجدتموه ، فأخبروني لكي آتى أنا أيضا وأسجد له .

فلما سمعوا من الملك ، ذهبوا ، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم  
حتى جاء ، ووقف فوق حيث كان العصبى ، فلما رأوا النجم ، فرحوا فرحا عظيما  
جدا ، وأنوا إلى البيت ، ورأوا العصبى مع ( مريم ) أمه ، فخرؤا وسجدوا له ،  
ثم فتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ذهبيا ولبانا ومررا .

ثم إذا أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى ( هيرودس ) ، انصرفوا  
فى طريق أخرى إلى كورنتم .

ويحكى الإصحاح بعد ذلك أن ملاك الرب تمثل ليوسف النجار ، وطلب إليه  
أن يذهب بالعصبى وأمه إلى مصر ، لأن الملك سيبحث عن العصبى ، ويقتله .  
وهذا هو ما حدث بالفعل ، فقد تعقب الملك جميع الأطفال الذين توقع أن  
يكون من بينهم المسيح الموعود ، فقتلهم .

أما يوسف ، فقد هاجر مع العصبى وأمه إلى مصر ، وأقاموا بها حتى هلك  
( هيرودس ) الاول ، ثم عادوا حينئذ إلى أورشليم .

وحيث كانت بيت لحم فى حصه ( أرخلوس ) الذى ورث عن أبيه العنف  
والقسوة فقد أقام الثلاثة فى الجليل التى كانت تحت سيطرة ( هيرودس ) الثانى .

وكانت تبدوا على المسيح منذ طفولته وحباه غايل الصفاء العقلى ، والهدافية  
الروحية .

من ذلك ما يروى عنه وهو في الثانية عشرة من عمره ، فقد كان أبواه يذهبان كل عام لقضاء عيد الفصح في أورشليم ، وقد اصطحبا معه في هذه السن . وبعد ما أكلوا الأيام ، ، بقى الصبي في ( أورشليم ) دون أن يعلم ( يوسف ) و ( مريم ) بذلك .

ولما افتقدها طلباه بين الأقرباء ، والمعارف .

ولما لم يجداه ، رجعا إلى ( أورشليم ) يطلبانه .

وبعد ثلاثة أيام — وجداه جالسا بين المعلمين يسمعون ، يسألهم ، وكل الذين سمعوه يهتروا من أسئلته ، وأجوبته .

فلما أبصره ، اندمسا ، وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا فقال لها لماذا كنتم تطلباني ألم تعلمنا أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي فلم يفهما للكلام الذي قاله لها (١) .

### ( ج ) يوحنا المعمدان :

كان اليهود ينتظرون ظهور المسيح الذي بشرت به أسفار العهد القديم والذي يعيد المجد اليهودي المبدد عبر عصور القهر والاستبداد .

وجاء ( يوحنا ) المعمدان فبشر بقرب ظهور المسيح ، وكان يتحدث في مجالسه عن شرفه وكرامته ، وسمو منزلته عند الله ، وإنه لم يحدد شخصيته ولا البيت الذي سيظهر فيه .

ولابد أن كهنة اليهود قد استقبلوا بهارة ( يوحنا ) بكثير من الذعر والتوجس ،

---

### ( ١ ) إنجيل لوقا الإصحاح الثاني

لأنهم توقعوا في تعاليم المسيح المنتظر خطرا داهيا على امتيازاتهم الكنيسية المبروثة ، ومن هنا لم يكن تحمسهم للإشارة ، ولا حبهم للبشر ، بل لقد تأمروا على ( يوحنا ) فقتلوه تخلصا من الصوت الجهور الذى يقض مضاجعهم ، ويزعج لاستمرارهم .

#### ( د ) معجزات المسيح :

بعد مقتل ( يوحنا ) أوحى إلى المسيح ( عيسى بن مريم ) برسالة السماء . ولما كان الشعب اليهودى تغلب عليه الطبيعة المادية التى تقف به عند الإيمان بالمحسوس ، ولا تدمو به إلى مقام التجريدات العقلية ، فقد توالى ظهور المعجزات الحسية على يد المسيح .

وننقل هنا شيئا مما ترويه الأناجيل بهذا الخصوص .

فقد جاء أحد العظماء ، فسجد له ، وقال ( إن ابنتى قد ماتت تعال فضيغ يدك عليها فتحييا ) فقام ( يسوع ) هو وتلاميذه وإذا امرأة نازقة دم قد جاءت من ورائه ومست هذب ثوبه ، لأنها قالت فى نفسها إن مسست هذب ثوبه فقد شفيت ، فالتفت يسوع وقال لها ثق يا ابنة قد شفاك ، فعضيت من تلك الساعة .

ولما جاء ( يسوع ) إلى البيت الذى دعاه ونظر إلى الجميع وكانوا يهضجون ويبكون ، فقال لهم ( تنحوا ، فإن العسبة لم تمت ، ولكنها نائمة ) فضحكوا عليه ، وسخروا منه .

فلما أخرج الجميع ، دخل وأمسك بيدها . فقامت العسبة ، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها .

وفيا يسوع مجتاز من هناك تبعه اعميان يصرخان ويقولان ( ارحمنا يا ابن داود ) .

ولما جاء إلى البيت ، تقدم إليه الاعميان فقال لهما يسوع ( اتؤمنان انى أقدر أن أفعل هذا ) قالا له ( نعم يا سيد ) حينئذ لمس أعينهما قائلا ( بحسب إيمانكما ، ليكن لكما ) . فانفتحت أعينهما ، فانتهرهما يسوع قائلا ( أنظروا لا يعلم أحد ) - ولكنهما خرجا ، وأشعاه في تلك الأرض كلها .

وفيا هما غارجان ، إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه ، فلما أخرج الشيطان ، تكلم الآخرس ، فتمجب الجميع قائلين ( لم يظهر قط مثل هذا في بنى إسرائيل )<sup>(١)</sup> .

#### ( هـ ) نهاية المسيح على الأرض :

تختلف الكتب المقدسة المعروفة في وصف نهاية المسيح على الأرض اختلافا جوهريا فالأناجيل تذكر أنه قتل ، وصلب ، ودفن ، ثم قام من بين الموتى ، ورفع جسمه وروحه إلى السماء حيث جلس على يمين أبيه وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة .

وبهذا يعتبر أحد الثالوث الإلهى ( الآب ، والإبن ، والروح القدس ) .  
والقرآن يشير إلى هذه النهاية في نحو قوله تعالى د وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفضه الله إليه ،<sup>(٢)</sup> .

ولكننا نكتفى هنا بهذا الإجمال ، ونرجى تفصيل هذه النقطة إلى موضع آخر من هذا الفصل .

كما سنبين موقف الإسلام بهذا الخصوص في الفصل التالى إن شاء الله .

(١) راجع إنجيل متى ، الإصحاح التاسع ، وإنجيل مرقس ، الإصحاح الخامس

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨

### ( ٣ )

## الفرق المسيحية

لعل القارىء يذكر ما أشار إليه حديث رسول الله ﷺ من افتراق  
النصارى إثنين وسبعين فرقة .

وبعض هذه الفرق قد باد واندر ، وبعضها لا يزال قائما إلى اليوم .

وبعضها قد تداخل بشكل أو بآخر مع فرق أخرى .

وقد ذكر ( الشهبستانى ) من كبار الفرق المسيحية ثلاث فرق هي :

( ١ ) الملاكانية ( ٢ ) النسطورية ( ٣ ) اليهقوية ، أو اليعاقبة .

ولكن الفرق الكبرى التى تنتظم جماهير المسيحيين اليوم ، ثلاث أخرى هي :

( ١ ) الأرثوذكس ( ٢ ) الكاثوليك ( ٣ ) البروتستانت .

وسنخصص كلا من الفرق الست بشيء من البيان على اعتبار أنها تمثل الفرق

المسيحية الكبرى قديما ، وحديثا .

### ١ - الملاكانية ، أو الملاكاية :

الملاكانية ، هم أصحاب ( ملاكا ) الذى ظهر بالروم ، واستولى عليها ، ومن ثم  
فقد إتبعه أكثر أهلها على مذهبه .

قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتضرعت بناسوته .

ويعنون بالكلمة أقنوم العلم .

( ١٠٢ - قصة الأديان )

ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة ، وقد مازجت الكلمة جسد المسيح كما يمازج الماء اللبن .

وقد صرح أكثر الملاكائية بأن المسيح ناسوت كلّي لا جزئي ، وهو قديم أزلي من قديم أزلي ، وقد ولدت ( مريم ) عليها السلام لإلها أزليا .

والقتل ، والصلب وقع على الناسوت ، واللاهوت .

وأطلقوا لفظ الابوة ، والبنوة على الله عز وجل ، وعلى المسيح وذلك لما يزعمونه من نص الإنجيل عليه في نحو قوله ( إنك أنت الإبن الوحيد )<sup>(١)</sup> .

#### ٢ - النسطورية :

الנסطورية ، هم أصحاب ( نسطور الحكيمة ) الذي ظهر في زمان للمأمون ، واستحدث في الأناجيل آراء خاصة .

قال : ( إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة .

ومذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو .

وقد اتحدت الكلمة بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج كما قالت الملاكائية . ولكن كإشراق الشمس في كوة ، أو على بللور ، أو كظهور النقش في الخاتم .

وبعض النسطورية وصفوا الله بصفات زائدة على أقنوم العلم ، والحياة كصفة القدرة ، وصفة الإرادة .

ومنهم من اعتبر كلا من الأقانيم الثلاثة إلها .

---

(١) الملل والنحل ، القسم الأول ص ٢٠٢

بينما زعم الباقون أن لاسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأنايم .

وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الأب ، وإنما تجسد المسيح حين ولد والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إله وإنسان اتحاداً ، وهما جوهران أو أفنومان ، أو طبيعتان - جوهر قديم - وجوهر محدث - إله تام وإنسان تام - ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث - لكونهما صاراً مسيحياً واحداً - مهيئته واحدة .

وقالوا إن القتل ؛ والصلب وقعا على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته .

ومن النسطورية قوم يعرفون بالمصلين - وهم يميلون إلى الزهد والتقشف ويقررون أنه إذا اجتهد الرجل في العبادة ، وترك التغذى باللحم والدهن ، ورفض الشهوات النفسانية والحيوانية ، يصفى جوهره حتى يبلغ ماسكوت السموات ، ويرى الله تعالى جهرًا ، وينكشف له مافي الغيب ، فلا نخفى عليه عافية في الأرض ولا في السماء .

ومنهم من ينفي التشبيه ، ويلتجئ القول بالقدر خيره وشره من العبد<sup>(١)</sup> .

### ٣ - - اليعقوبية :

تنسب اليعقوبية ، أو اليعاقبة إلى رجل يقال له ( يعقوب ) ، ولا يذكر لهم رستاق شيئاً عنه أكثر من اسمه .

قال اليعقوبية بالأنايم الثلاثة - إلا أنهم يقولون إن الكلمة انقلبت لها ردما - فصار الإله - هو المسيح لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل

---

(١) الملل والنحل ، القسم الاول ، ص ٢٠٥



اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة - بل صار هو هو - وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة إنسان ، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان .

فالمسيح إذن - هو جوهر واحد من جوهرين .

فجوهر الإله القديم ، وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس ، والبدن فصارا جوهرًا واحدًا ، وهو إنسان كله - وإله كله فيقال الإنسان صار إلهًا ، ولا ينعكس فيقال الإله صار إنسانًا كالفتحمة تطرح في النار ، فيقال صارت الفتحمة نارا ، ولا يقال صارت النار فتحمة ، وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ، ولا فتحمة مطلقة ، بل هي جرة .

وتأسيساً على هذه الفكرة قالوا إن القتل وقع على هذا الجوهر المركب من جوهرين ، إذ لو وقع على أحدهما ، لبطل الاتحاد .

وعدل بعض اليمانية عن هذا المتطرف فقرروا أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح عليه السلام أحياناً فنصدر عنه الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وتفارقته أحياناً فترد عليه الآلام البشرية (١) .

#### ٤ - الارثوذكس :

تسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية ، أو اليونانية ، لأن أكثر أتباعها من البلاد الشرقية كروسيا ، والبلقان ، ولبيرنان .

وكان مقرها الأصلي (القسطنطينية) ، وقد أعلنت استقلالها سنة ١٠٥٤ وهي الآن تضم عدة كنائس مستقلة .

---

(١) الملل والنحل ، القسم الاول ، ص ٢٠٦

وتعنى كلمة ( الارثوذكس ) كما يقول الدكتور ( على عبد الواحد وافي )  
اصحاب الراى المستقيم<sup>(١)</sup> .

#### ٥ الكاثوليك :

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية .

ومقرها ( روما )

ومعنى الكاثوليكية ( العامة ) ، لان الكاثوليك يذهبون الى أنهم أصل  
المسيحية ، وأن غيرهم مبتدعون .

وأهم ما يمثل قلة الخلاف بين الارثوذكس ، والكاثوليك ، أو بين الكنيسة  
الشرقية ، والكنيسة الغربية ما يأتى :

١ قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الإله الابن والله  
الإبن معاً .

وأصرت الكنيسة الشرقية على أن الروح القدس نشأ عن الإله الابن فقط .

٢ - قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الابن على الإله الابن ، وقالت  
الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الاثنين .

٣ - قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشئنة واحدة ،  
وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ، ومشئتان<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١١٥

(٢) الدكتور أحمد شلبى المسيحية ص ٢٠٦

٦ - البروتستانت :

ظهرت هذه الفرقة في أوائل القرن السادس عشر مرتبطة بحركة الإصلاح الدينى التى تزعمها المفكر الألمانى ( مارتن لوتر ) .

وكلمة البروتستانت معناها المحتجون ، أى المحتجون على النظم المسيحية ، ويرجع احتجاجهم إلى أمور كثيرة أهمها :

١ - تدخل الكنيسة فى الحريات الشخصية ، وتحكمها بمصادرة الآراء المبكرة ، والنظريات الحديثة فى الطب ، والفلسفة ، وإنهاء محاكم التفتيش التى قضت بالسجن ، أو الإعدام على ألوف الأحرار .

٢ - ما سارت عليه كنيسة ( روما ) من فرض إتاوات وضرائب باهظة ، وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الإتاوات ، والضرائب فى الفنون المسيحية العامة - ومعظمه كان رجال الكنيسة يقسمونه بينهم ، وينفقونه فى شئون شهواتهم ، وترفهم .

٣ - تحريم الكنيسة الكاثوليكية الزواج على القس ، والراهبان ، وما أدى إليه ذلك التحريم من انتشار الفسق ، والفجور بين رجالها ، ونساءها حتى لقد كان القس والراهبان يتصلون لاتصالا محرما بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضرب من المساكنة الروحية .

٤ - ما اتخذته أحد الجماهير المسيحية بشأن غفران الذنوب ، فقد قرر أن من حق الكنيسة الكاثوليكية أن تغفر ذنوب الخاطئين والمعاص .

وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية افراطا كبيرا فى استخدام هذا الحق حتى لقد أنفأوا صكوكا لغفران تباع ، وتشتري ، واتخذوها موردا هاما لكسب المال .

وفيما يلي نص هذا الصك الغريب :

( ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويملكك باستحقاقات آلامه الكلية المقدسة .

وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لى أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطاعات الكنسية التي استوجبتها ، وكذلك من جميع الافراط ، والخطايا ، والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة ، وفضيلة ، ومن كل علة وإن كانت محنوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، ويمحو جميع أقدار الذنب ، وكل علامة الملامة التي جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وأرفع القصاصات التي كنت تلزم بمكاببتها في المطهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقرنك في شركة القديسين ، وأردك ثانية إلى الطهارة ، والبر الذين كانوا عند معموديتك ، حتى إنه في ساعة الموت يفلق أمامك الباب الذي بدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح .

وأن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ) (١) .

وتسمى كنيسة البروتستانت بالكنيسة الإنجيلية .

ويقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، إذ لا تختص بفهمه طائفة دون أخرى ، فلكل قادر الحق في فهمه ، وجميعهم متساوون ، ومستولون أمام هذا الكتاب .

وهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على

---

(١) الدكتور ( على عبد الواحد وافي ) الأسفار المقدسة ص ١٢٣

رجال الكنيسة، والتي لا تعتبر الإنجيل المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل يضاف إليه الإلهام، والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقضها الباباوات واحداً من الآخر.

وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا، وإنجلترا، والهند، وهولندا، وسويسرا والنرويج، وأمريكا الشمالية، ولكن الإنجليز خاصة اعتقدوا أن حركة الإصلاح حركة هادئة ورشيقة، وأنها هي الأصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم احتفظ الإنجليز باستخدام كلمة الكاثوليكية، وأطلقوها على الكنائس التي هي نتاج حركة الإصلاح الديني دون أن يحتاجوا أن يطلقوا عليها كلمة البروتستانتية.

وللتفريق بين الكنيسة الانجليزية التي هي ثمرة حركة الإصلاح، وبين الكنيسة الكاثوليكية الأصلية، أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

ونتيجة الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً حيث يتعاون أعضاؤها على القيادة، والوعظ مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة<sup>(١)</sup>.

---

(١) المسيحية، الدكتور شلبي، ص ٢٠٧



يطلق العهد الجديد على مجموعة الاسفار التي يقدمها المسيحيون ، وذلك في مقابلة العهد القديم ، وهو يضم الاسفار التي يشتركون في تقديمها مع اليهود .

ويقصد بكلمة العهد في هاتين المجموعتين ما يرادف معنى الميثاق . أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً مع الله أخذه الله على الناس .

فالاولاهما تمثل ميثاقاً قديماً ترجع بدايته إلى عصر ( موسى ) .

والاخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور ( عيسى ) .

وعدد اسفار العهد الجديد سبعة وعشرون تنقسم إلى ثلاث مجموعات ، وسفرين .

أما المجموعات فهي :

١ - الاناجيل الاربعة .

٢ - رسائل ( بولس ) وهي اربع عشرة رسالة .

٣ - الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل .

وأما السفران ، فهما سفر أعمال الرسل لـ ( لوقا ) ، وسفر رؤيا ( يوحنا ) .

وسنحاول في سرعة أن نلقى الضوء على هذه الأسفار .

### أولاً : الاناجيل الأربعة :

المعروف أن المسيح عليه السلام ، هو أحد أصحاب الكتب السماوية المقدسة  
ولأن كتابه يسمى بالإنجيل .

والكلمة تعنى البشارة ، وذلك لما تضمنه الإنجيل من بشرى الخلاص  
للإنسانية .

ولكن إنجيل المسيح ليس له وجود الآن ، ولا يعرف أين ذهبت به الأيام  
وقد ظهرت أناجيل كثيرة تنسب إلى تلاميذ المسيح ، ولكن الكنيسة  
المسيحية لم تقر منها غير الاناجيل الأربعة الآتية :

( أ ) إنجيل ( متى ) ، ويرجع تاريخ تأليفه إلى حوالى سنة ستين بعد الميلاد  
وكان متى يعمل ككاتب حسابات ، أو مأمور بتحصيل على حد تعبير الاستاذ  
المقاد (١) .

( ب ) إنجيل ( مرقس ) ويرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ثلاثة وستين ، أو خمس  
وستين ميلادية على أرجح الأقوال .

( ج ) إنجيل ( لوقا ) ، وكان طبيباً معروفاً ، وقد ألف إنجيله في نفس  
المصر الذى ألف ( مرقس ) فيه إنجيله .

( د ) إنجيل ( يوحنا ) كان صاحب عمل ناجح في تجارة السمك يهواره  
فيه أخوه يعقوب كما يؤخذ من إنجيل ( مرقس ) حيث يقول (إنهما تركا أباهما

في السفينة مع الأجراء وذهبوا وراء السيد المسيح ) وقد ألف ( يوحنا ) إنجيله سنة تسعين بعد الميلاد على أرجح الأقوال وهو آخر الأناجيل الأربعة تأليفاً .  
والأناجيل الأربعة بشكل عام تتضمن قصة حياة المسيح ، ومجموعة من موافقه وأقواله ، وتفصل أمر نهايته على الأرض . ورفعته إلى السماء على نحو ما يعتقد المسيحيون .

#### ثانياً : رسائل ( بولس ) :

قام ( بولس ) بدور خطير في نشر المسيحية ، وشرحها ، وقد بدأ نشاطه بعد وفاة المسيح بحوالى أربع سنين ، واستمر قرابة ثلاثين سنة .  
وقد كتب رسائله إلى عدد من الجهات يدعو فيها إلى اعتناق المسيحية ، ويشرح فيها تعاليم المسيح ، ومبادئه على نحو ما يريد .  
وسنزيد هذه النقطة وضوحاً في موضوع آخر من هذا الفصل إن شاء الله .  
٣ - الرسائل الكاثوليكية وهي سبع رسائل كتبها بعض تلاميذ المسيح الذين يطلق عليهم اسم الحواريين ، وقد كتبت كلها بين سنتي خمسين ، وتسعين بعد الميلاد .

وتدور موضوعاتها حول نفس الموضوعات التي تضمنتها رسائل ( بولس )

#### ٤ - سفر أعمال الرسل :

وينسب هذا السفر إلى القديس ( لوقا ) صاحب الإنجيل الثالث . وقد كتبه حوالى سنة ثلاث وستين .

وموضوعه تاريخ حياة الحواريين ؛ وتاريخ طائفة من كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين .



هـ - سفر الرؤيا :

وقد وضعه القديس ( يوحنا ) صاحب الإنجيل المعروف باسمه في عهد  
الامبراطور ( دوميسيان ) سنة ٨١ إلى سنة ٩٦ ميلادية .

والسفر عبارة عن رؤيا منامية رآها ( يوحنا ) ، وأوحى إليه فيها على حد  
زعمه بكثير من حقائق الديانة المسيحية ؛ وأحداث المستقبل .

وقد كتبت أسفار العهد الجديد باللغتين اليونانية ؛ والآرامية ؛ ثم ترجمت  
بعد ذلك إلى اللغات المختلفة .

## المبحث الثانى

### شريعة الحب

شريعة الحب هو أفضل عنوان يمكن إطلاقه على الشريعة المسيحية وهو العنوان الذى اختاره الأستاذ العقاد للتعبير عن الشيء نفسه ، وذلك فى كتابيه اللذين خصصهما للحديث عن السيد المسيح وهما حياة المسيح ، وعبقريّة المسيح . فقد وقف بنو إسرائيل بشرائع السماء عند المظاهر والأشكال ، وطوعوا ولاهوائهم الفاسدة ، ومصلحتهم المادية ، فبعدوا كثيرا عن أهدافها السامية التى ارتبطت بها واتجهت إليها عند النزول .

وقد بالغ كهنتم فى ذلك إلى حد أن أصبحت الاستقامة براعة فى اللعب بالألفاظ وتصيدا للجهلاء بالحيل والفتاوى ، فزال الجوهر فى سبيل العرض ، وزال الباب فى سبيل التفحور ، وزالت الاستقامة ، وطهارة الضمير فى سبيل الكلمات والنصوص وزالت الحقائق فى سبيل المظاهر والأشكال .

وقد كانت كلمات المسيح عليه السلام بمثابة الثورة العارمة على هذا الجحود التقليدى فى فهم الدين ، وعلى ذلك الرياء الموروث فى تطبيق أحكامه .

ومكثدا استجالات الشريعة فى أيدي الكهنة إلى شريعة رياء غايتها الكسب والمباهاة ، فقد كانت شريعة المسيح شريعة حب هدفها سمو والنقاء .

وقد أجمل المسيح نفسه جوهر شريعته حين سأله أحدكم قائلا ( يا معلم أى وصية هى الأعظمى فى التاموس ؟

هـ -- سفر الرؤيا :

وقد وضعه القديس ( يوحنا ) صاحب الإنجيل المعروف باسمه في عهد  
الامبراطور ( دوميسيان ) سنة ٨١ إلى سنة ٩٦ ميلادية .

والسفر عبارة عن رؤيا منامية رآها ( يوحنا ) ، وأوحى إليه فيها على حد  
زعمه بكثير من حقائق الديانة المسيحية ؛ وأحداث المستقبل .

وقد كتبت أسفار العهد الجديد بالفتن اليونانية ؛ والآرامية ؛ ثم ترجمت  
بعد ذلك إلى اللغات المختلفة .

(١) ع.

## المبحث الثانى

### شريعة الحب

شريعة الحب هو أفضل عنوان يمكن إطلاقه على الشريعة المسيحية وهو العنوان الذى اختاره الأستاذ العقاد للتعبير عن الشيء نفسه ، وذلك فى كتابيه اللذين خصصهما للحديث عن السيد المسيح وهما حياة المسيح ، وعبقريه المسيح . فقد وقف بنو إسرائيل بشرائع السماء عند المظاهر والأشكال ، وطوعوا ولاهوائهم الفاسدة ، ومصالحهم المادية ، فبعدوا كثيرا عن أهدافها السامية التى ارتبطت بها واتجهت إليها عند النزول .

وقد بالغ كهنتهم فى ذلك إلى حد أن أصبحت الاستقامة براعة فى اللعب بالألفاظ وتصيدا للجهلاء بالحيل والفتاوى ، فزال الجوهر فى سبيل العرض ، وزال الباب فى سبيل التفحور ، وزالت الاستقامة ، وطهارة الضمير فى سبيل الكلمات والنصوص وزالت الحقائق فى سبيل المظاهر والأشكال .

وقد كانت كلمات المسيح عليه السلام بمثابة الثورة العارمة على هذا الجحود التقليدى فى فهم الدين ، وعلى ذلك الرياء المروث فى تطبيق أحكامه .

وهكذا استحوالت الشريعة فى أيدي الكهنة إلى شريعة رياء غايتها الكسب والمباهاة ، فقد كانت شريعة المسيح شريعة حب هدفها سمو والنقاء .

وقد أجمل المسيح نفسه جوهر شريعته حين سأله أحدكم قائلا ( يا معلم أى وصية هى الأعظمى فى التاموس ؟

قال له (يسوع) تحب الرب من كل قلبك ، من كل نفسك ، ومن كل فكرك ،  
هذه هي الوصية الاولى والعظمى .

والثانية مثلها ، تحب قريبك كنفسك .

بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء (١) .

ومعنى هذا أن المسيح عليه السلام لم ينقض ناموس الشرائع السابقة ، وإنما  
جاء ليعود بهذه الشرائع إلى جوهرها النقي من إضافات الكهنة ، وشوائب  
المصور .

وقد نص على ذلك صراحة ليصحح أفهام السطحيين الذين يعتقدون أنه  
يهدف إلى هدم الشرائع السابقة ، ويروجون لهذه الفكرة الخاطئة بين العامة  
لينفروا منه القلوب .

فقد قال لا تظنوا أني جئت لآنقض الناموس ، أو الانبياء ، ما جئت لآنقض ،  
بل لأكمل ، فاني الحق أقول لكم إلى أن يزول السماء والأرض لا يزول حرف  
واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

ومن نقض إحدى هذه الوصايا الأصغرى ، وعلم الناس هكذا ، يدمى أصغر  
في ملكوت السموات .

وأما من عمل وهم ، فهذا يدمى عظيمًا في ملكوت السموات (٢) .

فالمسيح إذن لم ينقض الناموس ، ولا كنهه مع ذلك خلص الشريعة من مظاهر  
الجمود ، والرياء التي علقت بها من جيل إلى جيل .

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح الثاني والعشرون .

(٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

ولقد كان أساس الشريعة الجديدة ، هو الحب الذى يسمو بالانفس الإنسانية  
إلى آفاق بعيدة من الصفافية والصفاء .

حب الخالق الذى لا تحصى نعمه .

وحب المخلوق وإن عظمت إساءته وكثرت خطاياها .

ونسوق الآن هذا النص الذى يفيض روعة وإشراقا ، ويكشف عن مدى  
ما فى المسيحية من حب ، وتسامح .

« سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، .

وأما أنا ، فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من اطعك على خدك اليمين  
فأدر له الأيسر .

ومن أراد أن يخاصمك ، وبأخذ ثوبك ، فأترك له الرداء أيضا .

ومن سخرك ميلا واحدا ، فاذهب معه لإثنين .

ومن سألَكَ فأعطه ، ومن أراد أن يقرض منك ، فلا ترده .

سمعتم أنه قيل ، تحب قريبك ، وتبغض عدوك ،

وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعينكم ، أحسنوا إلى  
مبغضينكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون إليكم ، ويطردونكم لكي تكونوا أبناء  
أبكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمس على الأشرار والصالحين ، ويطهر على  
الابرار والظالمين ، لأنه إن أحببتهم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، اليس العشارون  
أيضا يفعلون ذلك .

وإن سلمتم على أخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون ، اليس العشارون أيضا

يفعلون هكذا ، فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أبائكم الذين في السموات هو كامل (١).

هذه هي صورة الحب في شريعة المسيح ، صفح عن الاعداء ، ومقابلة للسينة بالحسنة ، ومقابلة الخطيئة بالرضا ، والسلام .

وإذا غلبت هذه الأخلاق على امرئ ، ورسخت في نفسه ، شاعت في أعمقه السكينة الروحية ، فيصبح أملا لمعاينة الخالق ودخول ملكوت السموات مهما قل اكتراث الناس به ، أو زاد احتقارهم له .

أما الاغنياء المعتدون بفنهم ، المفتونون بأموالهم ، فإن دخولهم في سميرة أيسر من دخولهم في هذا الملكوت .

يقول المسيح عليه السلام ، طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحرافى لأنهم يتمزون ، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع ، والعطاش لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للانقياء لأنهم يمايئون الله ، طوبى لصابري السلام لأنهم أبناء الله يدعون ، طوبى للمطرودين من أجل السلام لأنهم لهم ملكوت السموات ، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات ، فإنهم هكذا طردوا الانبياء الذين من قبلكم ، (٢) .

وإذا كانت النصوص السابقة تركز على الجانب الأخلاقي في المسيحية ، فإن هناك نصوصا أخرى تشير إلى طائفة قليلة من القشريات التي تختلف عن القشريات اليهودية .

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

(٢) نفس المصدر .

فن المعروف في الانجيل أن المسيح أباح العمل في السبت ، فقد ورد في متى  
في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الوروع ، لجام تلاميذه ، وابتدأوا  
يقطفون سنابل ويأكلون .

فالفريسيون قالوا له م تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت ، فقال لهم  
أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل  
خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا الذين معه بل للسكنة فقط ، أو ما قرأتم  
في التوراة أن السكنة في الهيكل يذنبون السبت وهم أبرياء ، (١) .

وتحريم الطلاق مسألة أخرى يتمثل فيها نمط من أنماط التشريع الجديد على  
اختلاف بين الأرثوذكس ، والكاثوليك .

فالمذهب الكاثوليكي يحرم الطلاق تحريماً باتاً ، ولا يبيح فصح الزواج لأي  
سبب مهما عظم شأنه . حتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد مبرراً للطلاق وكل  
ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية ، هو التفرقة الجسمية بين شخصي الزوجين  
مع اعتبار أن الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما  
في أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه على شخص آخر .

ويستند المذهب الكاثوليكي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان  
المسيح إذ يقول :

( لا يصلح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله ) .

على حين أن المذهب الأرثوذكسي يبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية  
من الزوج ، أو الزوجة مع تحريره الزواج على المطلق ، والمطلقة .

---

(١) الإصحاح الثاني عشر .

(م ١١ - قصة الأدهان)



ويعتمد المذهب الارثوذكسى فى ذلك على ما ورد فى إنجيل متى على لسان المسيح أيضا إذ يقول :

( من طلق امرأته إلا بسبب الزنى يجعلها تزنى )<sup>(١)</sup> .

والى جانب إباحة السبب ، وتحريم الطلاق ، هناك مسألة ثالثة ، هى حظر تعدد الزوجات .

فقد رأينا أن اليهود يبيحون تعدد الزوجات ، بل ويطلقون هذا التعدد بلا حدود ، ولكن الاناجيل تفهم إلى ضرورة الاكتفاء بزوج واحدة .

هذه هى المسائل الثلاث التى تنسب إلى الجانب التشريعى فى المسيحية ، ولا يناق هذا أن المسيحية فى جوهرها عظم من التعاليم الأخلاقية الرفيعة التى تخلص النفوس من قيود المادية المهيمنة ، وتسمو بها إلى آفاق رحبة من الطهارة والصفاء .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى ، الأسفار المقدسة ، ص ١٣١

## المبحث الثالث

### مسيحية بولس

لم يكن ( بولس ) من التلاميذ المباشرين لعيسى عليه السلام .

بل تذكر بعض المصادر أنه لم ير المسيح في حياته ، بينما تذكر مصادر أخرى أنه كان من أكبر أعدائه ، والله خصومه .

بدأ ولاؤه للمسيحية سنة سبع وثلاثين ، واستغرق نشاطه في تأييدها قرابة ثلاثين سنة ، أى إلى أن مات سنة ٦٧ ميلادية .

وقد كان ( بولس ) طاقة دائمة وجهت كلها في نصرة المسيحية والترويج لها . ويظهر ذلك من خلال رسائله التى بعث بها إلى مختلف الجهات في سبيل نشر المسيحية .

ولا نريد أن نبحث هنا عن الدوافع الحقيقية وراء نشاط (بولس) وثقانيه في دعوته . ولكن الذى نريد إثباته ، هو أن (بولس) كان يهدف إلى جعل المسيحية ديانة عالمية . وأن هذا الهدف حمله على الاجتهاد في تفسير عبارات المسيح تفسيراً يحقق دهرى العالمية .

بل لقد استطاع ( بولس ) أن يلقح العقائد المسيحية بأفكار حديثة مأخوذة من الديانات ، والمذاهب المختلفة ، وأن يوحى إلى واضعى الاناجيل بهذه الأفكار إنما نجد أثره واضحاً في ما بين أيدينا من الاناجيل ، كل هذا بقصد أن تكون المسيحية ديناً عالمياً يجذب الأنصار والمؤيدين في كل مكان .

وبهذه التحريفات المتعمدة ، خرجت المسيحية عن وجهها الصحيح ، ولما كانها في الوقت ذاته أحرزت ما كان يهدف إليه (بولس) من الانتشار السريع .  
وأهم المسائل التي أدخلها (بولس) على المسيحية ، والتي تمثل هذا التحريف الخطير .

١ - القتل ، والصلب .

٢ - القيامة ، والرفع بالجسد والروح .

٣ - التثليث .

وسنحاول أن نعطي فكرة سريعة عن المسائل الثلاث من خلال ما يوجد في الأناجيل ، وفي الرسائل المسيحية .

#### المسألة الأولى - القتل والصلب :

تقوم هذه العقيدة على أساس أن الله حين أراد أن يكفر عن خطايا البشر بذل ولده الوحيد ليقتل ويصلب كظهير من مظاهر الفداء المقدس والتضحية بالذات من أجل الآخرين .

وتحكي الأناجيل أن كلمة اليهود انتمروا على المسيح ليقتلوه ويصلبوه ، وأن أحد تلاميذه ، وهو يهوذا الاسخريوطي) اتفق على أن يسلمه إليهم لقاء ثلاثين قطعة من الفضة .

أما المسيح نفسه ، فقد اجتمع بتلاميذه ليلة الفصح ، وأنبأهم بما سيحدث ، ووزع عليهم الخبز قائلاً لهم هذا هو جسدي فكلوه ، كما وزع عليهم الخمر قائلاً وهذا هو دمي فاشربوه ، ومن هنا نشأت في المسيحية فكرة (الفداء الرباني) .

ولما كانت الساعة المحدودة ، أقبل يهوذا ومنه جميع كثي يحملون الصلي

والسيرف ، ثم تقدم إلى المسيح فقبله ، وكانت هذه إشارة البدء التى انفضوا عليها ، فقادوه إلى رئيس السكينة ، بينما فر الحواريون من وجه الجميع فيما عدا بطرس السمعانى الذى اندس بين الناس ، وجلس مع الخدم فى دار رئيس السكينة لينظر النمايه .

وطالب السكينة شاهد زور ضد المسيح ، فتقدم أحد العامة قائلاً : هذا قال لى أقدر أنقض ميكل الله ، وفى ثلاثة أيام أبنيه لكم ، فقام رئيس السكينة وقال له : أما تجيب بشىء ، استعاضتك بأقوالى أن تقول لنا هل أنت المسيح بن الله ؟ قال له يسوع أنت قلت ، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ، وآتياً على سحاب السماء .

فزق رئيس السكينة حينئذ ثيابه قائلاً : قد جدف ، ما حاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم مجد يهوه ، ماذا ترون ؟

فأجابوا وقالوا لأنه مستوجب الموت .

حينئذ بصقوا فى وجهه ، ولذكروه ، وآخرون لطموه قائلين له :

تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟

أما ( بطرس ) فكان جالساً خارجاً فى الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليل ؟

فأنكر قدام الجميع قائلاً : لست أدري ما تقولين .

ثم إذا خرج إلى الصليبي ، رآته أخرى فقالت لذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصري ، فأنكر أيضاً بقسم أنى لست أعرف الرجل .

وبعد قليل جاء القوم ، وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم ، لأن

لنتك تظهرك ، فابتدا يلن ، ويحلف أنى لا أهرف الرجل (١) .

وكان المسيح قد تنبا بفرار الحواريين ، وإنكار (بطرس) له ، فأقسم الجميع أنهم لا يفعلون .

ثم إن رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب قد تفاوروا فيما يفعلونه ، فأوثقوه ، وساروا به إلى ( بيلاطس ) النبطى الوالى يطالبون بمقابله ، فسألهم ( بيلاطس ) رأى شر عمل ؟

فازدادوا صراخا أصليه ، فنزل على حكمهم ، وأسله لإيهم وقد غسل يديه إشارة إلى براءته من دمه ، فقالوا له : دمه علينا وعلى ذريقتنا من بعدنا إلى يوم القيامة ، فصلبوه ، وقتلوه واقسموا ثيابه .

وكانوا أثناء صلبه يسخرون منه قائلين :

آه يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام ، خلص نفسك وأنزل عن الصليب ، فيقول رؤساء الكهنة فى شتمة :

خلص آخرين ، وأما نفسه فلا يقدر أن يخلصها .

ولم يزل اليهود هكذا يهزؤون به ويسخرون منه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وأسلم الروح بعد ست ساعات من صلبه ، وبعد أكثر من ثلاث سنوات من بدأ رسالته .

ثم كفن فى ثوب من الكتان ، ووضع فى قبر كان منحوتا فى صخرة ، ودحرج حجر على باب القبر .

وكانت ( مريم ) المجدلية ، و ( مريم ) أم يوسف تظنران أين وضع (٢) .

---

(١) انجيل متى الإصحاح السادس والعشرون .

(٢) مرقس ، الإصحاح الخامس عشر .

المسألة الثانية ، قيامة المسيح ، ورفعته إلى السماء :

ولم تكن هذه النهاية المستقيم مع دعوى العالمية التي يهدف إليها ( براس )  
بل لا بد أن يستأنف المسيح حياته من جديد .

بل لا بد أن تكون الحياة الجديدة أبدية متصلة حتى يكون موصول الأثر  
في حياة الناس .

فقد انتهى حديث الأناجيل عن المسيح إلى ما بعد صلبه وموته ليتناول مسألة  
قيامه من قبره ، ورفعته إلى السماء بجسمه وروحه ، وذلك على النحو التالي :

إن جمعا من النساء اللاتي حزن على المسيح أتين قبره في اليوم الثالث من  
دفنه ، فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر . فدخلن ، ولم يجدن جسد يسوع .

وفيما هن مختارات في ذلك ، إذا رجلان وقفا بهن بلباب براءة ، وإذا هن  
خائفات ، ومنكبات وجوههن إلى الأرض ، قال لهن ، لماذا تطلبن الحي بين  
الأموات ، ليس هو هنا ، لكنه قام ، أذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل  
قائلا أنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويصلب ، وفي اليوم  
الثالث يقوم .

فتذكرن كلامه ، ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد عشر ، وجميع  
الباقين بهذا كله ، ولكن أحدا لم يصدق هذا الخبر العجيب ، إلى أن ظهر يسوع  
نفسه للحواريين الذين كانوا يتحدثون في أمره .

فقد وقف في وسطهم وقال لهم :

سلام لكم ، فجدعوا وعافوا ، وظنوا أنهم نظروا وروحا ، فقال لهم :

ما بالكم مضطربين ، انظروا يدي ، ورجلي ، إني أنا هو - جسوني

وانظروا كما ترون لى .

وحين قال هذا أرام يديه ورجليه .

وبينما هم فهم مصدقون من الفرخ ، قال لهم :

أعندكم هنا طعام ؟

فناولوه جزئاً من سمك معوى ، وشيئاً من شهد عسل ، فأخذ ، وأكل فدأهم وقال لهم : هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم . أنه لا بعد أن يتم جميع ما هو مكتوب على فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير .

وبعد أن أكد لهم ما كانوا يفكرون فيه ، باركهم وصعد إلى السماء ، فسجدوا له ، وانصرفوا مهللين<sup>(١)</sup> .

#### المسألة الثالثة : التثليث

لعل مسألة التثليث هى أخطر وأهم المسائل التى أدخلها ( بولس ) فى المسيحية لأنها إيدان بالعرك الصريح ، وإدعاء بانتقال يسوع من الطبيعة للبشرية إلى الحقيقة الإلهية ، وهو أمر لا يدخل فى منطق العقل ، ولا تفره نصوص النقل الصحيح .

والعقيدة المسيحية تقرر أن يسوع هو ابن الله ، أو هو أحد الثالوث الإلهى الأب والابن والروح القدس ، وأنه رفيع وجلس من يمين أبيه ، وأنه سينزل آخر الزمان ليلاً الأرض عدلاً حين تكون قد ملكت جوراً ، وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة .

وقد أشارت الأناجيل إلى ذلك ، وأشار إليه أيضاً ( بولس ) فى رسالته . من ذلك ما ذكره فى رسالته إلى أهل رومية ، فهو يقول :

« بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرد لإنجيل الله الذى سبق فوعده

---

(١) إنجيل لوقا : الأصحاح الرابع والعشرون .

به أنبياءه في الكتب المقدسة عن إبنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد  
وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح  
ربنا الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة الله ورسالته لطاعة الإيمان لجميع الأمم الذين  
بينهم أنتم أيضاً مدعو وبسوع المسيح إلى جميع الموجودين في رومية أحبباء الله  
مدعوون قديسهن نعمة لكم ، وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح ، .

هذه هي المسائل الثلاث التي أدخلها ( بولس ) على المسيحية - فبعد بها كل  
البعد عن تعاليم المسيح .

وستكون لنا وقفتان أخريان تجاه هذه المسائل :

إحداهما في تعقيبنا التالي على المسيحية .

والثانية في عرض موقف الإسلام من عقائد أهل الكتاب .



## تعقيب

من العرض المتقدم ألمنا بأصول المسيحية ، ومعرفنا على المناخ الخاص الذى نهأت فيه هذه الديانة .

وتبقى عدة ملاحظات تستحق التعميل بها فى هذا التعقيب .

١ - معرفنا على الأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنيسة ، وعرفنا أن هناك عدد آخر من الأناجيل لم يحظ بهذا الاعتراف ، وذلك كأنجيل (برنابة) .  
ولكن السؤال الذى ينبغى أن نوجهه هو أين الإنجيل الذى نزل على المسيح نفسه ؟

لا يعرف أحد أين ذهبت به الأيام ، الأمر الذى يؤكد اختلاف الأناجيل الحالية ولو فى بعض المسائل عن إنجيل المسيح .

بل أننا لنلاحظ هذا الاختلاف بين هذه الأناجيل نفسها فى كثير من التفاصيل .  
ومن أمثلة ذلك ، حديث الأناجيل عن صلب المسيح ، وعن قيامته ، ورفعه ، ولو أنها استهدفت عرض الحقيقة القاطعة ، لما وقع بينها الاختلاف .

ففى إذن مختلفة فيما بينها فى عرض الوقائع ، كما أنها مختلفة عن الإنجيل الاصلى الذى نزل على المسيح .

٢ - نحاول المسيحية أن تملأ حادثة الصلب بأنها تكفير عن خطايا البشر حيث بذل الرب ولده الوحيد كظهر من مظاهر رحمته .

ونسأل كيف تتفق الرحمة الربانية مع بذل الرب ولده على زعمهم ليقتل ويصلب ؟

بل كيف يتفق العدل الإلهي مع القول بوراثة البشر لخطيئة أبيهم آدم ؟  
أليس أقرب إلى العدل ، وأدنى إلى الرحمة ، أن تكون المسئولية فردية  
بحيث يجرى كل امرئ عن عمله الخاص خيراً كان ، أو شراً ؟  
وهذا هو ما يقرره الإسلام في نحو قوله تعالى : وأن ليس للإنسان إلا ما سعى  
وأن سعيه سوف يرى . ثم يحزاه الجزء الاوفاً ، (١) .

٣- لا شك أن النزعات الفكرية التي وفدت إلى فلسطين من أرض اليونان  
قد هيأت الأذهان لقبول المسيحية ، وسمت بأرواح الخاصة نوحاً ما من مادية  
بنى إسرائيل .

ويبدو أن ( بولس ) قد ألم ببعض هذه النزعات ، كما وقف على بعض  
البيانات الوضعية الكبرى ، واستغل هذه الثقافة العامة في تلقيح المسيحية ضمناً  
للهوى العالمية .

ومن أبرز الفواحد على ذلك ما نجده في المسيحية من الاهتمام بالروح  
على حساب الجسد ، وما يستتبع ذلك من مظاهر الزهد والتقشف ، وهو ما نجد  
له أساساً في الفيشاغورية ، والرواينة ، والايقورية وفي بعض البيانات الوضعية  
القديمة كالبودية .

وهناك أيضاً عقيدة التثليث التي تقوم من المسيحية مقام الأساس من البناء .

ونحسب أن ( بولس ) قد اقتبس هذه العقيدة من البرهمية .

وقد مر بالقارئ أن البرهمية تقول بثلاثة آلهة وهي :

( براهما ، إله الخلق ، وفهنو ، إله الحفظ والتدبير ، وسيفا ، إله الغناء

والعمار ) .

---

(١) سورة النجم ، الآيات ٣٩ ، إلى ٤١

وقد أغرى ذلك بعض الباحثين بمقد المقارنة بين المسيحية من جهة ، وبين هذه البيانات الوضعية من جهة أخرى ، وعلى الأخص البيانات الكبرى في الهند .

بل إن من الباحثين من عقد المقارنة بين حياة ( بوذا ) وحياة المسيح كدلائل على تأثر الرواة ، وخططهم فيما يذكرون من وقائع حياة الرجلين .

فقد دل على ولادة ( بوذا ) نجم ظهر في أفق السماء ، ويدعونه نجم بوذا .

وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق .

ولما ولد ( بوذا ) فرحت جنود السماء ، ورتلت الملائكة أناشيد المجد للدولود المبارك قائلين ، ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي للناس المسرات والسلام ، ويرسل النور إلى المحلات المظلمة .

ولما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء ، ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين - المجد لله في الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة . عرف الحكماء ( بوذا ) وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته حتى حياها الناس ، ودعوه إلها .

وزار الحكماء يسوع ، وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمر يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة .

ولما صار عمر ( بوذا ) اثنتي عشرة سنة ، دخل الهيكل ، وصار يسأل أهل العلم بمسائل غريبة ثم يوضحها لهم ، حتى فاق كافة مناظره .

لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة - جاءوا به إلى ( أورشليم ) ، وصار

يسأل الاحبار ، والعلماء مسائل مهمة - ثم وضعها لهم وأدهش الجميع ،<sup>(١)</sup> .

ولا تطيل بذكر هذه المقارنات - إذ من الممكن الرجوع إليها في مصادرها الأصلية .

٤ - وننقل إلى الملاحظة التالية من ملاحظتنا العاجلة وهي تتعلق بما نقلته بعض الأناجيل عن السيد المسيح بعد قيامته الموعومة من أن ما حديق له من القتل والصلب ، ومن القيامة أيضا مذكور في ناموس موسى ، والأنبياء والمزامير .

وقد أردنا كلام المسيح بهذه منذ قليل .

غير أننا قرأنا عددا من أسفار العهد القديم لأبأس به ، وفي مقدمة ما قرأناه - أسفار التوراة التي هي ناموس (موسى) ، فلم نجد إشارة إلى نبي يصلب ، ويقتل ، ويقوم من قبره بعد أيام ليرفع بروحه وجسمه إلى السماء ، ويجلس عن يمين الرب هذا على فرض التسليم بصحة كل ماورد في هذه الأسفار .

فهل نسب المسيح إلى الله ، أو إلى الأنبياء ما لم يقوله ، أو نسب الأناجيل إلى المسيح ما لم يدركه قط على بال ؟

نحسب أن هذا هو أحد الأمثلة لما يشيع في الأناجيل من اضطراب الرواية .

٥ - لا يكاد أحد من المسيحيين حتى اليوم يستطيع أن يقدم لنا تفصيرا معقولا لمسألة امتزاج اللاهوت بالانسوت .

ولا يزال الخلط الذي صنمه (بولس) من هذين العنصرين المتباينين كل التباين أشبه شيء بتعويجة سعرة بحسب سرها من الظلام والمعميات .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، البيانات القديمة ، ص ٥٥ .

ومناك أيضا مسألة القيامة والرفع هي الأخرى مسألة محمّدة حقا .

لقد ذكرت الاناجيل أن المسيح عليه السلام قام من قبره ، ورفع إلى السماء على مرأى من تلاميذه ، فهل كان بعد قيامته ذا طبيعة بشرية كما كان قبل الموت ؟ ذلك ما يفهم من حديث الاناجيل ، ويدل عليه جصهم له بالأيدي ، وأكله من السمك وشهد العسل .

فهل رفع إلى السماء بهذه الطبيعة البشرية القابلة للفساد ، والطعام - أو أنه قد تحول إلى طبيعة أخرى تناسب مع أعباء منصبه الجديد كشربك في الألوهية - إذن - فنى تم ذلك ، وعلى أى نحو تم ؟

لم تذكر الاناجيل ، ولا شراحها كلمة واحدة ترفع النقاب ولو قليلا عن هذا السر المصروف في الخفاء .

ومسألة بنوة المسيح لله - هي أكثر المسائل خفاء ، وأشدّها استعصاء على الفهم البشرى - وهي في الوقت ذاته إحدى العقائد الأساسية في المسيحية -

إن كانت بنوة حقيقية على نحو ما نفهمه من لفظ البنوة في حياتنا العادية - فهو إفتراء على مقام الألوهية بنهر علم ، وتطاول على الذات الأقدس بما لا يليق . وإن كانت بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة ، والولاء من قبل الابن والرعاية ، والرحمة من قبل الأب - فأى معنى لاختصاص المسيح بها دون سائر الأنبياء ، والأولياء ؟

والواقع أن النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام ، والتي تثبت بنوته لله ، أو تثبت أبوة الله له لا يمكن إلا أن تحمل على المعنى المجازى على فرض التسليم بصحة النقل .

وقد جرى استعمال البنوة بهذا المعنى كثيرا في اليهودية والمسيحية والإسلام .

- فقد قالت اليهود والنصارى كما حكى عنهم القرآن ، ونحن أبناء الله وأحباؤه ، (١) .  
وفي الحديث القدسي : الفقراء عيال ، والأغنياء وكلاء ، فإذا بخل وكلائي  
على عيالي نزعتم منهم مالي ولا أباي . .

- بل إن في الاناجيل أيضا استخدام البنية والابوة بهذا المعنى المجازي -  
لا بالنسبة إلى المسيح وحده ، وإنما بالنسبة إلى قومه من النصارى أيضا - ولعل  
القارىء يذكر ما أورده على لسان المسيح نقلا عن إنجيل متى والإصحاح الخامس  
إذ يقول : -

« سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا  
أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم  
ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فإنه يشرق شمس على  
الاشرار والصالحين ويطر على الأبرار والظالمين ، « إلى أن يقول « فكونوا  
أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل . .

ولكن الكيسة تتمسك بحمل البنية على المعنى الحقيقى ، ثم تمجيز عن  
تقديم التفسير الذى لا يتعارض مع بداهة العقل .

ولا يسع المصنف إلا أن ينزه المسيحية الخالصة عن مثل هذه المقامد الغريبة  
التي لا تحمل في ثناياها مقومات الإقناع - بل هي من إضافات ( بولس ) التي  
تتضمن عناصر بطلانها وتمهاتها .

واعتقد أن مسيحية ( بولس ) بكل ما فيها من قلق واضطراب كانت هي  
السبب الأول لما حدث في الغرب من الحركات الفلسفية الملعدة التي دعت

إلى التحرر من الدين باسم المادية ، أو العلمانية ، أو ما شابه ذلك من تسميات .

وهو السبب كذلك في الدعوات التي تنادى بفصل الدين عن الدولة ، أو بمرول الكنيسة عن الحياة

فليس من السهل أن يقبل إنسان يحترم عقله ما تضمنته مسيحية ( بولس ) من تعاليم لا تدخل في منطق العقل ، ولا تخضع لصرامة التحليل .

يقول الفيلسوف الألماني ( فردريك نيتشه ) : كيف تصور إلها حكما يتصل بامرأة قانية ، وينجب منها أولادا ، .

ونيتشه هو ابن أحد القساوسة الذين وقفوا حياتهم على خدمة الكنيسة ؛ ومع ذلك فقد كفر بجميع الأديان - لما رآه من لا معقولة المسيحية .

ولعل تعارض المسيحية مع العقل على هذا الوجه الصارخ ، وانكشاف تهاافتها مع البحث والتحليل - هو السبب الذي حدا بالفيلسوف الإنجليزي ( توماس هوبس ) إلى أن يطلق الباب "أما - فهو يقول :-

( إن نصوص الدين كأفراص الهواء إن ابتلعت أقادت ، وإن مضغ كانت مرة المذاق ) .

وبعد ، فهذه كالقلنا بعض الملاحظات السريعة التي سمح بها مجال الحديث على أن هناك ملاحظات أخرى نورد ما في بيان موقف الإسلام من الهيئات السابقة - وذلك في الفصل التالي إن شاء الله .

## الفصل الخامس

### الإسلام

في الفصل الأول من هذه الدراسة بينت أن الإسلام هو الإطار العام لديانات السماء ، وأن القرآن الكريم وصف أنبياء الله وكبار أتباعهم بأنهم مسلمون .

وأشرت مع ذلك إلى أن إطلاق الإسلام كوصف ذاتي ، أو عنوان خاص على الدين الأخير الذي ظهر في شبه الجزيرة العربية على يد محمد عليه السلام - هو من باب إطلاق الشيء على أشرف مراحله ، وأكمل أطواره .

فقد عرفنا أن كل دين - بما رى يأتي مشتملاً على ما في سابقه من عناصر الكمال ويريد عليه .

وتأسيساً على هذه القاعدة - جاء الإسلام وهو آخر أديان السماء إلى الأرض مصداقاً للديانات السابقة ، ومهيئاً عليها ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى - إلى مخاطبة خاتم أنبيائه - وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ، (١) .

وكان سكان شبه الجزيرة الذين واجههم الإسلام إبان ظهوره طوائف مختلفة مزقتها الأهواء ، وتفرقت بها الآراء .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨



والمكن الطوائف الكبرى يمكن حصرها فيما يأتي : —

١ - الدمريون الذين يرفضون التدين جملة وتفصيلا ، ويرجمون بجميع الظواهر إلى قانون الصدفة .

٢ - الوثنيون الذين يعبدون من دون الله أو مع الله آلهة أخرى .

٣ - الحنفاء - وهم قلة تخلصوا من مظاهر الإلحاد والوثنية ، وأخلصوا نفوسهم لله .

٤ - أهل الكتاب وهم طائفتان - اليهود ، والنصارى - ويطلق على هاتين أيضا اسم بنى إسرائيل .

وقد كان للإسلام موقف محدد من كل طائفة نحاول أن نلقى عليه الضوء في هذا الفصل إن شاء الله .

بيد أننا نود الإشارة إلى أن الطوائف المذكورة لا يزال لها امتداد على مر التاريخ - إن لم نقل إنها تمثل بشكل عام كل الاتجاهات العقائدية التي قد تظهر في أي عصر من العصور .

## المبحث الأول

### الطوائف غير الكتابية

نتحدث في هذا المبحث بإيجاز عن الطوائف غير الكتابية الثلاث وهي طوائف الدهريين والوثنيين ، والحنفاء وسنسير في التناول وفق هذا الترتيب .

#### ١ - الدهريين :

يطلق على الدهريين إسم اللادين ، أو الطبيعيين ، أو الزنادقة ، أو الملاحدة . ويتلخص مذهبهم في إنكار وجود إله يستند إليه هذا الكون .

وهم يعبرون عن مذهبهم بقولهم « إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبليج ، وما يهلكنا إلا الدهر » .

وقد أشار القرآن إلى هذا المذهب في قوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (١) » .

والقرآن يرد على الدهريين في كثير من آياته ، وفي أنماط مختلفة من الأدلة نكتفي منها بما يأتي :

#### (١) دليل الناية :

يهدف دليل الناية إلى إثبات وجود الصانع الحكيم بلفت النظر إلى ما في الكون من مظاهر القدرة الإلهية واتجاه هذه المظاهر المختلفة إلى غاية مرسومة بدقة مذهلة جارية وفق حكمة سامية - ولهذا يطلق عليه إسم دليل الناية الثاني .

#### (١) سورة المجاثية ، الآية ٢٤

فآيات القرآنية تثقل بنا بين مشاهد السماء والأرض ، بين غرائب النبات والحيوان والإنسان ، وعجائب السكراكب والنجوم ، وتربط ذلك كله بالنواميس المستندة إلى قدرة الله وحكمته .

ونكتفي بذكر نموذجين من الآيات التي تندرج تحت دليل العناية الغائي .

يقول سبحانه وتعالى في سورة النبأ : ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبينا فوقكم سباع شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزانا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا ، (١) .

ويقول في سورة يس : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمسقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٢) .

ومن الممكن الانتفاع بالكشوف العلمية الحديثة في تأصيل هذا الدليل ، وجذب الشباب المثقف إلى حظيرة الإيمان .

وكتابات ( عبد الرزاق نوفل ) و ( مصطفى محمود ) في العقيدة تنحو هذا المنحى الذي يكفل لها حسن القبول وسعة الانتشار .

### (ب) دليل النقص الإنساني :

إنبات النقص الإنساني نمط آخر من أنماط الأدلة التي يمكن أن تساق لإقناع الدهريين بوجود الله .

(١) الآيات من ٥ : ١٦

(٢) الآيات من ٢٦ : ٣٩

فإن نقص الإنسان يبعد أن يكون هو الذى خلق نفسه - إذ لو خلق الإنسان نفسه لمنحها أقصى غايات الكمال - لحلقها صحيحة لا تمرض ، باقية لا تنفنى ، بصيرة لا تضل ، مستغنية لا تحتاج - أما والنفس الإنسانية عرضة لهذه النقصات والعيوب - فقد صار بديها أن الإنسان لم يخلق نفسه .

كذلك لم يخلقه غيره من الناس - إذ لو خلقه إنسان مثله فى قابلية النقص لتمكن أن يقال . لم لم يمنح نفسه الكمال فإن تكمله لنفسه أمون ، وأولى من خلق غيره . فقد تبين من ذلك - أن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلقه إنسان مثله ، وثبت أن الخالق هو الله الذى لا يعرض له نقص ، ولا يفوته كمال .

ومذا هو ما لفت إبراهيم عليه السلام الأنظار إليه فيما يحكيه عنه القرآن فى قوله تعالى « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقئ . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يمتنئى ثم يحيين . والذى أطمع أن يفترلى خطيئتى يوم الدين (١) . وكأنى بالقرآن يذكر الإنسان ببدايته ونهايته - وكلاهما تشير إلى النقص فنشأه نطفة مذرة ، ونهايته جيفة قذرة .

فقصه بسلبه خصوصية الخلق لينفرد بذلك من هو فى غاية السمو والكمال . يقول سبحانه ، أف رأيت ما تقومون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نمن بمسوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، (٢) .

والصيغة المنطقية التى مهدتنا بها للدليل القرآنى - هى نفس الصيغة التى عرض بها الفيلسوف الفرنسى ( رينيه ديكارت ) أقوى براهينه على وجود الله .

المفتدين

(١) الصمراء ، الآية ٧٧ : ٨١

(٢) سورة الواقعة ، الآيات من ٥٧ : ٦٠

وأما قضية البعث أو المماد - فقد ضرب الإسلام الأمثال التي تقربها إلى المدارك وأصلها في الأذهان - وذلك كالمقايسة بين البعث واليقظة بعد النوم ، أو المقايسة بينه ، وبين إخراج النبات من الأرض الميتة .

وقد كانت قضية البعث والحساب أول ما ابتدر به الرسول عليه السلام قومه من تعاليم رسالته .

فقد قال : والله لتقومن كما تنامون ، ولتبعثن كما تسقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتخرجون بالسوء سوءاً وبالإحسان إحساناً .

وفي القرآن الكريم قوله سبحانه : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى .  
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (١) .

وقوله أيضاً : وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، (٢) .

وقوله : ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيانا لمعبي الموت إنه على كل شيء قدير ، (٣) .

وهناك أنماط أخرى من الأدلة على إمكان البعث ، ووقوعه سابقا القرآن إلى الدهريين الذين يزعمون أن الموت هو المصعد المحتفى في رواية الإنسان - ولكننا نكتفي بما تقدم قصدا إلى الإيجاز .

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٣

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٦٠

(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٩

٢ - الوثنيون :

كان الوثنيون يشكرون الغالبية الساحقة بين سكان شبه الجزيرة ، وكانوا يعبدون الحجارة والتماثيل التي صنعوها بأيديهم .

ومع ذلك لم يكونوا ينكرون وجود الإله الخالق الذي يتصف بالحكمة الأبدية .

• واثن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، (١) .

• واثن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العالم ، (٢) .

أما عبادة الأصنام والتماثيل - فقد كانت مجرد وسيلة تقربهم إلى الله الذي يعترفون له بصفات الكمال ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما يعبدون إلا ليقربونا إلى الله زلفا ، (٣) .

ويهدم القرآن جميع مظاهر الوثنية - سواء كان المعبود حجرا ، أو شجرا ، أو بشرا أو كوكبا ، أو غير ذلك .

ويعتبر جميع الوثنيين مشركين حتى لو عرفوا الله وآمنوا به .

وتكثر أنماط الأدلة التي يستخدمها القرآن في هدم الوثنية ، وليكن منقصر الحديث على ثلاثة منها فقط على سبيل المثال :

١ - إظهار عجز الشركاء عن فعل الله :

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٦

(٢) نفس الصورة ، الآية ٨

(٣) سورة الزمر ، الآية ٢

فقد يدعى الوثني أن معبوده يـمكنه أن يفعل كذا وكذا ، ويقدر على كذا وكذا .

واسكن — من يستطيع أن يزعم أن قوة ما تستطيع مثلا أن تمس الحياة ؟  
إن التحدى بذلك لا يزال قائما وسيظل قائما :

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، (١) .

(ب) إظهار عجز الشركاء عن معاكسة فعل الله .

فهما بلغت قوة المعبود — فلن يستطيع مثلا أن يتحكم في نواويس الطبيعة .  
كأن يفير سحر الكواكب .

ولهذا كانت حجة إبراهيم بالغة حين تحدى ( النمرود ) وقد ادعى الألوهية .  
قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر .  
واقه لا يهدى القوم الظالمين ، (٢) .

(ج) وصف الشركاء بما لا يليق وصفه الله :

إذا كان من المسلم به ضرورة وصف الله تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص -  
فان معنى ذلك أن لا تصاف أى كائن بالنقص يحيل أن يكون لها ، ويبطل  
استحقاقه للمباداة .

وقد تكرر هذا التنبيه على هذا الدليل نظرا لأهميته البالغة .

---

(١) الحج ، الآية ٧٢

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧

فاتصاف السكواكب بمجرد التغير مثلا خول لإبراهيم أن يرفض تأليها -  
لأن التغير لا يليق بذات الإله .

فإن من مقتضيات الألوهية ثبات الصفات .

وينقل القرآن حجة إبراهيم بشيء من التفصيل فيقول :

و فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين .  
فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم  
الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني  
برى عما تشركون . إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا  
وما أنا من المشركين (١) .

### ٣ - الحنفاء :

تطلق هذه التسمية على عدة أشخاص من العرب عرفوا الله بالتأمل في مظاهر  
السكون ، أو بقراءة السكيب القديمة فارتفعوا بأنفسهم عن عبادة الأصنام  
وتجردوا من مظاهر الفسق والانحلال ، واتسم سلوكهم بالتحفف والزهد في  
زخارف الحياة .

ومن هذه الطائفة الصغيرة التى تعتبر أقل الطوائف التى كانت تسكن شبه  
الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام — طائفة أسماء ( زيد بن عمرو ) الذى كان  
يطيل الجلوس فى حجر الكعبة غارقا فى التأمل والمناجاة ، و ( قس بن ساعدة  
الأيادى ) الذى كان الرسول عليه السلام مولعا بسجاع خطبه فى صباه .



ومن خطبه : « البعرة تدل على البعير ، والقدم تدل على المسير ، فسما ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمراج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير . »

وممنهم أيضا ( أمية بن أبي السلاط ) وهو من كبار الهمراء في الجمالية قال شعرا كثيرا في الزهد والورع ومعرفة الله ، وكان سلوكه مطابقا لما يقول .  
والغريب أن ( أمية ) أدرك الإسلام ، واسكنه لم يسلم ، بل لقد انقلب على وجهه ، وترك حياة الزهد والتقشف .

ويبدو أنه كان يطمح أن يكون نبي هذه الأمة ، فلما لم يتحقق أمه -  
إنسلخ ساخطا من معارفه وزهده .

وكان الرسول عليه السلام يردد شعر ( أمية ) قائلا :

« سبحان الله ، آمن شعره وكفر فزاده . »

ومن هذا الهمر قوله :

عند ذى العرش يعرضون عليه	يمل الجهر والكلام الخفي
يوم يأتيه وهو رب رحيم	لم يذرفيه راشداً أو ذوياً
يوم يأتيه مثلاً قال فردا	أنه كان وحده ماتياً
أعيد سعادة أنا أرجو	أم مهان بما كسبت شقياً
رب إن تعف فالمعاذة ظنى	أو تعاقب فلم تعاقب برياً <sup>(١)</sup>

وبقال إن ( أمية ) هو الذى ورد في حقه قوله تعالى :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فسان من

---

(١) الدكتور إبراهيم بسيوني ، نفاة التصوف الإلهامى ، ص ٦٢

الفاوين : ولو شئنا لرفعناه بها ولنسكنه أخلد إلى الأرض واتبعج وراء فضله كشل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا»<sup>(١)</sup> ومهما يكن من شئ فقد اعتبر الإسلام هذه الطوائف من أهل الفترة ، وضرب صفحا عن أعمالهم في الجاهلية خيرا كانت أو شرا ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ،<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يصبح العلم بالإسلام بداية لحياة جديدة يحدد المرء موقفه منها باختياره الحر ، فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ، واقع يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، .

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥

(٢) الإسراء ، الآية ١٤

## المبحث الثاني

### أهل الكتاب

يقنول هذا المبحث الحديث عن موقف الإسلام من الطائفتين اللتين يطلق عليهما اسم (أهل الكتاب - أو بنى إسرائيل) وهما :

١ - اليهود .

٢ - النصارى .

وسنعرف من خلاله أيضاً طبيعة الانجاء الايدولوجى الذى انسمت به كل من الطائفتين فى مواجهة الإسلام .

١ - اليهود :

كان يهود شبه الجزيرة العربية كغيرهم من سائر اليهود - يحسدون من أنفسهم مشاعر التفوق والامتياز - فهم ورثة الانبياء وحمله الكتب المقدسة وأصحاب التاريخ الشاىخ والمماضى العريق .

واسكنهم مع ذلك كانوا يحسدون حرارة الغربة النفسية بين مواطنيهم من الاميين الذين يباهونهم بالعصر العربى والتفوق العددى ولا يقيمون وزناً لما لى اليهود من لارث القداسة وطول العهد بالانبياء .

وكان الامل الوحيد الذى يخفف عن اليهود بعض ما يجدون من قلق وغربة هو ظهور النبى الذى أشارت إليه كتبهم المقدسة ، والذى سيكون امتداداً مباركاً

لأنبياء بنى إسرائيل ، فيعيد إليهم ما انتقدوه من مجد وهيبة ويرفع قدومهم من جديد على العالمين .

وكان اليهود يحدثون مواطنيهم عن النبي المنتظر

وكانوا يعلمون أنفسهم بهذا الحديث كلما ضاقت بهم السبل على الرغم من استقبال الأميين لحديثهم دائماً بالهزء والسخرية .

وقد أشار القرآن فيما بعد إلى موقف اليهود في قوله سبحانه :

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستغفرون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فللعنة الله على الكافرين » (١) .

ولا شك أن هذا التحول الخطير في موقف اليهود - وهو التحول الذي يتمثل في كفرهم بالنبي رغم تبشيرهم به ، ومعرفتهم لإياه من كتبهم المقدسة - لا شك أن هذا التحول يرجع في المقام الأول إلى أن النبي الجديد كان من بنى إسماعيل ولم يكن من بنى إسرائيل كما كانوا يتمنون ، فضلاً عما رسخ في طبائعهم من عداوة الأنبياء والتطاول على أصحاب الدعوات .

١ — سماحة و جهود :

ومع ما هو معروف من أخلاق اليهود وسوء مواقفهم من أديان السماء ، نجد الإسلام يبدأ بمهادنتهم ومسامحتهم رجاء أن تلين سماحتهم فسوة قلوبهم وصلابة أفئدتهم .

ونحن نذكر أن النبي ﷺ حين هاجر إلى يثرب ووجد فيها لليهود كياناً

اقتصادياً واجتماعياً ملحوظاً ، أبرم المعاهدات السلمية مع رؤسائهم ، ومنعهم  
حظاً من وده وبره .

بل إنه بتوجيه من الله لينحول في صلاته عن الكعبة التي هي مانس نفسه  
وموضع حبه إلى بيت المقدس الذي هو قبلة اليهود وموضع تعظيمهم لعل هذه  
المشاركة تحرك في نفوسهم الجوفاء وأحسر النسب المشترك في إبراهيم أو تستثير  
فيها معاعر الإخاء في الدين ، وأنه لأقوى من كل آصرة ، وأوثق من كل  
ارتباط .

وقد بق المسلمون يتوجهون في صلاتهم شطر بيت المقدس أكثر من سبعة  
عشر شهراً الفاسداً لود اليهود واقتداء بفعل النبي ، ولكن ماذا يجدى ذلك  
الموقف في قلوب انطوت على الكراهية ومردت على النفاق .

ولقد كان المسلمون بطمعون أن يدخل اليهود في الدين الجديد ، فيعلمهم  
الله بفضلهم ورحمته ، على حين كانوا هم يودون كفر المسلمون ليأخذهم الله  
بعذابه ونقمته .

فانظر كيف طهر الحب قلوب أولئك ، ودنس الحسد قلوب هؤلاء ؟

يقول سبحانه : ( ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم  
كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاقفوا واصفحوا حتى  
يأتى الله بأمره ، (١) .

ويقول : ما أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا  
لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا نامل من الغيظ ، (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٢) آل عمران ، الآية ١١٩ .

لقد نقضوا معاهدات الرسول وانضموا إلى أعدائهم من المشركين وروجوا عن المسلمين الإشاعات الكاذبة والبهانيات المسمومة ، واتخذوا من حادث تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة مثارا للهمز والسخرية وذريعة للتطاول والسفه .

وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله سبحانه :

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، إلى أن يقول :

« ولئن أنيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك لإذن لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، (١) .

بل لقد حاولوا أكثر من مرة قتل رسول الله ﷺ .

كما كانوا يبذلون وسعهم في سبيل إضغاف الدين الجديد ، أو القضاء عليه .

ومن شواهد ذلك أنهم كانوا يملون على الوثنيين ما يجادلون به الرسول ﷺ من حجاج وما يوجهونه إليه من أسئلة .

فقد سأله المشركون عن قصة أهل الكهف ، وحديث ذى القرنين ، وعن حقيقة الروح .

وقد كانت هذه الأسئلة من تدبير اليهود الذين قرأوا شيئا عنها في كتبهم القديمة، ولم تكن تتخطر على بال الأميين الذين لا عهد لهم بقراءة أو كتاب .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ١٣٩ : ١٤٦ .

وقد أجابت سورة الكهف من السؤالين الأولين .

وأشارت سورة الإسراء إلى السؤال الثالث في قوله سبحانه :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلا »<sup>(١)</sup>  
وتعنيها مع موقفهم العدائي للإسلام ، ومحاولاتهم الآثمة لمعارضة آياته  
ومناقضة بيانه عمدوا إلى الوقعة بين المسلمين ، والنصارى في معنى باء بالفشل  
والخسران .

فحين نزلت الآية الكريمة « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم »<sup>(٢)</sup>  
عللوا المشركين أن يقولوا في محاولة لإحراج الرسول مع النصارى : إذن  
فيعيسى بن مريم هو أيضا في النار ، لأن النصارى يعبدونه .

وظن اليهود أن الآية ستسبب حرجا لا ينتهي إلا على أسنة الرماح - لاسيما  
وهذا التفسير الخبيث قد أطلق أسنة المشركين بكثرة من السخرية والتهامة .  
ولكن القرآن خيب ظن اليهود ، وقطع أسنة الساخرين الضالين حيث قال  
سبحانه وتعالى حسبا للموقف كله .

« ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون . وقالوا ألمتنا خير أم  
هو ما ضربه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عبد أنعمنا عليه  
وجعلناه مثلا لبني إسرائيل »<sup>(٣)</sup> .

والخلاصة : أن اليهود قابلوا محبة المسلمين بالكرهية ، وقابلوا سماحة  
الإسلام بكل ما يستطعمون من مظاهر المكر وألوان الدهاء .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٣) الأعراف الآيات ٥٦ : ٥٨ .

فلا عجب أن أعلنها الإسلام حرباً دروساً ، فكشف خطاطهم وفضح  
خباياهم وسلط عليهم جنده فربما يقتلون ويأسرون فربما .

يقول سبحانه : هذا الخصوم :

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين طاعت  
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا ينقون . فإما تثقفنهم في الحرب فشرد  
هم من خلفهم لمعلم يذكرون . ولما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء  
إن الله لا يحب الخائنين » . إلى أن يقول : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك  
الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » (١) .

## ٢ - العقائد اليهودية :

لا نريد هنا أن نتحدث عن تفاصيل الصراع الفكري بين المسلمين واليهود  
في مجال العقيدة ، فهذا يحتاج إلى أبحاث كثيرة يعمد بعضها عن موضوع  
هذه الدراسة .

ولكن الذي ينجح غرضنا إليه هو أن نقبين الصورة الحقيقية لليهود بعد أن  
كُفِّ القُرآن وتارهم الزائف وفضح سوئهم الخبيث .

لقد زعموا أنهم أصحاب العقائد الدينية وحملة الكتب المقدسة - فهل نسوا  
موقف آبائهم من الله ورسوله وكتبه ؟

تطاولوا على مقام الألوهية - فوصفوا الله تعالى مرة بالفقر ، وأخرى بالبخل  
« لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » (٢) .

---

(١) سورة الأنفال ٥٥ : ٦٢ .

(٢) آل عمران ١٨١ .



وقالت اليهود يد الله مفلولة غات أيديهم ولمنوا بما قالوا بل يدها  
مبسوطتان، (١) .

وتأقت أنفسهم مرة أن يتخذوا إلها من حجر ، وألهوا أخرى عجلا من  
ذهب .

وإلى الأربى الإشارة في قوله تعالى :

« وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم  
قالوا يا موسى إننا آلهة كالهم إلها قل إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر  
ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون » ، (٢) .

وإلى الأخرى الإشارة في قوله تعالى :

« واخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه  
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين » ، (٣) .

أما موقفهم من الرسل فيكاد يتراوح بين التكذيب والقتل :

التكذيب لما جاءوا به من الهدى والحق .

وقتل بعض هؤلاء الرسل ممن يجدون لدعواتهم صدى رغم المعارضة  
والتكذيب « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم  
رسول بما لا تموى أنفسهم فربحوا كذبوا وفريقا يقتلون » ، (٤) .

---

(١) المائدة ١٦٨ .

(٢) الأعراف ١٢٨

(٣) الأعراف ١٤٨ .

(٤) المائدة ٧٠ .

لقد خالفوا الأمر الإلهي بملافاة العماليق ضنا بأنفسهم على ساحة الجهاد وما ذلك إلا أثر حرصهم الشديد على هذه الحياة لأنه الحرص الذي وصفه الله في قوله : « ولتجدنهم أحرس الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحرجه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون » (١)

وأما البخل - بالمال أو الحرص عليه - فهو نتيجة طبيعية لحرصهم على الدنيا لأن المال هو قوام الحياة الدنيا التي تعلقوا بها هذا التعلق الغريب الذي زادوا فيه على سائر الشعوب .

والقرآن الكريم يقرع أسماعهم بذكر طاقبة البخل يوم القيامة فيقول : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطرقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٢) .

ولم يقف أمر حرصهم على المال عند ظاهرة بخلهم بأموالهم فحسب ، وإنما تجاوز ذلك إلى الخيانة والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل .

بل إن كثيرا من أسيادهم ورهبانهم لم يسلموا من هذا الهاء المتفشى في بني إسرائيل ، يقول عز سلطانه :

« يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » (٣) .

#### ( ب ) الجدل :

أما معلقهم بالمناقضات الجوفاء ولعلمهم بالجدل العقيم - فإن من أوضح الفوائد عليه - ما حدث في قصة البقرة .

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

(٣) التوبة الآية ٣٤ .

وخلصتها : أن شابا من بنى إسرائيل قتل عمه الغنى ، واتهم فيه قوما أبرياء  
ليراث ماله ويقبض دينه .

وقد اتجه الخصمان إلى موسى الذى نقل أمر الله إليهم بذبح بقرة حيث  
يضربون القتيل ببعضها - فتعود إليه الروح ، ويخبر بقاتله .

ولم يزالوا يجادلون موسى فى ذلك حتى شدد الله عليهم زجرا لم يعم هذا  
الخلق الذميم .

وبعرض القرآن قصة المراجعة فى قوله سبحانه :

« وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا ألتأخذنا هزوا  
قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تلك البقرة  
يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع  
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين .  
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تهابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون .  
قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثرى الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها  
قالوا الآن جئت بالحق فذبوهما وما كادرا يفعلون . وإذ قتلتم أنفسا قادراتم  
فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى  
ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ، (١) .

( ج ) العنصرية :

تعرض بنو إسرائيل على مدى تاريخهم . لكثير من ألوان الفهر والاضطهاد  
وقد أصل ذلك فى أنفسهم الشعوب بالعنصرية والاستعلاء - لاسباب وأن معظمهم  
لم يكونوا مثلهم يتمتعون بمراقبة الأصل ، وتعاقب الكتب ، واعتداد التاريخ .

(١) راجع تفسير الآيات الجزء الأول من تفسير ابن كثير .

ولقد سجل القرآن اصطفاء الله لهم وتفصيله لإياهم على العالمين أيام نزول الرسالات عليهم وتماقب الرسل فيهم ، أو في فترات اعتدائهم واستقامتهم ، وهي فترات قصيرة جدا لا تقاس إلى فترات عصيانهم وتوهمهم .

يقول سبحانه :

« ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المبين . من فرعون لأنه كان حاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين » (١) .

ولكن احساسهم بالتفوق والامتيار تجاوز كل حد معقول حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس .

والقرآن الكريم يقطع عليهم هذا الزعم الباطل ويقيم عليهم الحجة في هذا الوم الغريب - فيقول سبحانه :

« قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » (٢) .

#### ( د ) القسوة :

كان من النتائج النفسية المباشرة لوسوخ فكرة التفوق والامتيار في الطبيعة اليهودية وإنطوائها على الإحساس بالظلم والضياع بين البشر ، كان من نتائج ذلك أن أفسد اليهود بقسوة القلوب وصلابة الأكباد خصوصا إذا تمكنوا من وقاب أعدائهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآيات من ٢٠ : ٢٢ .

(٢) سورة الجمعة الآيات ٦ ، ٧ .

بل إنهم لا يكادون يلينون أمام الحق ويميلون إلى طريق الاستقامة حتى  
تعود القلوب إلى قسوتها ، والاكباد إلى صلابتها من جديد ،  
ويصور القرآن الكريم هذا الخط المتفرد من القسوة التي هي جوهر الطبيعة  
اليهودية — فيقول :

« ثم فسدت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة  
لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من  
خفية الله وما الله بغافل عما تعملون ، (١) » .

## تعقيب

١ - إسنادا إلى ما تقدم في هذا الموضع ، وما تقدم في الفصل الثاني من هذه الدراسة - نستطيع أن نقرر أن المفتاح الحقيقي للخصية اليهودية هو المادية المستطرفة .

وفي ضوء فهمنا لهذه المادية : يمكننا أن نفسر كثيرا من عقائد اليهود ، وشرائعهم ، وأخلاقهم .

فالمادية هي التي جعلتهم يعلقون إيمانهم على رؤية الله بأبصارهم إذ الرؤية البصرية لا تكون إلا لشيء مادي .

وإلى هذا المطلب الضعيف يفهم القرآن في قوله سبحانه :

« وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّا نَمُنُّ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ » (١) .

واقترحهم على موسى أن يتخذ لهم صنما إلها ، بل وقصة تأليهم لمجل من ذهب في غيبة ( موسى ) عليه السلام من أوضح الهواهد على طغيان المادية على عقائدهم .

وأخذهم الربا ، واستحلام السرقة ، وأكلهم أموال الناس بالباطل - هواهد واضحة على المادية .

وجبنهم ، وبخلهم ، واعتداؤهم في السبت - مظاهر وثيقة الارتباط بحسب المادة ومطلقهم بالحياة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٥٥

بل إن تحريفهم للتوراة ، وانحرافهم في تفسيرها - كان في حقيقة الأمر بدافع من حب المال والحرص عليه ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ، (١) .

ولعل لإمراهم في المادية وطففانها عليهم في العقيدة والعبادة وفي الخلق والسلوك - هو السر في أخذهم بأزواج العقوبات المادية المختلفة من صواعق ، ومسخ ، وأمراض جسمانية جزاءا وفاقا .

٢ - من خلال استعراض الحوادث البارزة في تاريخ اليهود وتبج المصادر التي تشكل دستورهم العام يتأكد ما أشار إليه القرآن من سماتهم النفسية كقاعدة يصدرون عنها في سلوكهم ، ولا تتخلف إلا في استثناءات قليلة على مدى التاريخ . فالإحساس بالعنصرية مثلا - واحتقار من هدام من الشعوب طابع يهودى موروث نجد له تأصيلات كثيرة في مصادرهم الأساسية .

وقد سميت البروتوكولات من عدا اليهود بالاميين أو الجويم وتعنى الكلمة فيما يذكره (الاستاذ محمد خليفة النونسى) البهايم والانجاس والكفرة والوثنيين (٢) .

ورود في البروتوكول الحادى عشر ، أن الاميين كقطيع من الغنم ، وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟ إنما تنمض هيونا عن كل شىء - وإلى هذا المصير سيدفعون ، .

وتتحدث البروتوكولات عن عقل الامى فنقول :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٩

(٢) هامش ١١١ من البروتوكولات .

( وعقل الآمى - لمكروته ذا طبيعة بهيمية محضنة - غير قادر على تحليل أى شىء - وملاحظاته فهدلا عن التمكن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع فى ضوء معين .

وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا ، وبين الآميين - هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله ، (١)

ولا يزال اليهود يطلقون على أنفسهم لاسم شعب الله المختار .

ويحاول التلمود أن يخلق ثوب الشرعية على هذا الامتياز العنصرى الذى يملأ أقطار النفس اليهودية - فهو يقول :

( تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الإبن جزء من أبيه . . . وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لبقاى الأرواح - لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية تغيبه أرواح الحيوانات (٢) .

والقسوة أيضا جزء لا ينفصل من الطبيعة اليهودية ، وهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعنصرية كما تقدم .

وتمكس لنا البروتوكولات هذه النزعة الأصلية فى الطبيعة اليهودية إذ تقول :

( ما كان أبعد نظر حكماننا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا - يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل . وأن لا نمتد بمدد الطعنايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية : لأننا لن نمتد قط بالطعنايا من ذرية أولئك البهائم من الآميين ، (٣) .

---

(١) البروتوكول الخامس عشر .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ، شوقى عبد الناصر ص ٢٣

(٣) البروتوكول الخامس عشر .



ويقول التلمود . . ( ليس من العدل أن يعفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم ) (١) .

ويقول في تبرير القسوة على غير اليهود :

( الإسرائيل معتبر عند الله أكثر من الملائكة . . . فإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت ) (٢) .

أما الجدل والحرس بهقيه ( الحرس على المال ، والحرس على الحياة ) - فن الملاح النفسية للععب اليهودي - الأمر الذي يكفينا مؤونة الا-تعهاد .  
وقد ركز الشاعر الإنجليزي المعروف على هذه الملاح التي تميز الشخصية اليهودية ، وذلك في مسرحيته المشهورة ( تاجر البندقية ) .

يتبين من العرض السابق أن وراثة التوراة والكتب المقدسة الأخرى - لا يحسب في تاريخ اليهود داهيا من دواعي الشرف ، أو سببا من أسباب الفخار - إذ العبرة بنزاهة المقصد ، وحسن العمل - وهو ما ليس لليهود فيه إلا أقل القليل .  
وصدق الله العظيم حين عرض حقيقتهم سافرة فقال :

مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، (٣) .

---

(١) البروتوكولات وتعاليم التلمود ، ص ٢٥

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) سورة المجمة الآية ٥

## ( ٢ )

### النصارى

الحق أن تلقى النصارى للإسلام لم يكن كتلقى اليهود له ، ولا كان موقفهم من نبيه كوقوف اليهود منه ، وإنما كانوا أكثر المخالفين قربا إليه . وأحسنهم موقفا منه .

ونحن نذكر أن ( بحيرة ) الراهب النمراني هو الذى اقترح على أبى طالب أن يقطع رحلته إلى الشام ، ويعود بابن أخيه محمد إلى مكة ، وذلك حين توسم في الغلام اليقيم أمارات النبوة ، وعرف أنه هو الذى بشرت به التوراة ، والإنجيل كتنبى لهذه الأمة .

ونذكر أيضا موقف ( ورقة بن نوفل ) من محمد - وكان شيخا نصرانيا - حين قص عليه ما وقع له في غار حراء ، وما نزل عليه لأول مرة من آيات القرآن الكريم .

لقد بشره ( ورقة ) بأنها من آيات النبوة ، ووعدته بالمنصرة والتأييد حين يتعرض لأذى المشركين كما تعرض غيره من الأنبياء السابقين .

ولا يفوتنا أن نهيى إلى موقف إثنين من ملوك النصارى من المسلمين ، وذلك لما يقسم به هذا الموقف من سحابة وأريحية .

أما أحدهما فهو ( النجاشي ) ملك الحبشة الذى رحب بالمهاجرين إليه من المسلمين ، وأكرم وقادتهم ، ورفض تسليمهم إلى وفد قريش بل ورد هدايا الوفد ، وازداد حده على المهاجرين حين عرف سحابة الإسلام ، وهو الذى عقد لرسول الله ﷺ على السيدة ( أم حبيبة ) بنت ( أبى سفيان ) إحدى

المهاجرات إلى الحبشة حيث تنصر زوجها في أرض الهجرة ، وقام ( النجاشي )  
عن الرسول بدفع ما يلزم من الصداق وهدايا العروس .

وأما الرجل الآخر - فهو ( المقوقس ) أمير مصر الذي أرسل إليه النبي  
يدهوه إلى الإسلام ، فأحسن استقبال حامل كتاب النبي وبعث معه إليه بالهدايا  
التي تعبر عن أدب وتقدير .

وقد كان ضمن الهدايا - السيدة ( مارية جارية المقوقس ) التي تزوجها الرسول  
الكريم ، ورزقه الله منها بإبراهيم آخر أولاده

ليس عجيباً إذن أن يختلف موقف الإسلام من النصارى عن موقفه من  
اليهود ، وأن يلفت أنظار المسلمين إلى اختلاف الطبيعة المسيحية عن الطبيعة  
اليهودية بشكل تام ، وما يقتضيه اختلاف الطبيعتين من ضرورة اختلاف معاملة  
أولئك عن معاملة هؤلاء .

اليهود خونة آفاقون يكذبون على الله وعلى الناس لاستحلال الحرام وإن  
كان قليلاً .

والنصارى — أبناء أوفياء لا يستحلون مال غيرهم وإن كان كثيراً :

ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه  
بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين  
سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، (١) .

واليهود - جفافة الطباع - غلاظ القلوب - يكفرون بالله - ويقتلون  
الأنبياء .

---

(١) آل عمران الآية ٧٥ .

أما النصارى - فأصحاب قلوب رقيقة وأرواح صافية ، وفيهم من يقوم القليل بين الضراعة والخضوع ، وفيهم من يغتنم كل فرصة موافقة لفعل الخيرات والاستزادة من الطاعات .

و ضربت عليهم الذلة أيما ثقفا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وادوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ، (١) وعداوة اليهود للمؤمنين سافرة متأصلة .

أما النصارى - فهم أقرب المخالفين مودة إلى المؤمنين :

وتجدد أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، (٢) .

لهذا - لا نعجب إذا رأينا الإسلام أشد قربا إلى المسيحية ، وأكثر ميلا إلى النصارى وإن كان في سماحته متسع لجميع المخالفين .

وأكد أقول أن القرآن سجل من فضل المسيح وأتباعه ، ودعوته أكثر مما ذكرته الأناجيل نفسها بهذا الخصوص .  
فهر يتحدث عن المسيح فيقول :

---

(١) آل عمران ، الآيات من ١١٢ : ١١٥ .

(٢) المائدة ، ٨٢ .

« وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ، (١) .

وهو يتحدث عن بره ، ونقائه ، ودعوته ، ومميزاته حديثا يفخر به كل مسيحي :

« قال إن عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرأ بالحق ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، (٢) .  
ويقول :

« ورسولا إلى بني إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، (٣) .

ويرد ذكر ( مريم ) في القرآن مرارا مقرونا بالإشادة والتوبيه ، من ذلك على سبيل المثال - قوله سبحانه :

يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، (٤) .  
ويباغ القرآن في تسجيل فضل الخواريين مدى بعيدا حيث يرفعهم إلى موضع القدوة للمؤمنين ، وذلك إذ يقول :

---

(١) آل عمران ، آية ٤٦ .

(٢) سورة مريم ، الآيات ٣٠ : ٣٣ .

(٣) آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٤) نفس السورة ، الآية ٤٢ .

و يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، (١)

ويشئ القرآن على أتباع المسيح بشكل عام ، وبصفتهم بالتواضع ولين الأفئدة . وسرعة الاستجابة للحق فيقول :

و ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، (٢) .

غير أن الأمر لا يمتضى على هذا النحو من الاتفاق — إذ لا تلبث أن تظهر عدة قضايا تشكل كل منها نقطة خلاف جوهرى بين الهندين .

لا بد إذن أن يقع الاختذ والرد ، والرفض والقبول ، وليكن الإسلام يجذب المسلمين دائما الى عنصر الرفق فى الحوار رعاية لوضع النصارى من المودة والمسالمة .

بلاحظ أن القضايا التى يرفضها الإسلام من المسيحية - هى بشكل عام القضايا التى أدخلها ( بولس ) فى دين عيسى عليه السلام .

وهذه القضايا هى :

١ - عموم المسيحية .

---

(١) سورة الصف ، ١٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآيات ٨٢ : ٨٤

« وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ، (١) .

وهو يتحدث عن بره ، ونقائه ، ودعوته ، ومميزاته حديثا يفخر به كل مسيحي :

« قال إنني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدي ولم يعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، (٢) .  
ويقول :

« ورسولا إلى بني إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم أتى أخلاقكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والابرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، (٣) .

ويرد ذكر ( مريم ) في القرآن مرارا مقرونا بالإشادة والتنويه ، من ذلك على سبيل المثال - قوله سبحانه :

يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، (٤) .  
ويبايع القرآن في تسجيل فضل الخواريين مدى بعيدا حيث يرفعهم إلى موضع القدوة للمؤمنين ، وذلك إذ يقول :

---

(١) آل عمران ، آية ٤٦ .

(٢) سورة مريم ، الآيات ٣٠ : ٣٣ .

(٣) آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٤) نفس السورة ، الآية ٤٢ .

• يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، (١)

ويشئ القرآن على أتباع المسيح بشكل عام ، وبصفرهم بالتواضع ولين الأفئدة ، وسرعة الاستجابة للحق فيقول :

• ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الصاهدين . وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، (٢) .

غير أن الأمر لا يعضى على هذا النحو من الاتفاق — إذ لا تلبث أن تظهر عدة قضايا تشكل كل منها نقطة خلاف جوهرى بين الدينين .

لابد إذن أن يقع الأخذ والرد ، والرفض والقبول ، وليكن الإسلام يجذب المسلمين دائما الى عنصر الفرق فى الحوار رعاية لوضع النصارى من المودة والمسالمة .

ملاحظ أن القضايا التى يرفضها الإسلام من المسيحية - هى بشكل عام القضايا التى أدخلها ( بولس ) فى دين عيسى عليه السلام .

وهذه القضايا هى :

١ - عموم المسيحية .

---

(١) سورة الصف ، ١٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآيات ٨٢ : ٨٤



٢ - الصلب والقتل

٣ - القيامة ، والرفع .

٤ - التثليث

٥ - نزول المسيح

وستتعرف الآن على موقف الإسلام من هذه القضايا بشيء قليل من التفصيل :

١ - عموم المسيحية :

عرفنا أن ( بولس ) كان يهدف إلى جعل المسيحية ديناً عالمياً بأفيا إلى آخر الدهر ، وأنه لقحها بأفكار من المذاهب والديانات المختلفة ليضمن لها حسن القبول من أتباع هذه المذاهب والديانات .

وقد نجحت محاولات ( بولس ) - فأحرزت المسيحية إنتشاراً واسعاً ، وقر في أذهان أتباعها أن دينهم - هو الدين السماوي الأخير الذي لا خلاص للإنسانية كلها بدونه .

والإسلام لا يقر هذا الصنيع ، ولا يقبل هذه الدعوى - فالمسيح كغيره من الأنبياء السابقين - له مساحة مكانية ، وزمانية لا يتجاوزها .

فقد بعثه الله إلى بنى إسرائيل خاصة ، وشريعته منتهى بانتهاء أجله على الأرض ، أو بانتهاء وجوده المادى بين قومه تبعاً لنا موس تأقيت الرسل وتحديد الرسالات .

ولهذا - بشر ( عيسى ) بخاتم الرسل ( محمد ) ﷺ :

• وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومباشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، (١) .  
 فينبغي أن تكون الشريعة الأخيرة ناسخة لما قبلها من الشرائع ، وينبغي على النصارى ، بل وعلى الإنسانية كلها أن تتبع الرسول الجديد ، وهذا هو جوهر ما دعت إليه الكتب المقدسة - لو أن أهلها ينصفون .

• الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وحزوه وانصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ، (٢) .

ولما كان أهل الكتاب قد أخفوا كثيرا عما نزل عليهم في كتبهم - فقد خفي على عامة ما ورد بشأن هذا النبي - لذلك كان من مهمته أن يكشف للجميع الحقائق الهامة التي تهم أحبارهم لإخفاءها بغير حق :

• يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، (٣) .

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) الأعراف ، الآيتان ١٥٧ و ١٥٨ .

(٣) المائدة ، الآيتان ١٤ ، ١٥ .

## ٢ - الصلب والقتل :

عرضنا في الفصل السابق قصة الصلب ، والقتل على نحو ما ذكرته الأناجيل ، وقد اعتبرنا هذه العقيدة إحدى العقائد التي أضافها ( بولس ) للمسيحية .  
أما الإسلام - فرفض هذه العقيدة تماما .

فالمسيح لم يقتل ، ولم يصلب ، وإنما مات موتا طبيعيا كغيره من جمهرة الناس صحيح - أن اليهود سعوا إلى ذلك ، وأحسنوا التخطيط له ، ولكن الله أبي إلا أن يحبط سعيهم ويبطل تخطيطهم . فألقى شبهه على أحد تلاميذه في لحظة التنفيذ .

ويقال : إن هذا التليذ - هو ( يهوذا ) الخائن الذي اتفق معهم على تسليم نبيه ومعه إلىهم لقاء ثلاثين قطعة من الفضة .  
وهذا هو معنى قوله تعالى :

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ، (١) .

لأما المسيح - فقد هرب من وجه أعدائه ، وأنهى أجل رسالته ، ومات ، ودفن في بقعة ما من الأرض

ولا يعلم موضع دفنه كما لا تعلم مواضع دفن كثير من الأنبياء .

وقد ذكر الدكتور ( محمود مروة ) أن ( غلام أحمد ) القدياني رأى في

---

(١) سورة النساء الآيات رقم ١٥٧ ، ١٥٨ .

موطنه ، ( كشمير ) قبر أحد أنبياء بنى إسرائيل مات منذ تسعة عشر قرناً ، وأنه لا يبعد أن يكون هذا القبر - هو قبر المسيح عليه السلام .

ولاسيما و ( كشمير ) تعد من أعلى روايات الأرض وقد ورد في حق المسيح وأمه قوله سبحانه :

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ، » (١) .

ولست أوافق الاخ الدكتور محمود مزروعة فيما ذهب إليه :

أولا : لأن ( غلام أحمد ) ليس أكثر من كافر مخبول لا يوثق بمقله ، ولا يطمأن إلى نقله ، وقد انتهت إلى هذه النتيجة في بحثي عن الفرق الإسلامية الحديثة بعد عرض كثير من الشواهد والحجج المستمدة من آراء الرجل وقائع حياته .

وثانيا : لأن الآية السكرية قرئت المسيح بأمه ، ووصفت الربوة بأنها ذات قرار ومعين ، والمعين هو الماء الجارى الذى ينتفع به الاحياء دون الموقى فالأقرب أن يكون الإيرواء تبطا بالحياة وإعدادا للعمل وليس مرتبطا بالنهاية وتهيئة للموت ، وأن يكون بلد الإيرواء هو مصر ، أو فلسطين . أو دمشق ، أو بيت المقدس وهى آراء نقلها الإمام ( ابن كثير ) في تفسير الآية السكرية (٢) .

### ٣ - القيامة والرفع :

كذلك يرفض الإسلام ما تذكره الأناجيل في مسألة قيامة المسيح ورفعه إلى السماء بجسمه وروحه على السواء .

---

(١) الملل والنحل للدكتور مزروعة ، ص ٥٥ .

(٢) نفسه ابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ٥٤٦ .

صحيح أن بعض الآيات الكريمة أشارت إلى رفعه كقوله تعالى :

« بل رفعه الله إليه » ، وقوله « وإذا قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى » (١) .

ولكنه ليس رفعاً جسدياً كما يزعمون ، وإنما هو رفع مجازي يقصد به رفع المكانة ، لا رفع المكان .

ومثله ما ورد في شأن ( إدريس ) عليه السلام في قوله سبحانه :

« واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً » (٢)

ومثله أيضاً ما ورد في شأن المؤمنين والعلماء ، وذلك في قوله تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (٣) .

فميسر عليه السلام اذن توفي وفاة طبيعية ، ورفع بروحه رفع منزلة ومكانة لا رفع موضع ومكان .

يقول الامتاز الإمام ( محمد عبده ) معلقاً على هذا الرأي .

( ولا يدع في اطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه - فإن الروح هي حقيقة الإنسان والجسد كالثوب المستعار فإنه يريد ، وينقص وينفهر ، والإنسان افسان - لأن روحه هي ) (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٤ .

(٢) سورة مريم ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) سورة المجادلة ، ١١ .

(٤) تفسير المنار ، الجزء الثالث ، ٣١٧ .

٤ - التثليث :

التثليث هو أخطر المسائل البولسية كما ذكرنا لأنه شرك صريح بالله عز وجل .

واقد أبطل القرآن الكريم قضية التثليث في كثير من آياته ونعى على المثلثين خلطهم وكفرهم ، وجهلهم بحقيقة المسيح .

يقول سبحانه ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (١) .

ويقول ، يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً (٢) .

ويتضمن القرآن الكريم إشارات عقلية رائعة إلى بطلان عقيدة التثليث يهدم الأسس التي تستند إليها ، وبيان تهاافت الحجج التي تقوم عليها .

فإذا كان النصارى يستندون إلى قصة ظهور المسيح من غير أب في إثبات بنوته لله — فإن القرآن يذكرهم بنشأة آدم عليه السلام من غير أب ولا أم — فهو إذن أولى من المسيح بهذه البنوة ، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٣) .

وإذا كانوا يبررون القول بهذه البنوة بما ظهر على يد المسيح من الخوارق

---

(١) المائدة ، ٧٣

(٢) سورة النساء ، الآية ١٧٠

(٣) آل عمران ، ٧٣

الباهرة — فليس المسيح في ذلك بدعا من الانبياء ، فقد أبدى الله بالمعجزات المختلفة ولم يزعم أحد منهم أن له دخلا في ذلك ، بل المعجزات من مظاهر قدرة الله تعالى يؤيد بها رسله متى شاء .

والمسيح نفسه يقر بهذه الحقيقة الدامغة فيما يحكيه عنه القرآن في قوله سبحانه  
« ورسولا إلى بنى إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والابرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما كنتم تعملون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (١) » .

وحتى حين يراد بالجنوة منتهى القرب إلى الله فليس المسيح من بين عباد الله جميعا هو المؤهل لأن يكون هو ابن الله الوحيد بهذا المعنى المجازى أيضا ، وإنما المؤهل لذلك والاولى به هو أعلى الناس درجة في العبادة ، وهو المخاطب في قوله تعالى : « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » (٢) .

ولا يقف القرآن الكريم عند كهف الحجج المنعلة التي يتذرع بها النصارى في تأليه المسيح ، وإنما يسوق الأدلة المفحمة التي تؤكد نقيض مدعاهم الضعيف .

فعمسى عليه السلام قد قلب بين مراحل العمر المختلفة بما تستتبعه كل مرحلة من تغيرات تؤكد بشريته وتفسد القول بتأليهه .

فقد كان جنينا في ظلمات الرحم لا بد له في تكوين ذاته ولا علم له بهذا الشكرين ، هو الذى به وركم في الأرحام كيف يشاء (٣) .

وكان صبيا - لا يفقه خطاها ، أو يستطيع جوابا لولا نجل إلى عابر

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨١

(٣) آل عمران الآية ٦

تأكيدا اشرف أمه المصرون ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صديقا (١) .

ثم كان كهلا مكتمل الرجولة ينهض بأعباء رسالته على ما في ذلك من فداحة المسؤولية ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (٢) .

وقد انحصرت حياته بين بداية المولد ، ونهاية الموت كغيره من سائر البشر ويبحث معهم حين يبعثون ليوم الحساب وإن وعد بالآمن وبشر بالسلام .

و السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، (٣) .

كذلك بلغت القرآن أنظار النصارى إلى الطبيعة البشرية للمسيح ، وأمه - وهي طبيعة محصورة بين ضرورات الطعام ، والإخراج وهو أحد الفوارق الأساسية بين الطبيعة الناسوتية ، والحقيقة اللاهوتية - إذ الإله لا تحصره الضرورات ، ولا تحكمه الحاجات ، ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام (٤) .

والمسيح وأمه لا يملكان لأنفسهما ، ولا لأحد غيرهما نفعا ولا ضرا - بل هما أمام القدرة الإلهية القائمة في عجز تام عن تحقيق أى مرغوب ، أو درء أى مكروه .

و لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات

---

(١) سورة مريم ، الآية ٢٩

(٢) آل عمران ، ٤٦

(٣) مريم ، الآية ٣٣

(٤) المائدة ، ٧٥



والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ، (١) .

ويكتف القرآن الكريم حملته على مؤامى المسيح ، وردوده على شبههم الزائفة ، وذلك فى مطالع سورة آل عمران التى نزلت إلى ثمانين آية منها فى انصارى نجران - فهو يقول :

والله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان لمن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . إن الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء . هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، (٢) .

وندع السيد ( رشيد رضا ) ينقل تفسير الاستاذ الإمام ( محمد عبده ) له- هذه الآيات ، ويمرض إضافاته الخاصة إلى هذا التفسير إذ يقول :

(أما ما قاله فى توجيه الرد عليهم - فهو : بدأ بذكر توحيد الله لينفى عقيدتهم من أول الأمر ، ثم وصفه بما يؤكد هذا النفى بقوله د الحى القيوم ، أى الذى قامت به السموات والارض وهى قد وجدت قبل عيسى فكيف تقوم به قبل وجوده ، ثم قال إنه نزل الكتاب ونزل التوراة لبيان أن الله تعالى قد أنزل الوحي وشرع الشريعة قبل وجود عيسى كما أنزل عليه وأنزل على من بعده ، فلم يكن هو المنزل للكتب على الأنبياء وإما كان نبيا مثلهم ، وقوله د وأنزل الفرقان ، لبيان أنه هو الذى وهب العقل للبشر ليفرقوا بين الحق والباطل وعيسى لم يكن واحدا للعقول .

---

(١) المائدة ، ١٧

(٢) الآيات ٢ : ٦

وفيه تعريض بأن السائلين تجاوزوا حدود العقل - أقول وفي هذا وما قبله شئ آخر وهو الإشعار بأن ما أنزل له من الكتب والفرقان يدل على إثبات الوحدةانية لله تعالى وتنزيهه عن الوله والحلول أو الاتحاد بأحد أو بنىء من الحوادث - قال وقوله : إن الله لا يخفى عليه شئ ، رد لاستدلالهم على الوهية عيسى بأخباره عن بعض المغيبات فهو يثبت أن الإله لا يخفى عليه شئ مطلقا سواء كان في هذا العالم أو غيره من العوالم السماوية وعيسى لم يكن كذلك .

وقوله : هو الذى يصوركم ، إلى آخره - رد لمهتمهم في ولادة عيسى من غير أب أى أن الولادة من غير أب ليست دليلا على الألوهية .

فالمخلوق عبد كنهما خلق وإنما الإله هو الخالق الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، وعيسى لم يصور أحدا في رحم أمه ولذلك صرح بعد هذا بكلمة التوحيد وبوصفه تعالى بالعزة والحكمة .

أقول ولا يخفى ما في ذكر الأرحام من التعريض بأن عيسى تكون وصور في الرحم كغيره من الناس ، (١) .

فالمسيح إذن - مجرد عبده أكرمه الله بالنبوة كما أكرم آخرين من عباده المصطفين .

وإذا كان النصارى يزعمون غير ذلك فإن المصيح عليه السلام لا يجد في نفسه أى غضاظة من عبوديته لله عز وجل .

كما أن الملائكة على شدة قربهم من الله لا يستكبرون عن هذه العبودية رغم ضلال قوم من العرب بادعاء أنهم بنات الله .

---

(١) تفسير المنار ، الجزء الثالث ، ص ١٦١ ، ١٦٢

وأى عاقل يتطرق إلى نفسه الاستعلاء عن عبادة الله والعبودية له فإن له يوم القيامة أشد العذاب .

- و إن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ، (١) .

بل أن المسيح نفسه لا يسمعه إلا الإعراف بهذه الحقيقة التى لا يجادل فيها إلا مكابر - فهو يعلم خضوعه لله وعبادته له ، ويدعو بنى إسرائيل إلى ذلك مؤكدا ربوبية الله للجميع - فن أشرك به شيئا فقد حرم نفسه من السعادة الأبدية التى تنتظر المؤمنين .

و لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، (٢) .

وينقل القرآن ذلك المشهد من مشاهد يوم القيامة حيث يبرأ المسيح نفسه إلى الله من أتباعه المثلثين ، ويقم الحجة عليهم .

و إذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأهى إلهي من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . إن تعذبهم فأنهم هادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم ، (٣) .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧٢

(٢) المائدة ، ٧٢

(٣) المائدة ، الآيات ١١٦ : ١١٨

وإذ قد بطلت ألوهية المسيح وأمه على النحو السابق - صفان القرآن الكريم يشير أيضا إلى بطلان ألوهية الروح القدس الذي يضعه كثير من النصارى مكان مريم في الثالث - ويعبرون عن ذلك بقولهم :

( باسم الآب ، والإبن ، والروح القدس ) .

فروح القدس - هو ملك الرب الذي تمثل لمريم بشرا سويا ، ونقل إليها البشارة بالمسيح ، وهو نفسه الملك الذي أيد الله به المسيح فيما بعد بما نقل إليه من الوحي الإلهي كما أيد به سائر رسله حتى أطلق عليه أيضا ( أمين الوحي ) - يقول عنه سبحانه بصدد الحديث عن مريم عليها السلام :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا ، (١) .

ويرد ذكر روح القدس مناسبة الحديث عن نزول القرآن ، وذلك في قوله تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، (٢) .

وعن علاقة روح القدس بالمسيح عليه السلام يقول سبحانه :

« وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، (٣) .

وبإشارة غاية في الروعة والقوة - يهدم القرآن الكريم عبادة المسيح وأمه ، والروح القدس - وذلك إذ يقول سبحانه :

(١) مريم ١٦ : ١٩

(٢) سورة النحل ، ١٠٢

(٣) البقرة ، ٢٥٣

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى الهالك إذ أبدتك  
روح القدس ، (١) »

فالمسيح ، وأمه منعم عليهما - فلا يصلح أحدهما لأن يكون إلها إذ الإله - هو  
المتفضل بالإنعام ، وليس المحل القابل للإنعام . وروح القدس ، أو الروح القدس  
مسخر كغيره من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وهكذا يهدم القرآن الكريم عقيدة التثليث ، ويكشف ما تنطوى عليه من  
زيف وضلال ، وما يشيع فيها من سفه وخبال ليهلك من هلك عن بنية ويحيى  
من حى عن بنية .

وعلى الرغم من فساد هذه العقيدة وخطورتها إلا أن القرآن أمر النبى  
والمسلمين أن لا يجاوزوا منطق الرفق والملاينة فى جدال النصارى حول هذه  
العقيدة اللهم إلا إذا بدأ النصارى أنفسهم بالظلم الذى يستحقون معه منطق العنف  
والمخاشنة - فيضطر المسلمون إلى الرد عليهم بالمثل .

وفى ذلك يقول الله مخاطباً رسوله عليه السلام :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله  
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا  
اشهدوا بأننا مسلمون ، (٢) » .

ويقول سبحانه مخاطباً المسلمين :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ،

---

(١) المائدة ، ١١٠

(٢) سورة آل عمران ، ٣٠

وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا وإلحكم واحد ونحن له  
مسلون، (١).

### ٥ - نزول المسيح :

خشياً (بولس) أن تضعف المسيحية تدريجياً مع تقادم العهد بالمسيح - فكم  
من ديانات ضعفت بوفاة أنبيائها ، ومذاهب زالت بزوال روادها .

ومن ثم - فقد كان ( بولس ) وراء عقيدة أن المسيح سوف يظهر في آخر  
الزمان ليأخذ الأرض هدلاً بعد أن تكون قد ملئت جوراً .

وأن نزوله من السماء ، وظهوره بين الناس سوف يكون إيذاناً بانتهاء الأجل  
المحدد لهذه الدنيا .

فعلى المرء إذن أن يعتنق دين ( يسوع ) ، ويأخذ نفسه بتقديسه حتى يكون  
أهلاً للخلاص .

وقد انتقلت هذه العقيدة إلى البيئة الإسلامية - فقرر بعض علماء المسلمين أن  
نزول المسيح - هو إحدى علامات الساعة - حيث يقتل الكفار ويكسر الصليب ،  
ويحارب الكنائس ، ويحارب اليهود ، وينشر على الأرض ألوية المحبة والسلام .  
وقد استأنس هؤلاء العلماء لذلك بثلاث آيات من القرآن هي :

« ويكلم الناس في المهد وكهلاء » (٢) .

٢ - « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون  
عليهم شهيداً » (٣) .

---

(١) العنكبوت الآية ٤٦

(٢) آل عمران ، ٤٦

(٣) النساء ، ١٥٩

٣ - و وإنه لعلم للساعة فلا تترن بها، (١)

ووجه دلالة هذه الآيات على نحو ما ذكره الدكتور ( محمد خليل المراس ) :  
أن الآية الأولى قد أشارت إلى أن عيسى عليه السلام كلم الناس في المهد ، وأنه  
سوف يكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل - إذ من المعروف أنه انقطع  
عده بالناس برفعه إلى السماء في سن الثالثة والثلاثين أى قبل أن يبلغ سن  
السكرولة .

أما الآية الثانية - فتقرر أن كل كتابي لا بد أن يؤمن بالمسيح قبل موت  
المسيح ، وذلك يكون في آخر الزمان .

أما الآية الثالثة والاخيرة - فقد قررت أن عيسى سوف يكون علما للساعة  
أى لإعلام بها ، أو علامة لها كما تؤكد القراءة الثانية بفتح اللام .

كما استأنس أصحاب هذا الاتجاه ببعض الأحاديث الشريفة التي وردت  
في الموضوع كقوله عليه السلام ( والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن  
مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى  
لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ) (٢) .

ولما كانت هذه العقيدة تناهض القول بأن محمدا هو خاتم الأنبياء فقد  
قرروا أنه عند نزوله سوف يحكم بشريعة محمد عليه السلام .

غير أن فريقا آخر من العلماء وعلى رأسهم الاستاذ الإمام ( محمد عبده ) يرفضون  
هذا الرأي رفضا قاطعا ، إذ مثل هذه العقيدة لا تثبت إلا بما تواترا من النقل ،  
والملاحظ - أن الأحاديث التي استند إليها القائلون بنزول المسيح كلها من قبيل

---

(١) الزخرف ، ٦١

(٢) فصل المقال في رفع عيسى حيا ، ص ١٧

أخبار الآحاد ، فهي لا تفيد أكثر من الظن ، والظن لا يكفي في العقائد ، بل لابد فيها من اليقين .

أما الآيات الكريمة التي استشهدوا بها على هذه العقيدة فليست قطعية الدلالة على ما نحن بصددده - إذ يمكن حملها على معان أخرى لا تفيد ما قصدوا إليه .

فالمكمل في الآية الأولى - هو من بلغ الثالثة والثلاثين على نحو ما نقله القرطبي عن الأصفهاني (١) .

وقد بلغها عيسى عليه السلام في حياته - فلا وجه للاستدلال بالآية .

وأما الآية الثانية - فيمكن أيضا صرفها عن قضية النزول ، وذلك بحمل الضمير في قوله ( قبل موته ) على السكتاني .

والمعنى - أن كل كتابي يؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين الهلاك على حد ما حدث لفرعون لما عاين الهلاك إذ قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » (٢) .

أما الآية الثالثة فيمكن صرفها عن قضية النزول أيضا بحمل الضمير في قوله ( ولأنه لعلم ) على القرآن إذ به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها ، وهذا هو ما ارتضاه ( الحسن ) فيما نقله الكشاف (٣) .

ومن ناحية أخرى - فإذا لو سلمنا بصحة الأحاديث الواردة في نزول المسيح ، وحلنا على ذلك الآيات الكريمة فإن من الممكن أن تؤول هذه الأحاديث على

---

(١) تفسير القرطبي ، ص ١٣٣٣

(٢) تفسير الكشاف ، الجزء الأول ، ٤٣٧

(٣) تفسير الكشاف ، الجزء الثالث ، ص ١٠٢



معنى أن نعاليم المسيح من المحبة ، والرحمة ، والقساح والسلام سوف تسود بين الناس وتنتشر ويكون لها الغلبة على مظاهر المادية التي طمست قيم الإنسان وشوهدت معنى الطهارة الفطرية فيه .

يقول الشيخ محمد عبده عن التخريجين للممكنين في أحاديث النزول :

( أحدهما - أنها أحاديث آحاد متعلقة بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطع - لأن المطلوب فيها هو اليقين ، وليس في الباب حديث متواتر .

وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الأرض بقلبة روحه وسر رسالته على الناس ، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلام والاختصاص بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمته وما شرعت لأجله (١) .

والى هنا ينتهى حديثنا عن موقف الإسلام من المسائل الخمس التى ألحقها ( بولس ) بالمسيحية وبعثت بها كثيرا عن جوهرها النقي .

## تعقيب

لا شك أن في عرض موقف الإسلام من المسائل الخمس السابقة ما يلقي الضوء على حقيقة المسيحية القائمة بما يفنى القارىء عن أى إضافة - ومع ذلك فثمة عدة نقاط هامة أود تأكيدها في هذا التعقيب .

١ - لقد قرر الإسلام أن ( عيسى ) عليه السلام كان نبياً إلى بنى إسرائيل خاصة ، وأن رسالاته قد بلغت أجلها المحدد بمحادثة القتل والصلب - فهي إذن رسالة بيشية موقوتة كغيرها من الرسالات التي سبقت الإسلام .

والواقع أن ( عيسى نفسه لم يطمح إلى استمرار رسالته بعد وفاته ، ولا سمى إلى الخروج بها عن نطاق بنى إسرائيل ، وقد نقل عنه أنه كان يقول ( إنما أرسلت إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ) (١) .

صحيح أن ( بولس ) أحرز نجاحاً كبيراً في نشر دعوته في أرجاء كثيرة ، وأن هذا الانتشار قد كفل لها الاستمرار عبر عشرين قرناً حيث تستأثر اليوم بتابعة مئات الملايين من البشر ، ولكن الذي يجدر الانتباه إليه - هو أن ( بولس ) لم ينشر مسيحية ( عيسى ) عليه السلام - وإنما الذي جاهد هو وأتباعه في سبيل نشره وإذاعته كان شيئاً ملفقاً من مذاهب مختلفة لا يمت إلى المسيحية الخاصة بسبب قريب - وهذه الحقيقة الأساسية هي التي يجعلها عامة الأقباط عن غير قصد ويحرص خاصتهم على إخفائها حامدين .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٥ .

وما كان أغنى الإنسانية عن هذه الترفيعات الخطيرة التي قام بها ( بولس )  
وورثته ، فهو هو را بها ديناً عظيماً من أديان السماء حتى أوشك أن يكون ديناً  
وضعياً من أديان الأرض .

٢ — نفى القرآن الكريم وقوع القتل والصلب على المسيح ، وذكر المفسرون  
أن الله قد ألقى شبهه على أحد تلاميذه أثر باختياره أن يكون فداء لسيدته كي  
يفوز بدرجة الشهداء السعداء .

وقد قام اليهود منذ سنوات بنشاط هائل لافناج المجمع المسكوني بصحة  
ماقرره القرآن ، وقدموا الوثائق التاريخية التي تؤكد ذلك حرصاً منهم على كسب  
الرأى العام المسيحي في صراعهم ضد العرب - وهكذا ينتصر الإسلام بأعدائه من  
حيث لا يقصدون .

وعمسا يدعو إلى العجب ، والأسف معاً - أنه على حين كان بعض أعضاء  
المجمع يميلون إلى تبرئة اليهود من دم المسيح ، بل وإلى نفى وقوع القتل والصلب  
عليه أخذوا بصحة الوثائق ، وشهادة لصدق القرآن - كان الإعلام الإسلامى  
يحرص على مناهضة هذا الانجاء ، وتأكيده صحة ما ذكرته الأناجيل بهذا  
الخصوص ، وكان الهدف من وراء هذا الحرص - هو الحيلولة بين اليهود  
والحصول على المزيد من التأييد المسيحي وهو تأييد له ثقله في المحافل الدولية ،  
وله نتائج في الصراع العسكرى كذلك .

فانظر كم يضحى المسلمون بمقائق دينهم على مذبح السياسة إحباطاً لمناورة  
غخوفة ، أو تحقيقاً لكسب قريب .

٣ — أشرت في الفصل السابق إلى أن ( عقيدة التثليث ) في المسيحية يمكن أن  
تكون مأخوذة من الثالوث الهندي الذى يتضمن ثلاثة آلهة هي :

١ - يراهما إله الخلق .

٢ - فشنوا إله الحفظ .

٣ -- سيفاً إله الإباداة والإهلاك .

غير أن هناك رأياً آخر جديراً بالتسجيل في هذا التعقيب - فقد كشف الأستاذ ( أرسلاف كرانس ) أستاذ الحفريات بجامعة أو كسفورد عن ثالوث مصرى قديم مؤكداً وجود التماثل بينه وبين الثالوث المسيحى سواء في عدد الأقانيم ، وفي خصائص كل أقنوم

ويتكون الثالوث المصرى من ثلاثة أقانيم إلهية وهى :

( ١ ) الإله ( أوسيرى ) ويسمى الآب أو الواله .

( ٢ ) الإله ( هور ) ويسمى الإبن ، أو النطق ، أو الكلمة .

( ٣ ) الإله ( إيس ) وهو الأم ، أو الوالدة .

١ - الإله ( أوسيرى ) :

وهو الإله الأكبر - علة ولادة الأقنوم الثانى ( هور ) وخالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب .

ونجده مرسوماً جالساً على منبر القضاء ليدين كل واحد حسب أعماله قابضاً بيده اليمنى على علامة تعنى الحق ، أو العدل ، وبيده اليسرى علامة أخرى تعنى الانتقام .

وهذه الخصائص تتفق مع عقيدة النصارى عن الإله الآب أو الأقنوم الأول في الثالوث المسيحى الذى يمثل العدل والخصائص في حكمه على آدم وذريته بالهلاك الأبدى لأكلة من العجيرة المحرمة .

## ٢ - الإله ( هور ) :

وهو الأقنوم الثاني في الثالوث المصرى ، وهو ابن الإله ( أوسيرى ) وهو النور والشمس المشرقة ، وهو إله النطق والكلام ، ولذا - صوروه رافعاً أصبعه إلى فمه - كما شهروه أيضاً بمجل ، ولكنه عجل ممتاز عن بقية المعجول ، وله نمرة يبطء مثله على جهته ، وجمران تحت لسانه رمزاً للقيامة والخلود - وله من نار اللاهوت من هبة بكر لم تلد سواه ، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم ، وقد تشبه بإنسان ليكون قابلاً للموت .

والشبه قوى بين هذا الأقنوم في الثالوث المصرى وما ذكر في إنجيل ( لوقا ) عن السيد المسيح ابن الله وكلته من أنه هو المعجل المثلث ، وأنه المخلص الذى تجسد ليفدى البشر من الخطايا .

## ٣ - الإله ( إيس ) :

الأقنوم الثالث ، وأم الأقنوم الثانى ، وقد رمزوا لها بصورة طائر جميل يعبه المصفور ، وعلى رأسه صولجان رسموا بجانبه علامة الحياة وهم يشيرون بذلك إلى أن ( إيس ) هى باعثة الحياة للبشرية .

والمعروف أن روح القدس فى المسيحية هو مصدر الحياة .

كما صور المصريون القدماء الإله ( إيس ) أيضاً امرأة جالسة على العرش ترضع ( هور ) ابنها - الأقنوم الثانى - وعلى رأسها تاج الملك وقرص الشمس .

وهذا أيضاً يعبه قانون الإيمان المسيحى الذى ينص على أن الإله الإبن قد تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء (١) .

---

(١) محمد مهدي مرجان ، الله واحد أم ثالث ، ص ٧٨ .

وإذا صح ما ذكر عن الثالوث المصرى - فلا شك في وجود التطابق بينه وبين الثالوث المسيحى ، ولا شك أيضاً في أن هذا التطابق كان في مقدمة العوامل التى هبأت للمسيحية في مصر مناخاً مناسباً وبيئة صالحة فقد أقبل المصريون على اعتناقها دون قباطر ، ولا تزال نسبة كبيرة منهم تدين بها إلى اليوم .

٢ - نزول المسيح عقيدة أساسية توارثها النصارى جيلاً عن جيل دون أن يقوم عليها برهان من عقل ، أو يفضى إليها داع من ضرورة اللهم إلا ما تبعته هذه العقيدة من راحة في النفوس واطمئنان للخواطر ، وسلوان عن هموم اليوم بما يخبئه الغد من العدل والمحبة والسلام .

ويبدو أن العالم المسيحى قد سئم هذه الأحلام الوردية التى طال معها ظلام الليل - فراح ينشد واحة في أحضان الظلام ، ويلتمس مناه في مسارب الخوف ، وينزع رغائبه من بين برائن الموت .

رسم المسيحى طريقه وفق مصالحه الخاصة ، لا وفق ما تمليه الأناجيل ، وحاول أن يصنع فردوسه بيديه محتملاً في سبيل ذلك كل ألوان التضحية وصنوف البلاء متقبلاً ما يجلبه عليه خطأ التصور أو سوء التقدير - فذلك خير من انتظار البحر لا يطلع ، واستعجال ليل لا يزول .

لقد حرمت الأناجيل الأغنياء من دخول المراكب وجمعت دخول جمل في سم إبرة أبسر من دخول غنى في مراكب الله - فإذا بورثة هذه الأناجيل هم أغنى شعوب الأرض يتحكمون في مصائر التجارة والصناعة وأمور الإنتاج والاستهلاك ويمسكون حياة السادة المترفين .

ودعت الأناجيل إلى التسامح والسلام : فن لعلمك على خدك الإين فأدر له الأيسر ، ومن نازعك طعامك فأعطه طعامك وشرابك ، ومن سخرك ميلا فسر

معه ميلين — فإذا بورثة هذه الأناجيل يستبيحون لأنفسهم اغتصاب الأرض ،  
وتدمير العمران ، وقتل الأبرياء .

وهكذا لم يهيم النصرى أنفسهم لاستقبال المسيح الذى روجوا  
لنزوله ، وصارت حياتهم فى طريق مغاير تماما لمقتضيات هذه العقيدة  
الباهتة ، بل لعلمهم أن سموا بظهور مسيحيهم الموعود أن يغفروا به وليس  
( أسكوتلاند يارد ) ، أو المغابرات المركزية الأمريكية ليكرروا  
محاولة الصاب والقتل من جديد حرصاً على نفوذهم الراسخ وغيره على ثرائهم  
المريض .

ولقد تجاسر بعض أدبائهم - فأعلنوا رفضهم لهذه العقيدة التى لا يبررها  
منطق ، ولا تحتتمها ضرورة ، ولا يصدر عنها واقع .

نجد هذا على سبيل المثال فى مسرحية ( فى انتظار جودو ) (لـ يوجين يونسكو)  
التي رأى كثيرون نقادها أنها تقرر أن نزول المسيح ليس أكثر من خرافة  
لا تحقق لها إلا فى غفلة القساوسة والرهبان .

والغريب — أنه بينما يموج العالم المسيحي بهذه الأفكار التى تكهف  
النقاب عن حقيقة الإضافات البوليسية إلى المسيحية — يطلع علينا المرحوم  
الدكتور الهراس بكتاب يسميه ( فصل المقال فى رفع عيسى عليه السلام  
حياً ونزوله وقتله العجال ) يؤكد فيه أن المسيح قد رفع بجسده وروحه إلى  
السماء ، وأنه سوف يظل هناك إلى أن يصرح له بالهبوط إلى الأرض  
قريب قيام الساعة ليمارس مهمة الإصلاح بضع سنين تشرف بعدها الدنيا على  
اليوم المصيب .

وراج - يرحمه الله - يخوض غمار المعركة الوهمية - فهو يتصيد الأحاديث ، ويتكلف التفسير بما يخدم دءـواه التى لا تستحق كل هذا الجهد .

ولست أدري لم نفرض على المسيح أن يقضى ألوف السنين - وربما أكثر - فى انتظار تسكينه بمهمة يمكن أن يقوم بها عدد محدود من أسراء المسلمين ، وعلمائهم لو خلاصت النوايا وحسن الإعداد - لاسيما وقد قرر لنا رسولنا ﷺ أن علماء أمته كأنبياى بنى إسرائيل .

وجدير بالإشارة أن المرحوم الشيخ ( محمود شلتوت ) كان قد سئل فى قضية نزول المسيح .

وبعد أن رد على الجميع المفتعلة التى يستند إليها القائلون بهذه القضية من المسلمين - خلص إلى النتائج التالية :

١ - أنه ليس فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن ( عيسى ) رفع بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها ، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض .

٢ - أن كل ما تفيد الآيات الواردة فى هذا الشأن - هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وحاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق - فلم يقتله أعداؤه ، ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعهم إليه .

٣ - أن من أنكر أن ( عيسى ) قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه حى فيها إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان - فإنه لا يكون منكرا لما ثبت بدليل



قطعى — فلا يخرج عن إسلامه ، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن إذا مات — فهو من المؤمنين يصلّى عليه كما يصلّى على المؤمنين ، ويدفن في مقابر المؤمنين (١) .

ورأى الشيخ ( شلتوت ) يمثل الاتجاه العقلى فى فهم قضية النزول .  
وهذا الاتجاه فيما أظن أقرب إلى روح الإسلام وأكثر تماشياً مع طبيعته  
وما أخرجنا إلى مثل هذه الرؤية العقلية فى فهم المقائد الدينية على الخصوص .

---

( ١ ) فصل المقال للهراس ، عن العدد ٦٢٢ من مجلة الرسالة .

## الفصل السادس

### الدين الحق

الاديان السماوية كلها حق ، لأنها صادرة عن الله الحق - وهي كما أشرت في الفصل الاول من هذه الدراسة حلقات متكاملة - يهد السابق منها لللاحق ، ويكمل اللاحق السابق وإن كان كل منها في ذاته كاملاً بالنسبة إلى الفترة الزمنية التي نزل فيها ، ونوعية البشر الذين نزل لهم .

فإذا لوحظ التعارض بين دينين في أصل من الأصول ، واستحال بينهما الجمع أو التوفيق ، فلا بد من القول بوقوع التحريف في أحدهما على الأقل .

والذي لاشك فيه - أن ثمة مواطن كثيرة للتعارض بين الأديان السماوية الثلاثة التي تنتظم العالم المتمدين اليوم ، والتي عرضت لها في ثلاثة فصول كاملة من هذه الدراسة ، وهي ( اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ) .

وأتباع كل دين من هذه الأديان يهتمون غيرهم بتزييف الحقائق وتحريف النصوص .

ومن ثم - فقد النبس الحق بالباطل ، واختلط الخطأ بالصواب وهو حل المرء في معمة المهارات الكلامية أن يفرق بين العقيدة المحرفة والعقيدة السوية ، أو يميز بين الدين الزائف والدين الصحيح .

بيد أنني أبادر - فأقرر أن الباحث إذا تجرد من مظاهر الهوى والتمصب وأخذ نفسه بالهدى في الدراسة والموضوعية في الحكم - فإنه سينتهى بكل تأكيد إلى أن الدين الذي أنزله الله على محمد ، وعرف تاريخياً بالإسلام هو الحق الذي لم يكدر موارده غبار الويف ، والنور الذي لم تعجب مطالعه ظلمات التغيير .

ويتأكد هذا الحكم من ملاحظة الأمور الثلاثة الآتية :

- ١ - ثبوت تبشير المهدين القديم والجديد بمحمد ﷺ نبي الإسلام .
  - ٢ - ثبوت وقوع التحريف في الكتب السأوية فيما عدا القرآن كتاب الإسلام .
  - ٣ - ما تؤدي إليه المقارنات المحايدة بين الأديان الثلاثة من إثبات تفوق الإسلام وامتيازهِ واستثنائه بمقامات الصلاحية وعناصر المروءة لتقدم الإنسان وسعادته .
- وسيتبين ذلك كله بالتفصيل من خلال مباحث هذا الفصل إن شاء الله .

## المبحث الأول

### تبشير الكتب السابقة بنبي الإسلام

أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن الكتب السماوية السابقة قد تضمنت التبشير بأخر الأنبياء وخاتم المرسلين ( محمد ﷺ ) .

من ذلك قوله سبحانه : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، (١) .

بل إن القرآن يشير أيضا إلى الميثاق الذي أخذه الله على النبيين وفيه يؤكدون إيمانهم بهذا النبي ومناصرتهم له - فهو يقول :

• وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، (٢) .

ويبدو من تتبع الأحداث واستقراء الوقائع - أن تبشير الكتب السماوية بمحمد عليه السلام لم يكن أمر خافيا لسنوات من مبعثه على الأقل :

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

فقد كان أهل الكتاب يتحدّثون - فيسرفون في الحديث عن نبي أظلم زمانه ، ويذكرون من صفاته الخلقية والخلقية ، ومن ظروف نشأته ومراحل حياته ، ومن ظهور دينه وانتشار دعوته ما يندبونه إلى كتبهم المقدسة ، أو يسندونه إلى أحبارهم المتبحرين .

ولم يقف الأمر عند مجرد الحديث عن صفات النبي الجديد وأطوار سيرته وإنما كان اسمه يتردد أيضا على ألسنة المبشرين من أهل الكتاب .

لقد انطلقت أحاديث التبشير بالنبي الخاتم من خلوات الكهنة وصوامع الرهبان ، ولاكنها كانت تتقل مع الركبان من صقع إلى صقع ، وتطوف مع الرواة من مكان إلى مكان حتى أوشك الأمر مع بدايات القرن السابع الميلادي أن يطبق شعاب العالم كله ، ويجرى على ألسنة المثقفين فيه .

هذا هو قيصر الروم يثل بين يديه ( أبو سفيان بن حرب ) - فيسأله عن نسب النبي الكريم وأخلاقه ، وعن دعوته وأتباعه ، ويجيبه أبو سفيان عن ذلك كله في حديث مشهور يقول قيصر في نهايته ( إن بك ما تقول حقا فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقائه ، وليلبغن ملائكة ما تحت قدمي ) .

فقيصر إذن كان يعلم كثيرا عن نسب النبي وأخلاقه ، وعن دعوته ومستقبلها وإن لم يعرف على وجه التحديد القوم الذين سيخرج فيهم ، والمكان الذي سيظهر فيه .

وننقل هنا أيضا حديث ( سلمان ) الفارسي وهو أحد الذين شغلهم البحث عن الحقيقة في عالم خيمت عليه ظلمات الجهل ، وكابد في سبيل الوصول إلى غايته هناك السفر وأهوال الترحال .

لقد ظل يلتمس الهداية عند رهبان الدير ، ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد حتى انتهى به الطواف إلى (عمورية) حيث أقام في جوار راهب معروف بالاستقامة والصلاح ، فلما حضرت الوفاة هذا الراهب سأله (سلطان) إلى من يوصى به ، وبم يأمره ؟

فقال الراهب (أى بنى والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظننا زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى بأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بذلك البلاد فافعل) (١).

فاذا ضمننا إلى ذلك حديث (بجيرة) مع (أب طالب) ، وحديث (نسطور) مع (ميسرة) غلام السيدة (خديجة) وقد رأى كل منهما محمداً وتوسم فيه علامات النبوة - عرفنا أن النصارى كانوا يعلمون كنهها عن النبي الخاتم ويبشرون بقرب ظهوره وسمو رسالته ، ولا بد أن يكون مصدرهم في ذلك كله هو ما ورثوه من الكتب المقدسة .

ولم يكن اليهود أقل من النصارى علماً بهذا للنبي وانتظاراً لدعوته الجديدة فكثيراً ما كانوا يحدثون العرب عنه ، ويمقدون الأمل على رسالته التي يستعيدون بها مجدهم الزائل ويرفعون رايهم المنكئة فوق الاعميين .

ومن شواهد معرفة اليهود بالنبي ووقوفهم على أمره قبل بعثته - ما رويته أم المؤمنين (صفية بنت حمى بن أخطب) عن أبيها وعمها اليهوديين إذ تقول (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء - غدا عليه أنى حمى بن أخطب ، وعمى أبو ياسر مغلسين - فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس - فأتيا كالين كسلانين

(١) سعيد حوى ، الرسول ﷺ - ٤١١

ساقطين يمشيان المويينى ، فمشعت لايها ، فاالتفت إلى أحد منهما مع ما بهما  
من الهم فسمعت عمى أبا ياسر يقول لآبى أهو هو أى المبشر به فى التوراة ، قال  
نعم والله ، قال انثبته وتعرفه ، قال نعم ، قال فما فى نفسك منه ، قال عداوته والله  
ما بقيت أبداً (١) .

ومن ذلك أيضا - ما يروى فى قصة إسلام (عبد الله بن سلام) وكان حبرا  
عالما - فقد نقل عنه ابن هشام فى سيرته أنه قال :

(لما سمعت برسول الله ﷺ - عرفت صفته وإسمه وزمانه الذى كنا نتوكل  
له ، فكننت مسرا لذلك صامنا عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما نزل  
بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى  
فيها وعمنى خالدة لبنة الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم الرسول ﷺ  
كبرت ، فقلت لى عمنى حين سمعت تكبيرى خبيك الله ، والله لو كنت سمعت  
بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال فقلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن  
عمران وعلى دينه بهت بما بهت به ، ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ،  
ثم رجعت إلى أهل بيتى فأسلموا (٢) .

وقد تداولت بين المسلمين نصوص من التوراة تقدم وصفا تفصيليا لآخلاق  
رسول الله ﷺ ، وأكثر هذه النصوص ما منقول عن (ابن عباس) الذى كان  
له اطلاع على كتب اليهود والنصارى .  
ومن هذا القبيل - النص الآتى :

---

(١) سعيد حوى ، الرسول ﷺ ص ٣٨٠

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨٠

فقد سأل ( عطاء بن يسار ) ( عبد الله بن عمرو بن العاص ) عن صفة رسول الله عليه السلام فقال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن :  
( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للآمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا ) ، وفى بعض طرق الحديث :

( ولا سخابا فى الاسواق ولا قوالا للحنى ، أسدده لكل جميل ، وأحب له كل خلق كريم ، وأجمل السكينة لباسه ، والبرشماره ، والتقوى ضميره والحكمة مقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والمعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد إسمه - أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخلة ، وأسمى به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين قلوب مختلفة وأراء متفترقة ، وأجمل أمته خير أمة أخرجت للناس ) (١) .

وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال :

( عبدى أحمد المختار مولده مكة ، ومهاجرة بالمدينة ، وأمه الحادون الله على كل حال ) (٢)  
وجدير بالذكر أن التوراة التى بين أيدينا الآن لا يوجد فيها شيء من هذه

(١) الشيخ ( محمد الخضرى ) ، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، ص ٢١

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢



النصوص - كما أن الأناجيل المعروفة لا يوجد فيها أى نص صريح يدل بوضوح على التبشير بنبينا ﷺ - الأمر الذى يدل على أن يد الهوى والتمصب قد جرت فى هذه الكتب بالتحريف - ومع ذلك فإن للكتابين اليوم أن ينكروا صحة نسبة النصوص المبشرة صراحة بنبي الإسلام إلى كتبهم المقدسة ، أو يشككوا فى السند التاريخى لهذه النصوص .

ولهذا - فقد اهتمت الدراسات الجديدة بالتركيز على النسخ الميسورة من المهدىين القديم والجديد تستقرىء ما بين السطور ، وتستوحى ما وراء الكلمات لتصل إلى الحقيقة الضائعة ، وتظفر بالسر المكتون .

وأبرز الكتاب المحدثين الذين قاموا بهذه المهمة الشاقة ، وتاملوا مع الكتب المقدسة هذا اللون من التعامل المتسم بالصبر والأناة - هو الكاتب الهندى للكبير ( رحمت الله بن خليل ) جزاء الله عن الإسلام وأهله جزاء العلماء المخلصين ، والعهدة المجاهدين .

لقد درس أسفار المهدىين القديم والجديد دراسة دقيقة واعية حتى وصل فيها إلى مستوى التمكن ، وقارن بين الأرجحات المتعددة والطبعات المختلفة حتى وقف على إيماءات كل كلمة وخبايا كل عبارة ، وقرأ شروح المتخصصين على هذه الأسفار وتأويلات المفسرين لها - فمرف ما أخطأوا فى شرحه أو حاولوا إخفائه أو تصفوا فى تأويله ، وناقش الكهنة والقساوسة فى مطاعنهم على الإسلام ودفاعهم عن باطلهم ، ثم أخرج حصيلة ذلك كله فى كتابه القيم الذى سماه (إظهار الحق) ، وقد استخرج لنا من أسفار المهد القديم إحدى عشرة بشارة بمحمد ودينه - كما استخرج سبع إشارات أخرى من أسفار المهد الجديد .

وسيكون الاعتماد بشكل أساسى على هذا الكتاب فى عرض نماذج من التبشير بنبي الإسلام فى المهدىين القديم والجديد .

### (أولا) في العهد القديم :

أورد الشيوخ (رحمت الله بن خليل) طائفة من النصوص العهد القديم التي تضمنت التبشير بمحمد ﷺ ، ورد على ما يستند إليه المساواة في صرف دلالات هذه النصوص عن وجهها الصحيح ، وكثرا ما يستأنس لدلالة النص بنص آخر أو أكثر من أسفار العهدين - ولكنى أرى نفسى مضطرا إلى إغفال كثير من التفاصيل التي لا تتفق مع طبيعة هذا العرض السريع - ويستطيع القارىء أن يعود إلى (إظهار الحق) إذا أراد المزيد (١) .

### البشارة الأولى :

أورد الشيوخ (رحمت الله) النص التالى من سفر التثنية الذى يسميه في كتابه سفر الاستثناء ثم أخذ في استخلاص البشارة - بقول النص :

( يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك . من إخوانك مثلى . له تسمعون )

( فقال الرب لى نعم جميع ما قالوا ) وسوف أقوم لهم نبيا مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامى فى فيه ويكلمهم بكل شئ أمره به ) ( ومن لا يطع كلامه الذى يتكلم به بإسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك ) ( فأما النبى الذى يجترأ بالكبرياء ويتكلم فى إسمى ما لم أمره بأنه يقوله أم بإسم آلهة غيره فليقتل ) .

( فإن أحببت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ ) ( فهذه تكون لك آية أن ما قال ذلك النبى فى إسم الرب ولم يحدث قلوب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صورة فى تعظيم نفسه ولذلك لا تخفاه ) . والنبى المشار إليه فى هذا النص ليس هو ( يوشع ) كما يزعم اليهود ، ولا ( عيسى ) كما يزعم البروتستانت ، وذلك لعشرة أوجه أهمها :

( ) يمكن الرجوع إلى موضوع البشارات فى الكتاب المذكور ، ص ٥٠٨

الوجه الأول : أن اليهود المعاصرين لم يسي عليه السلام كانوا ينتظرون النبي الذي أشار إليه النص - فهو إذن غير ( يوشع ) والمسيح .

الوجه الثاني : وردت في النص كلمة ( مثلك ) - أي مثل موسى ، ويوشع وعيسى لم يكونوا مثل موسى - لأنه كان صاحب شريعة مستقلة ، وليس كذلك . ومن جهة أخرى فقد دلت الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية على عدم قيام نبي مثل موسى من بني إسرائيل - والمعروف أن ( يوشع ) وعيسى كانا من بني إسرائيل .

الوجه الثالث : ورد في النص لفظ ( من بين أخوتهم ) وقد كان أسباب بني إسرائيل جميعا حاضرين عند موسى - فدل ذلك على أن النبي المبشر به ليس من بني إسرائيل ، وإلا - لقال منهم .

الوجه الرابع : ورد في النص لفظ ( سوف أقوم ) وهو لفظ يفيد المستقبل البعيد ، فلا ينطبق على ( يوشع ) الذي كان حاضرا مع موسى .

الوجه الخامس : وهو الثامن عند المؤلف - صرح في النص بأن النبي الذي يكذب على الله يقتل - فلو كان محمد عليه السلام كاذبا لقتل .

خاصة وقد ورد في القرآن ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ، وإنه لم يقتل - بل ورد في حقه قوله سبحانه .

واقه يعضك من الناس ، وإنما الذي قتل وصلب - هو ( عيسى ) على زعم أهل الكتاب - فكيف تنطبق البهارة عليه ؟

### البهارة الثانية :

ورد في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية :

( هم أغاروني بنهر لاه ، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ، فأنا أغيرهم بنهر شعب ، وبشعب جاهل أغضبهم ) .

فالمراد بالشعب الجاهل - هم العرب الذين كانوا في غاية الجهالة والاحتقار من اليهود باعتبارهم من نسل (هاجر) الجارية ، والمقصود من النص ، أن بنى إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة ، فلذلك أغيرهم باصطفائي للذين هم عندهم محترقون وجاهلون ولقد أوفى الله بما وعده ، وبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى في سورة الجمعة « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحسكة وإن كانوا من قبل لمنى ضلال مبين » .

وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما ذكر ( بولس ) في رسالته إلى رومية إذ هم معروفون بالتفوق على شعوب العالم كله قبل الميلاد بعدة قرون ، توارثوا الفلسفة والحسكة ، وتعاقب فيهم أئمة الطبيعيات والرياضيات والإلهيات كما ترجمت إلى لغتهم أسفار العهد القديم قبل الميلاد بنحو ٢٨٦ سنة .

#### البشارة الثالثة :

ورد في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ ( وقال جاء العرب من سيناء . وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ) .

فجئته من سيناء - أعطاه التوراة لموسى عليه السلام ، وأشرافه من ساعير أعطاه الإنجيل لمعسى عليه السلام ، واستعلنه من جبل فاران إنزاله القرآن . لأن فاران جبل بمكة - ففي الإصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين ورد في شأن ( إسماعيل ) عليه السلام وسكن بربوة ( فاران ) والمعروف - أن سكناه كانت بمكة .

البشارة الرابعة :

جاء في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ وعد من الله لإبراهيم يتعلق بإسماعيل ، والنص هو :

( وعلى إسماعيل استجيب لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا فسيكلم  
إثنى عشر رئيسا ، وأجمله لشعب كبير ) .

فقوله ( أجمله لشعب كبير ) يشير إلى ( محمد ) ﷺ - لأنه لم يكن في وله  
إسماعيل من كان لشعب كبير غيره .

البشارة الخامسة :

جاء في الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين الترجمة العربية سنة ١٧٢٢  
وسنة ١٧٢٢ ، وسنة ١٨٤٤ ( فلا يزول القضيبي من يهوذا والمدير من فخذه حتى  
يحيى الذى له الكل ، وإياه تنتظر الأمم ) .

وفي ترجمة عربية سنة ١٨٦١ ( فلا يزول القضيبي من يهوذا ، والرسم من  
تحت أمره إلى أن يحيى الذى هو له ، وإليه تجتمع الشعوب ) .

فلفظ ( الذى له الكل ) أو ( الذى هو له ) ترجمة للفظ ( شيلوه ) .

فالمقصود يهوذا الشعب اليهودى ، وبشيلوه محمد عليه الصلاة والسلام إذ لم  
تجتمع الشعوب لأحد بعد انتفاض أمر اليهود وانقطاع شرائعهم بنهاية عيسى عليه  
السلام إلا لمحمد عليه الصلاة والسلام .

البشارة السادسة :

جاء في الزبور الخامس والأربعين ( فاض قلبى كلمة صالحة فأنا أقول أعمالى  
لملك ، إسانى قلم كاتب سريع الكتابة ) ( يحيى فى الحسن أفضل من بنى البشر

انسكبت النعمة على شفقتك ، لذلك بارك الله إلى الدهر ، تغلد سيفك على فخذك  
أيها القوى ، بحصنك وجمالك أستله وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق  
وتهديك بالعجب بيمينك نيلك مستونه أيها القوى في قلب أعداء الملك ، الضعوف  
تحتك يسقطون ، كرسيك يا الله إلى دهر الدهارين ، عصا الاستقامة عصا ملكك ،  
أحببت البر وأبغضت الإثم - لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من  
أصحابك ، المروالمعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أهدجتك ،  
بنات الملوك في كرامتك ، قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بشوب مذهب موسى  
اسمى يافث وانظري وأنصتي بأذنك وأنسى شعبك وبيت أبك فيهنهى الملك  
حسنك لأنه هو الرب إلهك وله تسجدن .

بنات القصور يأتينك بالهدايا لوجدهك يصل كل أغنياء الذهب كل مجد لبنة  
الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى يبلغن إلى الملك عذارى في أثرها  
قربانها إليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك ويكون بنورك  
عوضا من أبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض ، سأذكر اسمك في كل جيل  
وجيل - من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الدهارين ) .

ويستخلص الشيخ (رحمت الله ) من النص السابق سبعة عشر وصفا للنبي  
الذي تشير إليه البشارة ، وهذه الأوصاف هي :

١ - كونه حسنا .

٢ - كونه أفضل البشر .

٣ - كون النعمة منسكبة على شفتيه .

٤ - كونه مباركا إلى آخر الدهر .

٥ - كونه متقلدا بالصيف .

- ٦ - كونه قويا .
  - ٧ - كونه ذا حق ودعة وصدق .
  - ٨ - كونه هداية يمينه بالعجب
  - ٩ - كون نبيله مسنونة .
  - ١٠ - سقوط الصعوب تحته
  - ١١ - كونه محبا للبر مبذضا للإثم .
  - ١٢ - خدمة بنات الملوك إياه .
  - ١٣ - مجيء الهدايا إليه .
  - ١٤ - إنقياد كل أغنياء الصعوب له .
  - ١٥ - كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم .
  - ١٦ - كون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل .
  - ١٧ - مدح الصعوب إياه إلى دهر الداهرين .
- ويستدل الشيخ على ثبوت هذه الأوصاف لمحمد ﷺ بما عرف من أحواله ومواقفه وأخلاقه وحديث القرآن عنه على نحو ما ترويه كتب السيرة والسنة والتفسير ، ثم يقول :
- (ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام كما يدعى علماء البروقستانت إدعاء باطلا ) .

#### البشارة السابعة :

وود في الزبور المائة والتاسع والأربعين :

(سبحوا الرب تسيبها جديدا . سبحوه في مجمع الأبرار ، فليفرح لإسرائيل بخالفه وبنور صهيون يبتهجون بملكهم ، فليسبحوا لاسمه بالمصاف بالطبل والمزامير تزلوا له ، لأن الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص ، تفتخر الأبرار بالمجد ويبتجون على مضاجعهم ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فين في أيديهم ليصنعوا انتقاما في الأمم وتوبيخات في الشعوب ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرفهم بأغلال من حديد ليضعوا بهم حكام مكتوبا هذا المجد يكون لجميع الأبرار ) .

عبر النص السابق عن المبشر به بالملك ، وعن مطيعيه بالأبرار ، وأطلق عليهم خمسة أوصاف هي :

١ - افتخارهم بالمجد .

٢ - ترفيع الله في حلوقهم .

٣ - كون سيوف ذات فين في أيديهم .

٤ - وانتقامهم من الأمم وتوبيخاتهم للشعوب .

٥ - وأسرم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال التي من حديد .

وهذه الأوصاف كما يستخلص المؤلف ، تصدق على عهد وأصحابه ، ولا تصدق على ( سليمان ) ، لأنه ما وسع ملكه أبية على حد زعم أهل الكتاب .

ولأنه ارتد في آخر حياته وعبد الأصنام على زعمهم أيضا .

كذلك لا تصدق الأوصاف المذكورة على ( عيسى ) عليه السلام لأنه لم يرهب أحدا ، ولم يأمر ملكا ، وإنما صلب وقتل فيما يزعمون ، كما أسر أكثر حواريه في القيود والأغلال ، ثم قتلوا بأيدي الملوك والأشراف من الكفار .



### البشارة الثامنة :

ورد في الإصحاح الثاني والاربعين من سفر أشعياء :

٩ (التي كانت أولها قد أمت وأنا مخبر أيضا بأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم  
لأياها) ١٠ (سبحوا الرب قسيحة جديدة حمده من أقاصى الأرض وراكبين  
في البحر ملؤه الجوارئ وسكانها) ١١ (لترفع البرية ومدنها صوتها . الهيار التي  
سكنها قيذار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال يسبحون) ١٢ (يحملون  
الرب كرامة وحدة يخبرون به في الجوارئ) ١٣ (الرب كجبار يخرج مثل رجل  
مقاتل يهوش الغير بصوت ويصبح على أعدائه ويثقوى) ١٤ (سكت دائما صمت  
صبرت صبرا فأتاكم كالوالد أصبح أنفخ وأخمر معا) ١٥ (أخرب الجبال والآكام  
وكل نباتهن أجفف وأجعل الأنهار جزائر . والبحيرات الجففت  
١٦ ( وأسير العمى في طريق لم يعرفوها ، في مسالك لم يدروها ، أمشيهم أصير  
أمامهم الظلمة نورا ، والمعوجات سبلا ، هذا الكلام صاغته لهم ولا أخذلهم )  
١٧ ( أندبروا إلى ورائهم والمتوكلون على المفعونة القائلون للسبوكة أنكم آلهتنا  
ليخزون خزيا ) ،

يظهر من النص السابق ، أن ( أشعياء ) قد أخبر عن أشياء قد وقعت على  
نحو ما كان تنبأ به ، وأنه يخبر عن أشياء أخرى تقع في المستقبل ، وتعنى بصفة  
طامة ظهور نهج جديد في العبادة وأمة جديدة من أمة الإيمان .

وما ذكر من ملاح هذه العبادة في النص ينطبق على الشريعة الإسلامية ،  
كما أن ما ذكر فيه من ملاح هذه الأمة ينطبق على الأمة الإسلامية أيضا .

فتعميم التسييحة الجديدة على سكان أقاصى الأرض وأهل الجوارئ ، وأهل  
المدن والبرارى ، إشارة إلى عموم نبوته ﷺ .

وافظ ( قيدار ) هو أقوى إشارة إليه ، لأن ( عمدا ) عنه من أولاد ( قيدار بن إسماعيل ) .

وقوله ( من رؤوس الجبال يصيحون ) ، إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدي في أيام الحج فإنه يصيح ألوف من الناس : ( ليك اللهم ليك ) .

وقوله ( حدة يخبرون به في الجزائر ) إشارة إلى الأذان يخبرون به ألوف الألوف في أقطار العالم في الاوقات الخمسة جهارا .

وقوله ( الرب كجبار يخرج كرجل مقاتل يهوش الغيد ) يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده عليه السلام وجهاد تابعيه يكون لله ويأمره خاليا عن أهواء النفس .

وبين في الآية الرابعة عشرة سبب مشروعية الجهاد .

وأشار في الآية السادسة عشرة إلى حال العرب ، لأنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله ، مبتلين بالقبائح والضلالات مصداقا لقوله سبحانه ( وإن كانوا من قبل أني ضلال مبين ) .

وقوله ( لا أخذلهم ) إشارة إلى رحمة الله بالامة الإسلامية إذ هم من عهد المغضوب عليهم ولا الضالين ، وإلى تأييد شريعتهم ، إذ هي خاتمة الشرائع .

وقوله ( والمتوكلون على المنحوتة القاتلون للمسبوكه أنكم آلهتنا ليخرون خروبا ) ، وعد بأن عابدى الاصنام والاثوثان كمشركي العرب ، وطابدى الصليب ، وصور القديسين يحصل لهم الحزى والمزيمه التامة ولقد وفى الله بما وعد ، فقد اندحرت الوثنية العربية ودالت ممالك الفرس والروم وضعفت الوثنية في الهند والسند ، وانقشر التوحيد شرقة وغربا .

البشارة التاسعة :

ورد في الإصحاح الرابع والخمسين من سفر أشعياء :

( سبّحى أيتها العاقرة التى لم تلد ، أنشدى بالمجد وهلملى أيتها التى لم تلد من أجل الكثيرين من بنى المستوحشة أكثر من ذات رجل ) .

٢ ( أوسعى موضع خيمتك ومرادق مضاربك أبسطى لا تمسكى ، طولى حبالك ثبتي أوتادك ) .

٣ ( لأنك تنفذين يمنة ويسرة ، وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة ) .

٤ ( لا تخافى ، لأنك لا تخزين وتخجلين ، لأنك لا تستحيين فإن خزي صباك تنسين ، وعار ترملك لا تذكرين أيضا ) .

٥ ( فإنه يتولى عليك الذى صنعك رب الجنود إسمه وقاديك قدوس إسرائيل إله جميع الأرض يدعى ) .

٦ ( إنما الرب دعاك مثل امرأة مطلقه ، ومحزونة الروح ، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك ) .

٧ ( لحيفة تركتك وبرحات عظيمة أجمعك ) .

٨ ( فى ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهى عنك ، وبالرحمة الابدية رحمتك ، قال قاديك الرب ) .

٩ ( مثلاً فى أيام نوح لى هذا كما حلفت أن لا أصب مياه نوح على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ، وأن لا أوبخك ) .

١٠ ( فإن الجبال ترتجف ، والتلال تنزل ، ورحمتى لا تنزل عنك ، وعهد سلامى لا يتحرك قال رحيمك الرب ) .

١١ ( أيتها الذليلة المضطربة غير المتمزية ها أنا ذا أبني بالأحجار حجارتك وباليافوت الأزرق أوسك ) .

١٢ ( وأجل شرفك ياقونا ، وأبرابك حجارة بهرمانية ، وكل نخومك حجارة كريمة ) .

١٣ ( جميع بنيك متعلون من الرب ، وكثرة السلام لبنيك ) .

١٤ ( وبالبر تؤسين . فابتعدى من الظلم ، لأنك لاتخافين ، ومن الهيبة لانتها لاتقرب منك ) .

١٥ ( ها أنهم يجتمعون لإجتاعا ليس من عندى ، من اجتمع عليك ، فأليك يسقط ) .

١٦ ( ها أنا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ، ويخرج آلة عمله ، وأنا خلقت المهلك للإهلاك ) .

١٧ ( كل إناء مجبول ضدك لا ينجح ، وكل لسان يخالفك فى القضاء تحكين عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب ، وبرهم من عندى ، يقول الرب ) .

يذكر مؤلف (إظهار الحق) أن الخطاب فى النص السابق موجه من الله تعالى إلى (مكة) المسكرمة .

وفى ضوء الفكرة ، يفسر عبارات النص بما يكشف عن مضمون البهارة وذلك على النحو التالى :

المراد بالعاقرة فى الآية الاولى ، مكة المسكرمة ، لأنها لم يظهر منها نبي بعد إسماعيل عليه السلام ، ولم ينزل فيها وحى ، بخلاف (أورشليم) ، فقد ظهر فيها أنبياء كثيرون كما كثر فيها نزول الوحى .

والمراد ( بنى المستوحشة ) ، أبناء ( هاجر ) ، لأنها كانت بنزلة المطلقة  
المخرجة من البيت ، الساكنة فى البرية ، ومن ثم ورد عن ( إسماعيل ) فى الإصحاح  
السادس عشر من سفر التكوين : ( هذا سيكون لإنسانا وحشيا ) .

وقوله ( بنو ذات رجل ) إشارة إلى أبناء ( سارة ) وقد أمر الله مكة  
بالتسبيح والتبجيل وإنشاد الذكر شكرا لله الذى فضل أبناء ( هاجر ) على أبناء  
( سارة ) ، فارتفعت منزلة ( مكة ) قريبا لتفضيل أهلها .

وكلمت الفضيلة ببعث ( محمد ) ﷺ أفضل البشر وخاتم النبيين وهو من  
أبناء ( هاجر ) ومن أهل ( مكة ) كذلك ، وهو المراد فى النص بالحديد الذى  
ينفخ الفهم فى النار ، وهو المهلك الذى خلق لإهلاك المشركين .

وبركة هذا النبى الكريم ، حصلت السعة لمكة ، وعظمت كعبتها كما لم  
يعظم معبد قط . فإن ما يحدث لها من التعظيم وتقديم القرابين كل عام لم يحدث  
مثله لبيت المقدس نفحه إلا مرتين :

إحداهما فى عهد ( سليمان ) عقب الفراغ من بناءه .

والثانية ، فى السنة الثامنة عشرة من سلطنة ( يوشا ) .

وسيقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله كما وعد الله بقوله  
( لا تخافى لأنك لا تحزنين ولا تحجلين ، لأنك لا تفتسمحين ، ) بقوله :

( وبرحمات عظيمة أجمعك ) و ( الرحمة ) الأبدية رحمتك ) ، ويقول :

( حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك ) ، ويقول ( رحمنى لا تزول  
هناك وعهد سلامى لا يتحرك ) .

وقوله ( وذرعك يرث الأمم ، ويمر المدن الخربة ) ، إشارة إلى امتداد

الإسلام وانتشار المسلمين حيث فتحوا الممالك وعمروا المدن الحربية وأقاموا دولة كبرى في اثنتين وعشرين سنة ، ولم يسمع مثل هذا الغلب العظيم في مثل تلك المدة القصيرة من عهد آدم إلى زمان محمد عليهما السلام .

وقوله ( كل إناء مجبول بضدك لا ينجح ) إشارة إلى سحق كل من أراد ( مكة ) بسوء ، وأبرز الشواهد على تحقيق هذا الوعد ما حدث لأصحاب الفيل .

#### البشارة العاشرة :

ورد في الإصحاح الخامس والستين من سفر ( أشعيا ) :

١ ( طلبنى الذين لم يسألونى قبل ، ووجدنى الذين لم يطلبونى قلت هاأنذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمى ) .

٢ ( بسطت يدى طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذى يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ) .

٣ ( الشعب الذى يهضبنى أمام وجهى دائماً الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على اللبن ) .

٤ ( الذين يسكنون فى القبور ، فى مساجد الآوثان يرقدون ، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس فى آيتهم ) .

٥ ( الذين يقولون أبعد عني لا تقرب مني لأنك نجس ، هؤلاء يكونون دخاناً فى رجوى منقذة طول النهار ) .

٦ ( ها مكتوب قدامى : لا أسكت بل أرد ، وأكفى جزاء فى حضنهم ) .

فالمراد بالذين لم يسألونى ، والذين لم يطلبونى ، هم العرب كما يذكر الشيخ (رحمته الله) لأنهم لم يكونوا واقفين على ذات الله وصفاته وشرايمه كما قال الله

(م ١٧ - قصة الأديان)

عنهم ، اقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته  
ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .  
والوصف المذكور في الآيتين الثانية والثالثة يصدق على كل من اليهود  
والنصارى ، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى ، كما  
أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود ، فردم الباري واختار الأمة  
المحمدية .

#### البشارة الحادية عشرة :

راى ( تبوخذا ناصر ) حلما مزعجا ثم نسيه ، وطلب إلى علمائه أن يقصوا  
عليه الحلم ويقولوه له ، فمجزوا عن ذلك ، ولكن ( دنياى ) النبى عرف قصة  
الحلم وتأويله بوحي من الله ، وورد الإخبار بذلك فى الإصحاح الثانى من سفره  
هكذا :

( أمت أيها الملك كنت ترى وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهى جدا  
وقف قبالتك ومنظره عاقل ، رأس هذا التمثال من ذهب أبريز ، والصدر  
والذراعان من فضة ، والبطن والفخذان من النحاس ، والساقان من حديد  
والقدمان قسم منهما من حديد وقسم منهما من خرف .

كنت تنظر إلى أن انقطع حجر من جبل بغير يدين وضرب التمثال على قدميه  
التين من حديد ومن خرف فسحقهما ، فانسحق حينئذ الحديد والخرف والنحاس  
والفضة والذهب وصارت كغبار البيدر فى الصيف فذرتها الريح ولم يوجد لها  
مكان ، والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلا عظيما وملا الأرض بأسرها ،  
فهذا هو الحلم ونبىء أيضا فدامك يا أيها الملك بتفسيره .

أنت هو ملك الملوك ، وإله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد وجميع  
ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طير السماء أيضا وجعل

جميع الأشياء تحت سلطانك - فأت هو الرأس من الذهب - وبعدك تقوم مملكتك  
أخرى أصغر منك من فضة ، ومملكتك ثالثة أخرى من نحاس وتسلط على جميع  
الأرض ، والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد كما أن الحديد يسحق ويغلب  
الجميع هكذا هو هي تسحق وتكسر جميع هذه .

وبما رأيت القدمين وأصابعهما فسمما من الخوف الفخارى ، وقسما من حديد  
فالمملكة مفترقة ، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطا  
بخرق الطين ، ولأنك رأيت أصابع القدمين قسما من حديد وقسما من خرف -  
فالمملكة تكون بقسم صلبة وبقسم مسحوقة .

وفيا رأيت الحديد مختلطا بخرق الطين ، فإنهم يختلطون بزرع بشرى ولكن  
لا يتلاصقون مثل ما أنه ليس يمكن أن يمتزج الحديد بالخرف ، فأما في أيام  
تلك الممالك يبعث إله السماء مملكتك وهي أن تنقضى فقط ، ومملكتها لا يعطى الهعب  
آخر ، وهي تسحق وتفتنى جميع هذه للممالك أجمعين ، وهي تثبت إلى الأبد .

لأنك رأيت أن من جبل انقطع حجر لا يدين وسحق الخرف والحديد  
والنحاس والفضة والذهب .

الله العظيم أظهر للملك ما سيأتى من بعد ، والحلم هو حقيق وتفسره صحيح) .

والنص السابق يتحدث عن أربع ممالك ، ثم عن مملكة خامسة تسحق الجميع .

والصبيح (رحمت الله) يرى - أن للمملكة الأولى هي مملكتك (نوبا نخذ  
ناصر) .

والثانية - هي مملكتك الماديين الذين تسلطوا بعد قتل (بيلهاصر) بن نبوخذ

ناصر .



والثالثة - ملك السكياتيين التى ابتدأت بحكم ( كورس ) ملك الفرس .

والرابعة - ملك ( الإسكندر ) الأكبر .

ثم يقول عن الخامسة : ( وولد فى عهد أنوشروان محمد بن عبد الله عليه السلام ، وأعطاه الله الساطة الظاهرة والباطنية ، وقد تسلط متعمده فى مدة قليلة شرقاً وغرباً على جميع ديار فرس التى كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها ، فهذه الساطة الأبدية التى لا تنقضى وما كمالها لا يعطى لشعب آخر ) .

هذه هى البشارات الإحدى عشرة التى استخلصها الفيخ ( رحمت الله ) من أسفار العهد القديم ، وهى تشير إلى ( محمد ) ودينه ، وأمنه وإشارات يحتاج الوقوف عليها إلى بعض الجهد ، ولكنها فى النهاية تؤكد معرفة أنبياء العهد القديم بمحمد وتبهرم به .

ولا بد أن أحبار بنى إسرائيل إبان ظهور الإسلام كانوا يعرفون شيئاً من هذه الإشارات ، ولكن الحق قد على النبى الجديد حملهم على كتمان ذلك عن الناس .

وقد نزل فى مؤلاء قوله تعالى : يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتمكثون الحق وأنتم تعلمون ، ، يقول ( ابن كثير ) فى تفسير هذه الآية :

( أى تمكثون ما فى كتبكم من صفة ( محمد صلى الله عليه وسلم ) وأنتم تعرفون ذلك وتستعقرونه ) (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ، الجزء الأول ، ص ٧٣

ثانيا - في العهد الجديد :

بشر ( عيسى عليه السلام قومه بنينا ﷺ باسمه وصفته وإلى ذلك الإشارة في قوله سبحانه :

« وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بهن يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، (١) .

ويذكر القساوسة - أن المبشر به في الإنجيل هو (قارفايط) أو (بيركيتوس) وأن الكلمة تعني باليونانية ( المعزى ) ، وقد سأل الديرنج ( عبد الوهاب النجار ) الهكتور ( كارلوناينو ) المستشرق الإيطالي عن معنى هذه الكلمة ، فأجابه بقوله ( إن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها المعزى ) ، فقال له : ( إن أسأل الهكتور ( كارلوناينو ) الحاصل على الهكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ، وليسف أسأل قسيسا ) .

فقال ( إن معناها - الذي له حمد كثير ) فسأله أيضا ( هل ذلك يوافق أفضل التفصيل من حمد ) فقال ( نعم ) (٢) .

وهل ذلك - يكون ما ورد في الأناجيل موافقا لما قرره القرآن الكريم في الآية السابقة .

ونعود الآن إلى مؤلف كتاب ( إظهار الحق ) لنقف على ما استخلصه من عبارات العهد الجديد وهي سبع بشارات نقصر في عرضها على ما يكون الفكرة العامة دون الدخول في التفاصيل .

ويستطيع القارئ أن يعود إليها في المرجع الأصلي ص ٥٣١

### البغارة الأولى :

جاء في رسالة ( يهوذا ) الحواري المسماة ( الخبر الذي تكلم به أخنوخ الرسول ) الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ :-

( الرب قد جاء في ربواته المقدسة ليدن الجميع ويبكت جميع المنافقين على كل أعمال نفقهم التي نافقوا فيها ، وعلى كل السلام الصنب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون ) .

وبنيه المؤلف قبل كل شيء على معنى كلمتي ( رب ، وقديس ، ومقدس ) في الأسفار المقدسة ، فالرب يصيح استعماله في معنى المعلم ، والمخدوم . ولفظ القديس ، أو المقدس يطلق في العهدين إطلاقاً شائعاً .

ويستفهم لذلك بما ورد في الأسفار .

ثم يقول ( إن المراد بالرب محمد ﷺ ، وبالربوات المقدسة الصحابة ، والتعبير عن مجيئه ( بقدر ) جاء لكونه أمراً يقينياً .

واقد جاء محمد ﷺ في ربواته المقدسة — فدان الكفار ، وبكت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق ، وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله ) .

### البغارة الثانية :

ورد في الإسحاج الثالث من إنجيل متى ( وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ) .

وقد نكرر التبشير بقرب ملكوت السموات في كلام ( عيسى ) عليه السلام وفي كلام الحواريين السبعين أيضاً ، والمؤلف يورد كثيراً من القواعد على ذلك ، ثم ينتهي إلى القول بأن ملكوت السموات ، أو ملكوت الله هو طريق النجاة الذي يقين ببعثة ( محمد ) ﷺ فإن ما يقبدر من النصوص - هو أن هذا الملكوت سيكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة ، وإن حرباً وجدالاً سيكونان من أجله مع المخالفين وأن أساس قوانينه لا بد وأن يكون كتاباً سماوياً ، وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية .

ويضعف المؤلف دعوى علماء المسيحية بأن المراد بملكوت السموات هنا عموم الملة المسيحية في جميع العالم بعد نزول المسيح - لأن كلام المسيح نفسه يدل على خلاف ذلك ، في الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متى قال مثلاً : ( يهبه ملكوت السموات لإنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله ) ثم قال ( يهبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله ) ، ثم قال ( يهبه ملكوت السموات خيرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكياس دقيقة حتى اختمر الجميع ) فحبه ملكوت السموات بإنسان زارع لا ينمو الزراعة وحصادها ، وكذلك شبهه بحبة خردل لا بصهرورها شجرة عظيمة ، وشبهه بغميرة لا باختنار جميع الحق .

بل لقد صرح ( عيسى عليه السلام ) بأن ملكوت السموات ينزع من أمته ليكون في أسرة أخرى ، فهو يقول : ( في الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متى : ( لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويمطى لامة تعمل أثماره ) كل هذا يؤكد أن الملكوت هو طريق النجاة الذي يتمثل في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

### البشارة الثالثة :

ترتبط هذه البشارة بالبشارة السابقة ارتباطاً قوياً ، فهي تقوم على أساس تعهده المسيح عليه السلام للملكوت الله بحبة الخردل .

فما دما قد أنهينا إلى أن هذا الملكوت - هو الشريعة المحمدية فلا بد أن نستنتج من التشبيه السابق أن هذه الشريعة تبدأ صغيرة كحبة الخردل ، ثم تنمو بسرعة ويعظم نموها كما أن حبة الخردل تصبح شجرة عظيمة ، فهي إذن بشارة ببلوغ الشريعة المحمدية غاية تمامها واكتمالها .

### البشارة الرابعة :

ورد في الإصحاح العشرين من إنجيل متى : ( فإن ما يكوّن السموات بهبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه ، فاتفق مع العملة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج هو نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطاكم ما يحق لكم فوضوا ، وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك ، ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين فقال لهم لماذا وقفتم هنا كل النهار بطالين ، قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد ، قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطيهم الأجر مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشر وأخذوا ديناراً ديناراً ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم ديناراً ديناراً ، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساوهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمناك ، أما اتفقت معي على دينار ، فخذ

الذى لك وأذمب فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك ، أو ما يحل لي أن  
أفعل ما أريد بما لي أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ، هكذا يكون الآخرون أولي  
والأولون آخريين لأن كثيرين يدعون ، وفلايين ينتخبون ) .

فالاخرون -- م أمة ( محمد ) ﷺ آثرهم الله بأعظم الاجر وأعلى الدرجات  
على الرغم من تأخر زمانهم ، وهذا هو ما أشار إليه النبي الكريم حين قال :  
( نحن الآخرون السابقون ) ، وقال : إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى  
أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمي ) .

#### البهارة الخامسة :

جاء في الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى : ( اسمعوا مثلاً آخر كان  
لإنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه  
إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار - أرسل عبده إلى الكرامين  
فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجعوا بعضاً ، ثم أرسل  
أيضاً عبداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، فأخبرها أرسل إليهم  
ابنه قائلاً يا بنون ابنى ، وأما الكرامون - فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا  
هو الوارث - فلم يقتلوه ونأخذ مهراته فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ،  
فتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له أولئك الأعداء  
يهلككم لإهلاكك ردباً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها ،  
قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتاب الحجر الذى رفضه البنائون هو قد  
صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ؟ ، لذلك - أقول  
لكم : أن ما سكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره ، ومن سقط على  
هذا الحجر يترفض ، ومن سقط هو عليه يصحقه ) .

ويأخذ الشيخ (رحمت الله) في استخراج ما يتضمنه النص من الكتابات واستخلاص ما ينطوى عليه من البشارة بمحمد ﷺ ، وأمثه .

فرب البيت - كناية عن الله ، والكرم - كناية عن الشريعة ، وأحاطته بسياج وحفر معصرة فيه - وبناء برج - كناية عن بيان الحرامات والمباحات والأوامر والنواهي ، والكرامون الطاغون - كناية عن اليربود ، والعبيد المرسلون - كناية عن الأنبياء عليهم السلام ، والابن - كناية عن ( عيسى عليه السلام ) والحجر الذي رفضه البناءون - كناية عن ( محمد ﷺ ) والامة التي تعمل أثماره - كناية عن الامة المحمدية ، وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه ترصص وكل من سقط هو عليه سحقه .

#### البشارة السادسة :

ورد في الاصحاح الثاني من سفر الرؤيا ليوحنا :

( ومن يغلب ويحفظ أعمالاً للنهاية - فسأعطيه سلطاناً على الأمم فيرغام بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أيضاً من عند أبي وأعطيه كركب الصبح من له أذن فليسمع ما يقوله الروح بالكائنات ) .

يقول الشيخ (رحمت الله) تعليقاً على هذا النص :

( فهذا الغالب الذي أعطاه سلطاناً على الأمم - ويرغام بقضيب من حديد - هو محمد ﷺ كما قال الله في حقّه ، وينصرك الله نصراً عزيزاً ) .

إلى أن يقول : ( وكركب الصبح - عبارة عن القرآن الكريم ، قال الله تعالى في سورة النساء ، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ، وفي سورة التغابن ، فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ) .

### البشارة السابعة :

هذه هي البشارة الأخيرة من البشارات السبع التي استخلصها صاحب كتاب  
( إظهار الحق ) من العهد الجديد .

وتقوم هذه البشارة على أساس ماورد في إنجيل ( يوحنا ) الترجمة العربية  
سنة ١٨٢١ ، سنة ١٨٣١ . سنة ١٨٤٤ في ( لندن ) من التبشير بالفارقليط  
وقد سبقت الإشارة إلى معناه .

وأقوى شاهد عرضه المؤلف - ماورد في الإصحاح السادس عشر من قول  
المسيح عليه السلام : ( لكنى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق ، لأنى إن  
لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء ذاك ،  
فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم ) إلى أن يقول : ( وإذا جاء روح  
الحق ذاك - فهو يعلمكم جميع الحق - لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم  
بكل ما يسمع ويخبركم بما سأتى ، وهو يمجدىنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم  
بجميع ما هو للآب فهو لى ، فن أجل هذا قلت إن ما هو لى يأخذ ويخبركم ) .

والنص واضح المبارات - قوى الدلالة على ما أراده المؤلف لأسباب إذا  
لاحظنا ما مهدنا به لبشارات العهد الجديد .

ولقد وجد المنصفون من النصارى فى ثنايا أناجيلهم ورسائلهم ما يحملهم  
حلا على قبول الإسلام والإذعان لرسوله .

وإذا كنا لا نزال نذكر قصة إسلام (عبد الله بن سلام) كعبر من أحبار  
اليهود عرف الحق - فسارع باتباعه - فلا بد أن أشهر هنا إلى قصة إسلام  
( الجارود بن العلاء ) كما لم من علماء النصارى تبين الطريق - فحرم عليه .

فقد جاء ( الجارود ) إلى رسول الله ﷺ فقال : ( والله لقد جئت بالحق ،



ونطقك بالصدق ، والذي بشك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الإنجيل ،  
ويشرك بك ابن البتول ، فطاول التحية لك والهكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين  
ولا شك بعد يقين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،  
ثم آمن قومه (١) .

وعلى الرغم من وضوح القواعد وكثرة البشارات التي تؤكد نبوة ( محمد ) ﷺ  
والتي لا تزال قائمة إلى اليوم بين أسفار العهد القديم والعهد الجديد فإن  
المكابرين من اليهود والنصارى يرفضون الاعتراف بها والإذعان لها .

ولا بد أن نضج في الاعتبار - أن الاحبار المعاصرين لصدر الإسلام قد  
تناهى إليهم أمر الآيات القرآنية التي تفيد ورود الحديث عن ( محمد ) ﷺ في  
التوراة والإنجيل من نحو قوله سبحانه : الذين يقبلون الرسول النبي الأمي الذي  
يجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فلم يتصد لمعارضتها أحد ، ولو لم  
يكن لهذا الحديث ورود في التوراة والإنجيل لسارع الاحبار بتكذيب القرآن  
والسخرية من محمد وهي فرصة مناسبة تماماً لهدم نفوسهم المريضة وإراحة قلوبهم  
الحاقدة ولن يكلفهم ذلك أكثر من إثبات خلو التوراة والإنجيل مما نسبته إليهما  
القرآن .

وهكذا يصير القرآن الكريم نفسه بجملة مؤكدة لبشارات المكنايين  
السابقين بنبي الإسلام ﷺ .

وفي ذلك يقول ( أبو الحسن أحمد بن الحسين الزيدى ) : بعد أن ذكر الآيات  
التي تفيد تبهير التوراة والإنجيل بالنبي الخاتم ( محمد ) ﷺ : فلو لم تكن  
هذه الآيات من عند الله عز وجل ، ولو لم يكن اسمه مكتوباً في كتبهم ولم يكن

أخبارهم عالمين بذلك . لم يكن ﷺ وعلى آله يورد عليهم ذلك لأنه لا يريدون إلا نفاراً عنه وتحققاً لقوله حاشاه من ذلك (١) .

على أن بنى إسرائيل قد يسلون بصحة ما ورد في كتبهم من النبي الخاتم ويرفضون في الوقت نفسه أن يكون ( محمد ) ﷺ هو هذا النبي الذي تحدثت عنه الأسفار المقدسة ، بل هو نبي لم يأت زمانه بعد .

يورد الشيخ ( أبو الحسن الزيدى ) هذا الإشكال ويرد عليه فيقول : ( فإن قيل : هذا الذي حكىته من كتب الأنبياء - صلوات الله عليهم - صحيح ، وهذه الصفات موجودة في تلك الكتب ، إلا أن الموصوف بها لم يجرى بعد بته .

قيل له : أرأيتم إن جاء من تدعونه ، ثم أنكره منكر ما يكون برمانكم عليه ؟

فإن قيل : إذا جاء أنى بالمعجزات ، فهما قالوا في ذلك فهو جوابنا .

ثم يقال لهم : إذا من أتى من توجد فيه الأوصاف المذكورة فيجب أن نعلم أنه هو الذى بشرت به الأنبياء - صلوات الله عليهم - لأنه لا يجوز أن يعرفنا نبي من الأنبياء أنه يأتيكم رجل حاله كذا وصفته كذا .

فإذا أتاكم فافعلوا به كذا من تصديق أو تكذيب ثم يأتينا رجل بتلك الصفة ولا يكون هو مراداً بذلك الخبر بل يكون المراد غده والمقصود سواء لأنه لو كان ذلك كذلك كان ضرباً من التلبيس ويجب أن يمنع الله من رجل منه (٢) .

(١) لإثبات نبوة النبي ، ص ١٦٧ .

(٢) لإثبات نبوة النبي ، ص ١٦٨ .

والذى يمكننا أن نخلص إليه فى النهاية - هو أن أحبار بنى إسرائيل قد عرفوا  
مضمون البشارات التى أنطوت عليها أسفار المهدىين ولكنهم وقفوا من النبى  
ﷺ موقفين مختلفين .

ففرىق لم يسمهم إلا الإيماى به والإذعان له امتثالاً لما عندهم من العلم .  
وفرىق آخر منهم حمىهم الحق على التكذيب - فنادىوا النبى ﷺ للعداء  
منجاهلين ما فى كتبهم المقدسة من البشائر والنبوءات .  
وبشعر القرآن الكريم إلى هؤلاء المكابرين السفهاء فىقول :

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فرىق من الذين أوتوا  
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعبدون ، (١) » .

## المبحث الثاني

### قضية التحريف

أنزل الله الكتب السماوية على بنى إسرائيل ترسم لهم أقوم السبل وأهداها وتأخذ بأيديهم إلى أشرف الغايات وأسمها نورا يبدد في أنفسهم ظلمات الجهلة ويحدد في مسيرتهم معالم الطريق ( د وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ، (١) .

د لنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أحلوا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، (٢) .

وكان حرياً ببنى إسرائيل أن يلتزموا اتجاه هذه الكتب بما ينبغي لها من الرقابة والتقدير عرفانا بفضل الله عليهم واستبقاء لنعته فيهم ، بل قل كان حرياً بهم أن يجنوا ثمار هذه الهداية الربانية سموا في أخلاقهم ، ورشاداً في سلوكهم ، وصواباً في تصورهم الأمور وحكمهم على الأشياء . ولكن هذا لم يحدث ، وإنما الذى حدث هو - أنهم تجرأوا على هذه الكتب فجرت أيديهم فيها بالتحريف والتزييف مسيرة لأهوائهم الطائشة وتحقيقاً لمنافعهم القريبة .

---

(١) آل عمران ، ٢

(٢) المائدة ، الآية ٤٤

وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فضعها ابنى إسرائيل الذين لا يفتأون يباهون الأمم بأنهم أهل الكتاب .

يقول سبحانه : « أفنظلمون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، (١) .

ثم يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ، (٢) .

ويقول أيضا : « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، (٣) .

ويقول جل شأنه : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ، (٤) .

ويقول : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، (٥) .

ويقول سبحانه : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، (٦) .

ويقول تبارك وتعالى : « وما فدرؤا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على

---

(١) البقرة ، الآية ٧٥

(٢) البقرة ، ٧٩

(٣) آل عمران ، ٧٨

(٤) نفس السورة ، ١٨٧

(٥) النساء ، ٤٦

(٦) المائدة ، ١٣

بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون ، (١) .

والذي يقبهن من هذه الإشارات القرآنية ومن تتبع أحوال علماء بنى إسرائيل أيضا ، أن ما يهمهم على تحريف كتبهم إما الرغبة في تحقيق كسب مادي سريع وهو ما أشرنا إليه في حديثنا عن الفرق اليهودية والمسيحية .

ولما لارضاء ميل نفسى غير مشروع كإباحة مرغوب تحرمه الكتب المقدسة ، أو كتمان حقيقة مزعجة تعيق في ثغايا هذه الكتب ، ومن شواهد هذا ، أمر التبشير بنينا محمد ﷺ .

ويعترف المسلمون بروحى من دينهم بثلاثة كتب سماوية نزلت لبنى إسرائيل وهي :

١ - التوراة التى أنزلها الله على ( موسى ) عليه السلام متضمنة أحكام الشريعة بالتفصيل .

- ٢ - الإنجيل ، وقد نزل على ( عيسى ) عليه السلام كما قال تعالى :  
« ثم قمنا على آثارهم برسلانا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل » ، (٢) .  
٣ - الزبور ، وقد نزل على ( داود ) عليه السلام كما قال سبحانه :  
« واقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً » ، (٣) .

- 
- (١) الأنعام ، الآية ٩١  
(٢) سورة الحديد ، الآية ٢٧  
(٣) الإسراء ، ٥٥

( م ١٨ - قصة الأديان )

وبما أن الإنجيل ليس له وجود الآن ، فإن من يتصدى لإثبات التحريف من المسلمين يكفيه أن يكلف عما في التوراة والابور من ذلك ، وغنى عن البيان أن من مجاسروا على التحريف في كتابين منزليين وإضاعة كتاب ثالث لا يبعد أن يعرفوا كتباً أخرى ، ومع ذلك - فإن الباحثين المسلمين لم يكتبوا بإثبات التحريف في هذين الكتابين ، وإنما تناولوا بالدراسة أسفار المهدين القديم والجديد ، واستطاعوا أن يظفروا بقواعد التحريف في أسفار المهدين على السواء .

ولعل أم من اشتغلوا بإثبات قضية التحريف من هؤلاء الباحثين (إن حزم) الاندلسي لإمام أهل الظاهر في كتابه (الفصل) والشيخ (رحمته الله الهندي) صاحب كتاب (إظهار الحق) .

ونحاول الآن أن نلقى الضوء على صور التحريف وشواهد في كل من المهدين القديم والجديد .

### (أولاً) في العهد القديم :

يقسم الشيخ (رحمته الله) التحريف اللفظي إلى ثلاثة أقسام :

لأحدهما - التحريف بالتبديل أي بوضع لفظ مكان لفظ .

والثاني - التحريف بالزيادة أي بزيادة لفظ أو عبارة في بعض النسخ أو في بعض الترجمات .

والقسم الثالث من أقسام التحريف اللفظي - هو التحريف بالانقصان أي بإسقاط لفظ أو أكثر في بعض الترجمات .

وقد قلن الشيخ بين الأصول الثلاثة للتوراة (العبري والسامري واليوناني)

كما قارن بين الترجمات المختلفة والطبعات المتعددة للعهد القديم مستأنساً بكلام الشراح والمفسرين ، واستطاع أن يظفر بعشرات العواهد للتحريف بأقسامه الثلاثة ، ويمكنني أكتفى هنا بعرض ثلاثة شواهد فقط لكل قسم ، وذلك على سبيل المثال .

### القسم الأول :

#### التحريف بالتبديل :

عرفنا أن التحريف بالتبديل هو وضع لفظ مكان لفظ آخر ، وقد شاع هذا اللون من التحريف في التوراة وفي سائر أسفار العهد القديم كما سيأتي من العواهد التالية .

الشاهد الأول : في الإصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية الآية الرابعة النسخة العبرانية ( فإذا عبرتم الأردن فأنصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تفهيداً ) .

وفي النسخة السامرية ( فأنصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم ) وعيبال ، وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآيتين الثانية عشرة ، والثالثة عشرة من هذا الإصحاح ، ومن الآية التاسعة والعشرين من الإصحاح الحادى عشر من هذا السفر .

فالنسخة العبرانية تفيد - أن ( موسى ) عليه السلام قد أمر ببناء الهيكل في جبل ( عيبال ) ، بينما تفيد النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل ( جرزيم ) .

وبين اليهود العبرانيين والسامريين نزاع مפורح حول هذه النقطة حيث تدعى كل طائفة أن الآخرين قد حرفوا في التوراة .



وكذلك — وقع الخلاف بين البروتستانت حول نفس النقطة ، فالحقق ( كنيكات ) يدعى صحة السامرية ، والمحققان ( باري ) و ( درشيور ) يدعيان صحة العبرانية .

ويرى ( آدم كلارك ) استقامة رأى السامريين فإن جبل ( جرزيم ) ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة ، و ( عيبال ) جبل يابس لا شيء عليه من هذه الاشياء ، ومن ثم يكون الجبل الاول مناسباً لإسماع البركة ، والثاني لمن<sup>(١)</sup> .

الشاهد الثاني : في الإصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين النسخة العبرانية : ( ونظر بشراً في الحقل وثلاثة فطمان وغنم رابضة عندما لأن من تلك البئر كانت تشرب الغنم وكان حجر عظيم على فم البئر فقالوا ما نستطيع حتى نجمع الماشية ) .

ففي الآية الثانية والثامنة وقع لفظ فطمان غنم ولفظ الماشية ، والصحيح لفظ الرعاة كما في النسخة السامرية واليونانية والترجمة العربية لـ ( والتن )<sup>(٢)</sup> .

الشاهد الثالث : أن الزمان من خلق آدم عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ . وعلى وفق اليونانية — ألفان وستتان واثنتان وستون سنة ٢٢٦٢ ، وعلى وفق السامرية — ألف وثلاثمائة وسبع سنين ١٣٠٧<sup>(٣)</sup> .

---

(١) إظهار الحق ص ٢٠٩ .

(٢) إظهار الحق ص ٢١٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٦ .

وقد وقع مثل هذا الخلط في تقدير الفترة من الطوفان إلى ولادة ( إبراهيم ) عليه السلام .

### القسم الثاني :

#### التعريف بالزيادة :

أحصى الشيخ ( رحمت الله ) ستة وعشرين شاهداً للتعريف بالزيادة في العهد القديم نكتفي منها بالشواهد التالية :

العاهد الأول : الآية الحادية والثلاثون من الإصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين ( وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلدا ملك ملك لبنى إسرائيل ) .

ولا بد أن تكون هذه الآية قد كتبت بعد وفاة ( موسى عليه السلام بعد طوبل إذ هي تتحدث عن ملكة قائمة لبنى إسرائيل . ومن المعروف تاريخياً — أن أول ملك لبنى إسرائيل هو ( شاول ) ؛ وأنه كان بعد ( موسى ) بثلاث مائة وست وخمسين سنة .

العاهد الثاني : تقول الآية السابعة من الإصحاح السابع عشر من سفر القضاة ( وكان غلام من عشيرة يهوذا وهو لاوى متغرب هناك ) ؛ ولا يعقل أن يكون من يهوذا ويكون في نفس الوقت لاويا — لأن سبط ( يهوذا ) غير سبط اللاويين فيظهر أن عبارة ( وهو لاوى ) عبارة مزيدة .

العاهد الثالث . في الآية التاسعة عشرة من الإصحاح السادس من سفر صموئيل الأول : ( وأهلك الرب أمل بنفسهم لأنهم فتحوا صندوق الرب ورأوه — فأهلك منهم خمسين ألفاً وسبعين إنساناً ) .

وقد استبعد ( آدم كلارك ) أن يصل العدد إلى هذا الحد — إذ لا يمكن أن  
تسع قرية صغيرة لأكثر من خمسين ألفاً يعملون بالزراعة ، وأن يروا جميعاً  
الصندوق دفعة واحدة — ولهذا فقد رجح أن يكون لفظ ( خمسين ألفاً ) مزيداً  
وهو مأمال إليه ( يوسفوس ) الذي حدد عدد الهالكين بسبعين إنساناً  
فقط (١) .

### القسم الثالث :

#### التعريف بالنقصان :

أورد صاحب ( إظهار الحق ) خمسة عشر شاهداً للتعريف بالنقصان فنقتار  
منها ما يأتي :

العهود الأول: الآية الثانية عشرة من الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين :  
( وقيل له أهلك علماً أن نسلك سيكون ساكناً في غير أرضهم ويستعبدونهم  
ويضيقون عليهم أربعمئة سنة ) .

ويدل السياق على أن المقصود بالذين يستعبدونهم ويضيقون عليهم — هم  
أهل مصر ، وتقول الآية الأربعون من الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج :  
( فسكان جميع ما سكن بنو إسرائيل في أرض مصر أربعمئة وثلاثين  
سنة ) ، فبين الآيتين اختلاف ، فإما أسقط من الآية الأولى لفظ ثلاثين ، وإما  
زيد في الثانية (٢) .

---

(١) إظهار الحق ص ٢٣١ .

(٢) إظهار الحق ص ٢٤٣ .

#### العاهد الثاني :

وقع بعد الآية الثالثة من الزبور الرابع عشر من الترجمة اللاتينية هذه العبارة ( حلقوهم قبر مفتوح وهم يندرون بالسنةم وسم الثماين تحت شفاهم وأفواههم مملوءة من اللبن والمرورة وأفدامهم مسرعة اسفك الدم والتملسك والعقاء في طريقهم ولم يعرفوا طريق السلامة وخوف الله ليس بهوجود أمام أعينهم ) ولا توجد هذه العبارة في النسخة العبرانية (١) .

#### العاهد الثالث :

الآية الخامسة من الإصحاح الأربعين من سفر ( أشعيا ) تقول حسب النسخة العبرانية : ( فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم ) وفي الترجمة اليونانية هكذا :

( ويظهر جلال الرب ويرى كل بشر معاً نجاه إلهنا لأن فم الرب قاله ) فعبارة ( نجاه إلهنا ) ساقطة في النسخة العبرانية (٢) .

هذه هي أقسام التحريف اللفظي كما وقع في أسفار العهد القديم ، ويلاحظ أن كلا من هذه الأقسام لا يتضح إلا بالمقارنة بين نسختين مختلفتين ، وأن تسمية نوع التحريف قد تكون من الأمور النسبية ، فقد يسمى التحريف تحريفاً بالزيادة بالنسبة إلى نسخة ما ، ويسمى في نفس الوقت تحريفاً بالنقصان بالنسبة إلى نسخة أخرى وتكون التسميتان صحيحتين .

على أن أمر التحريف لم يقف عند مجرد وضع لفظ مكان آخر ، ولا عند

---

(١) اظهار الحق ص ٢٤٨ .

عبارة تسقط هنا وتلبث هناك - وذلك في حد ذاته لثم عظيم ... ولأنا نجد أسفاراً كاملة تحوم حولها الشكوك والغمبات يترف بها بنو إسرائيل أحياناً - فيعتبرونها من جملة أسفار العهد القديم، وينكرونها أحياناً فيسقطونها من حسابهم ويستبعدونها من أسفارهم المقدسة .

وقد سبقت الإشارة في الحديث عن مصادر الفكر اليهودي إلى وقسوع الخلاف حول عدد أسفار العهد القديم ، وأن الأمر قد استقر على اعتبار تسعة وثلاثين سفرًا من مجموع الأسفار التي كانت معروفة آنذاك وهي ستة وأربعون سفرًا .

ويعطينا الشيخ (رحمته الله) الهندي بعض التفصيل حول موضوع اعتبار الأسفار من العهد القديم أو إسقاطها منه وفقاً لقرارات خاصة تصدرها المجالس الدينية ، وأنا هنا - أقدم تلخيصاً لما قاله في الموضوع :

حاتم الشكوك حول ثمانية أسفار من العهد القديم هي :

- ١ - سفر أستير :
- ٢ - سفر باروخ .
- ٣ - سفر طوبيا .
- ٤ - سفر يهوديث .
- ٥ - سفر وزدم .
- ٦ - سفر ايكليزياستيكس .
- ٧ - السفر الأول للمكابيين .
- ٨ - السفر الثاني للمكابيين .

وفي سنة ٢٢٠ م انعقد مجلس دنى برئاسة السلطان ( قسطنطين ) للتفاوض حول هذه الاسفار ، وقد انتهى المجلس إلى إقرار سفر يهوديت وبقيت الاسفار السبعة الاخرى مذكورة فيها .

وفي سنة ٢٦٤ م انعقد مجلس دنى آخر سلم بصحة سفر ( استير ) .  
( وفي سنة / ٢٩٠ م انعقد مجلس ثالث - فأقر صحة الاسفار الباقية غير انه اعتبر سفر باروخ جزءا من سفر أرميا . - لأن ( باروخ ) عليه السلام كان بمنزلة نائب لأرميا .

ولم تزل هذه الاسفار مسلبة - إلى أن حدثت ثورة البروتستانت الذين استبعدوها ثانية من العهد القديم فيما عدا بضعة إصحاحات من سفر ( استير )<sup>(١)</sup>  
بل أن أسفار التوراة نفسها لم يتصل سندها إلى ( موسى ) عليه السلام ولاصح تواترها عنه .

وتؤكد أحداث التاريخ - أن بنى إسرائيل قد أوتدوا ثم آمنوا بعد وفاة ( موسى ) عدة مرات ، وأنهم تعرضوا لكثير من ألوان القمع والاضطهاد ، وأن أسفار التوراة قد ضاعت في خضم هذه الأحداث ، ثم أعاد كتابتها لهم ( عزرا ) في القرن الأول الميلادى ، أو في القرن الأول قبل الميلاد .

وبنو إسرائيل يعتبرون ( عزرا ) من أنبيائهم ، ويقررون أن الله ألهم هذه الاسفار فكتبها بعد أن كان الجميع قد نسوها ، كما كتب لهم أيضاً سفرى أخبار الأيام الأول والثانى بمساعدة ( حجي ) و ( زكريا ) عليه السلام<sup>(٢)</sup> .

---

(١) اظهار الحق - ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر - ٨٤ .

وبينا يعتبر الشيخ (رحمته الله الهندي) (عزرا) من أنبياء بنى إسرائيل الـ  
ويقرن اسمه بعبارة (عليه السلام) - نجد لابن حزم موقفا آخر يختلف تماما  
عن هذا الموقف .

فمزرا عنده ليس أكثر من وراق أفاق وفق أسفار التوراة تعليقاً وزيف  
ما فيها من عقائد وشرايع .

يقول (ابن حزم) في تعليقه على أحد نصوص التوراة :

(وأمري لو ضل بتصديق هذا الموهوس الفاجر واحد واثان لكان عجباً  
فكيف أن يضل به عالم عظيم وجيل بعد جيل منذ أزيد من ألف وخمسمائة عام  
مد كتب لهم عزرا الوراق هذا السمغام الذي أضلهم به ؟) (١) .

وقد ترتبت على تحريف التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم أمور كثيرة  
أهمها :

١ - وقوع التعارض والتضارب بين هذه الأسفار ، بل بين إصحاحات  
ال سفر الواحد أحياناً في الحديث عن المسألة الواحدة .

٢ - مجازاة الحقيقة الدينية أو الابتعاد عن روح الدين ويبدو هذا واضحاً في  
الحديث عن الذات الإلهية وعرض أحوال الأنبياء عليهم السلام .

٣ - التورط في الأخطاء العلمية الجسيمة لا سيما إذا تعلق الأمر بالتواريخ  
والأرقام ، ذلك لأن الأسفار تميل غالباً إلى ذكر التفاصيل المملة وتحرص على تحديد  
تواريخ الأحداث وأماكن وقوعها وتصنيف الأشياء وحصر أعدادها ثم يقع

الخلط والتفويض وغائلة ما ينتهي إليه العلم من حقائق وما تسفر عنه الكهوف من نتائج الامر الذي يشكك في قداسة هذه الاسفار ويؤكد أنها من وضع أناس يتأزون بقلة الورع وسوء الضبط ونقص الدراية .

ونكتفي بمرصر ثلاثة شواهد لهذا النوع من الأخطاء .

#### الشاهد الاول :

يتعلق بتحديد عمر ( موسى ) عليه السلام -- فقد ذكرت التوراة أنه خرج من مصر وهو ابن ثمانين سنة ، ثم كانت فترة التيه التي استمرت أربعين سنة بعد سنة وشهر من مغادرة مصر ، فلما أنهت فترة التيه - استعاد بنو اسرائيل قوتهم بقيادة ( موسى ) عليه السلام - فحاربوا ملوكا وأخذوا أرضا وبسطوا أيديهم على بعض البلاد ، ثم مات ( موسى ) عليه السلام وهو ابن مائة وعشرين سنة .

ويعلق ابن حزم ، على ذلك - فيقول :

« هذا كذب فاحش ، وقد قلنا إن الذي عمل لهم التوراة للتي بأيديهم كان قليل العلم بالحساب ثقیل اليد فيه جدا ، أو عيارا ما جئنا مستخفا لا دين له سخر منهم بأمثال الثيوس والحميز ، لأنه إذا خرج وله ثمانون سنة وبقي بعد خروجه سنة وشهرا ، ثم تاهوا أربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكا عدة وقتلوهم وأخذوا بلادهم وأموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة أكثر من سنة ولا بد ، والأغلب أنهما سنتان زائدتان فكذب في سن موسى إذ مات ، أو كذب الوعد الذي أخبر منه الله تعالى بتيهم أربعين سنة ، حاشي



فه تعالى أن يكذب أو أن يغلط في دقيقة أو أقل ، وحاش لبيبه ﷺ من مثل ذلك وصح أنها مولدة موضوعة ، (١) .

#### القاعد الثاني :

يتعلق بعدد بنى إسرائيل الخارجين مع ( موسى ) عليه السلام من مصر ، فقد حدد سفر العدد في أول إصحاحاته عدد القادرين على القتال منهم من بلغوا سن العشرين فصاعداً بست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين مقاتلاً ٦٠٣٥٥٠ ، هذا عدد النساء والأطفال والقيوخ والمرضى ممن لا يستطيعون قتالاً ولا يقدرّون على حمل السلاح مع ملاحظة أن كل هذه الأعداد الرهيبة هم أحفاد سبعين فقط من بنى إسرائيل دخلوا مصر وأقاموا بها على عهد ( يوسف ) عليه السلام .

وعليّنا أن نفترض بعد ذلك اتساع الأرض المقدسة - وهي بقعة محدودة جداً - لكل هذا الطوفان البشرى إن لم نفترض أضاف هذه الأعداد تبعاً لمعدلات هذا التكاثر المريع .

يقول ( ابن حزم ) معلقاً على ذلك في سخريته المعهودة :

( فاجبروا لهذا الكذب المفضوح وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعداً خاصة أزيد من ستمائة ألف فأين من دون العشرين ؟ وأين النساء ؟ وبشكل برعهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها ، واعلموا أنه لا يمكن البتة أن تكون في المساحة المذكورة على أن تكون مساحة كل قرية ميلاف ميل مزارعها ومشاجرها

إلا ستة آلاف قرية وممتنا قرية ، هذا على أن يكون جميع العمل المذكور محررا متصلا لا مرج فيه ولا شجر ولا أرض مهيجرة لا تعمر ولا أرض مرملة كذلك ولا سبخة ملح كذلك ، وهذا محال أن يكون .

فعلى هذا يكون يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل أو نحو ذلك سوى من هو دون العشرين بينهم ، وسوى النساء ؛ ولأسييل ألبته على هذا أن يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لا خفاء به ، أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول الله تعالى حاكيا عن فرعون أنه قال إذ تبع بنى إسرائيل : « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » (١) .

#### المعاهد الثالث :

يتعلق بعمر الإنسان على الأرض .

فقد تحدث سفر التكوين عن خلق الإنسان ونسب أعمار الأشخاص من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام .

وقد استنبط مفسروا التوراة بالرجوع إلى نسخها الثلاث — أن أقصى ما يمكن أن يقال في تقدير عمر الإنسان من آدم إلى ميلاد المسيح — هو ٥٥٨٩ سنة .

وقد أثبت علماء الآثار منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي — أن الآثار المصرية ترجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، وظل الصراع قائماً بين هؤلاء العلماء وبين رجال الكنيسة الذين يؤكدون صدق التوراة إلى حوالي سنة ١٨٨٠ حيث

اضطر رجال الكنيسة إلى تأويل نصوص التوراة بحيث لا تتعارض مع نتائج  
الكشوف الأثرية المتلاحقة .

وفي السنوات الأخيرة - تبين للعالم من خلال الدراسات العلمية الجادة وعمليات  
الحفر والتنقيب والتحليل والمقارنة أن عمر الإنسان على الأرض إنما يقاس بمئات  
الآلاف من السنين وربما أكثر على خلاف ما كان يؤكد شراح التوراة ورجال  
الكنهنوت .

ولا يمكن أن تعزى هذه الأخطاء إلى الكتاب الذي نزل على ( موسى ) عليه  
السلام من السماء ، بل لابد أن تكون هذه الأخطاء دليلاً قوياً على ما لحق  
بالتوراة من تزيف الكهنة وتحريف الرواة .

وقس على ذلك بقية أسفار العهد القديم على فرض صحة إسنادها إلى السماء  
أو نسبتها إلى الأنبياء .

وننتقل الآن إلى الحديث عن التحريف في العهد الجديد .

#### ثانياً :

##### في العهد الجديد :

وقع التحريف في العهد الجديد ، وذلك بأقسامه الثلاثة التي مر بيانها في  
العهد القديم .

وقد ساق الشيخ ( رحمت الله الهندي ) شواهد هذه الأقسام على نحو ما صنع  
في إثبات التحريف في العهد العتيق كما يفضل هو أن يطلق عليه .

بيد أننا نلاحظ - أن الشواهد هذه المرة قليلة جداً بالقياس إلى الشواهد التي  
تصيدها الشيخ من أسفار العهد القديم .

وربما كما — منشأ ذلك - هو كثرة أسفار هذا العهد وتنوعها ، وانطواء الاسفار الخمسة الاولى منها على كثير من العقائد والشرائع والتعاليم الاخلاقية .

ولا ننسى أيضا طول الفترة الزمنية التي تغطيها هذه الاسفار وما جد فيها لبنى إسرائيل من التحولات الهائلة ووقع لاجيالهم خلالها من الاحداث الجسام ، كل هذا جعل المجال أكثر مناسبة لمحاولات التزييف والتحريف .

ونختار الآن الشواهد الخاصة بأقسام التحريف اللفظي في العهد الجديد على نحو ما فعلنا من قبل .

### القسم الاول :

#### التحريف بالتبديل :

#### الشاهد الاول :

في الآية الثامنة والعشرين من الإصحاح العشرين من سفر أعمال الرسل .  
( انزعروا كنيسة الله التي ابنتها بدمه ) ، ولفظ ( الله ) غلط ، والصحيح لفظ ( الرب ) .

#### الشاهد الثاني :

في الآية الثالثة عشرة من سفر الرؤيا . ( ثم نظرت وسمعت ملكا طائرا ) ، ولفظ ( الملك ) غلط ، والصحيح لفظ العقاب .

#### الشاهد الثالث :

في الآية الحادية والعشرين من الإصحاح الخامس من رسالة بولس إلى أهل

أفسوس . ( ولا يخضع بعض لبعض لخوف الله ) ، ولفظ ( الله ) غلط والصحيح لفظ ( المسيح )<sup>(١)</sup> .

### القسم الثاني :

#### التعريف بالريادة :

#### الشاهد الأول :

الآية الثالثة من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى تقول .  
( فإن هرودوس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من أجل  
هيروديا امرأة فيلبس أخيه ) .

وتغير إلى هذه الواقعة بنفس الاسماء المذكورة كل من الآية السابعة عشرة  
من الإصحاح السادس من إنجيل مرقس والآية التاسعة عشرة من الإصحاح  
الثالث من إنجيل لوقا ، ولفظ ( فيلبس ) غلط يقينا في الاناجيل الثلاثة إذ لم  
يُلبث في كتاب من كتب التاريخ أن اسم زوج ( هيروديا ) كان ( فيلبس ) ، بل  
ذكر أن اسمه كان ( هرودس أيضا ) ، وقد اعترف ( هورن ) بخطأ الاناجيل  
الثلاثة في ذلك ولكنه عزا هذا الخطأ إلى الكتّابين<sup>(٢)</sup> .

#### الشاهد الثاني :

تقول الآية التاسعة من الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى . ( وحينئذ  
كل قول النبي أرميا . حيث قال فقبضوا الدراهم الثلاثين ثمن المثلث الذي ثمنه بنو

---

(١) اظهر الحق ، ص ٢٢٠ .

(٢) اظهر الحق ، ص ٢٢٣ .

لإسرائيل ) . وانظر أرمياء مزيد في هذه الآية إذ لم يرد هذا القول ولا مضمونه في سفر ( أرمياء )<sup>(١)</sup> .

#### الشاهد الثالث :

ورد في الآيتين السابعة والثامنة من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى .  
( فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يفسدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد ) ، والآية الأولى من هاتين الآيتين مزيدة أضافها القائلون بالتثليث إلى الإصحاح كما نقل ذلك رحمت الله الهندي عن محقق المسيحية<sup>(٢)</sup>

#### القسم الثالث :

#### التحريف بالنقصان :

ساق الشيخ رحمت الله الهندي خمسة شواهد فقط على التحريف بالنقصان .  
بل إن المرء ليجس في بعض هذه الشواهد قلقاً وتكلفاً يكشفان عن صعوبة في تصيد هذه الشواهد .  
وأعرض هنا أقوى ما قدمه من شواهد .

#### الشاهد الأول :

جاء في الآية البابعة من الإصحاح السادس عشر من سفر أعمال الرسل .  
( فلم يأذن لهم الروح ) ، وقد نقل عن ( كريسيباخ ) و ( شولز ) .

---

(١) إظهار الحق ص ٢٢٣ .

(٢) إظهار الحق ص ٢٣٥ .

أنهما ذكرا أن الصحيح هو . ( فلم يأذن لهم روح يسوع ) ، فعلى إقرارهما  
سقط لفظ يسوع<sup>(١)</sup> .

المعاهد الثاني :

يؤكد الشيخ (رحمت الله ) أن ( متى ) كتب لإنجيله الحاضر باللغة العبرانية ،  
بخلاف الاناجيل الأخرى فقد كتبها أصحابها بأدبى ذى بدء باللغة اليونانية ،  
وينقل عن دائرة المعارف البريطانية ما يقرئ هذا الرأى .

وبما أن النص العبراني ليس له وجود - فلا بد أن يكون النصارى قد حرفوه  
أولا ، ثم أسقطوه من الاناجيل ليحلوا محله ترجمة مشوهة لا تمت إلى الأصل  
بسبب قريب<sup>(٢)</sup> .

هذه هى أنواع التحريف اللفظى فى أسفار العهد الجديد كما عرضها الشيخ  
( رحمت الله ) - ولعل أهمها وأخطرها - أن يوجد سفر كامل ينسب إلى ( متى )  
ثم يكشف التحقيق العلمى الذى يقوم به علماء المسيحية عن زيف هذه النسبة .

ولا يقتصر الأمر على إنجيل ( متى ) ، فإن إنجيل ( يوحنا ) أيضا لم تلقت  
فسبته إلى صاحبه بشكل مقنع لقد شهد القرن الثانى الميلادى موجة عاتية من  
الإنكار تنفى أن يكون ( يوحنا ) هو الذى كتب الإنجيل المنسوب إليه فلم يتصد  
أحد الرد على ذلك - حتى ( رونوس ) الذى كان يعلم عن ( يوحنا ) كثيرا من  
التفاصيل الدقيقة من طريق أستاذه ( بولو كارب ) أخا ص تلاميذ ( يوحنا ) لم  
يتصد هو أيضا للرد على المنكرين بإثبات صحة نسبة الإنجيل المذكور إلى

---

(١) إظهار الحق ، ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

صاحبه ، بل إن هذا الإنجيل نفسه لينطوى على ما يدعم الشك في صحة نسبته ، وإلى ذلك بشير (رحمت الله ) الهندي إذ يقول :

(إن الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح الحادى والعشرين من هذا الإنجيل هكذا : « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ويعلم أن شهادته حق ، فقال كاتبه فى حق يوحنا هذه الآية « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وشهادته بضمير الغائب ، وقال فى حقه « نعم ، على المتكلم ، فعلم أن كاتبه غير ( يوحنا ) والظاهر أن هذا الغير وجد شيئاً من مكتوبات ( يوحنا ) فنقل عنه الزيادة والنقصان والله أعلم (١) .

فاننان من الاناجيل الاربعة اذن توجه ليهما الشك أو الإنكار، والإنجيلان الآخران كغيرهما من الاسفار والرسائل المسيحية وقع فيهما التحريف اللفظى بصوره المختلفة على نحو ماسر بيانه .

وقد نهأت عن هذا التحريف اللفظى أمور خطيرة أهمها .

١ - وقوع التضارب بين أسفار العهد الجديد فى الحديث عن الواقعة الواحدة بشكل يشكك فى قيمة هذه الاسفار كأساس للمعرفة الصحيحة .

ومن أبرز الشواهد التى قدمها ( ابن حزم ) لهذا النوع من التضارب نختار هذين الشاهدين .

العاهد الاول :

عرضت الاناجيل للحديث عن احدى معجزات المسيح عليه السلام حيث دعاء أحد الاشراف لإحياء ابنه ، فبينما يذكر إنجيل ( متى ) أن البنث كانت قد ماتت إذ بإنجيل ( لوقا ) وإنجيل ( مرقس ) يذكران أنها كانت مريضة (٢) .

---

(١) إظهار الحق ص ٩٩ .

(٢) الفصل ، الجزء الثانى ص ٢٦ .



## القائد الثاني :

أشارت أناجيل ( متى ) ، ( ومرقس ) ، ( ولوقا ) إلى تنبؤ المسيح عليه السلام بإنهائه فذكرت أنه أعلم تلاميذه بأنه سيقتل ويصلب ويدفن ويقوم في اليوم الثالث ولكن الأناجيل الأربعة حين عرضت للحديث عن تلك النهاية ذكرت أنه قام من قبره في الليلة الثانية ، فإنه دفن مع دخول ليلة السبت ، وقام ليلة الأحد قبل الفجر<sup>(١)</sup>.

٢ - نشأة الأخطاء المتداولة بتصور حقيقة المسيح، وهذه الأخطاء تعد سمات أساسية للتحويل المتطرف الذي قام به ( بولس ) في المسيحية .

يقول الدكتور ( محمد أبو الغيط الفرت ) مشيراً إلى طبيعة هذا التحويل المتطرف :

( على أنه ليس من جزاف القول إذا قلنا إن المسيح في نظر حواريه ابن الإنسان وموته عندهم ليس بالتضحية التكفيرية ولم يتمقروا على وصفه بابن الله بل هو عندهم خادم الله وعبد الله .

أما عند بولس فكان المسيح ابن الله الذي مات من أجل خطايا البشر ، وقد طور بولس هذه العقيدة ونماها إلى المفاهيم التي تقوم عليها اليوم<sup>(٢)</sup>.

أما عن منفا التعريف الواقع في أسفار العهد الجديد فإن الشيخ ( رحمت الله ) الهندي يمزوه إلى عدم تواتر هذه الأسفار أو إلى عدم اتصال سندها بحيث ينتهي إلى أصحابها الحقيقيين ، فالتعريف إذن من نساخ الأناجيل وليس من واضعها .

---

(١) الفصل ، الجزء الثاني ص ٤٨ .

(٢) بولس والمسيحية ، ص ٣٩ .

أما ( ابن حزم ) - فهدبط التحريف بأشخاص واضعى الاناجيل أنفسهم ، فهم في رأيه ليسوا من الحوار بين الذين يوثق بكلامهم ويطمأن إلى نقلهم ، وإنما هم أربعة من الفساق الانذال الكذابين الكفار لا يتحرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه (١) .

ومما يكن من شيء - فقد وقع التحريف في أسفار العهد الجديد كما وقع في أسفار العهد القديم .

ونجح المحققون من المسلمين في إثبات القضية بهوامد من أسفار المهدين ، وأقر بها المحققون من اليهود والنصارى على السواء .

---

(١) أنظر على سبيل المثال صفحات ٤٩٠ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٦٧ من الجزء الثاني من كتاب الفصل .

## المبحث الثالث

### مجالات للمقارنة

يذكر القارئ الكريم ولا شك أنني كنت أغتنم الفرص المتاحة في التحقيق على الموضوعات لهذه المقارنات السريعة بين الإسلام من جهة ، وكل من اليهودية والمسيحية من جهة أخرى، ولكنني أريد في هذا المبحث أن أركز على المقارنات بشكل أكثر وفاء. كيما تتضح ملامح الصورة التي أود تقديمها لهذا الموضوع العتيق .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : كيف تعقد المقارنة بين دين موثوق بحقيقته كالإسلام ، وآخر ثبت تحريفه كاليهودية أو المسيحية على نحو ما تبين في المبحث السابق ؟

والجواب - أن هذا النوع من المقارنات يؤكد ثقة المسلم في دينه من مقومات الأفضلية والامتياز .

أما بالنسبة إلى غير المسلم من أبناء الدينين الآخرين - فهو طريق إلزامي له أهميته البالغة في إثبات تفوق الإسلام على هذين الدينين واستثنائه من دونهما بعناصر الصلاحية .

فبعد المقارنات بين الأديان الثلاثة إذن لا يقل أهمية في إثبات حقيقة الإسلام عن طريقين آخرين عرضت لهما في المبحثين السابقين هما .

تبشیر الكتب السماوية السابقة بنبي الإسلام .

والإثبات وقوع التحريف في هذه الكتب أو الأسفار .

ويلوح سؤال آخر يمكن أن يعرض على النحو التالي .

مادامت أسفار المهديين القديم والجديد بحرفة فكيف نستدل بنصوص منها على التبشير بمحمد ﷺ ؟

ماقيمة أى خبر يقدمه لنا نص نعرف يقيناً أنه محرف ؟

والواقع - أن هناك أكثر من جواب عن هذا السؤال الهام - إذ يمكن أن يقال :

أبنا لا نقول بتحريف أسفار المهديين تحريفاً كلياً بمعنى تحريف كل فقرة وكل عبارة في هذه الأسفار ، وإنما نقول بالتحريف الجزئى على نحو ما مر بيانه بالتفصيل في المبحث السابق ، وعلى هذا تكون في أسفار المهديين نصوص كثيرة لم تمسها يد التحريف ؛ ومن ثم يجوز الاستدلال بها أو التعميل عليها .

وهناك طريق آخر في الجواب - إذ يمكن أن يقال أيضاً .

أن السفر المحرف كشاهد الزور ، لا تقبل شهادته لمن يبادلونه الود وتقبل شهادته عليهم على أساس مودتهم له وثقتهم به . وهم حينئذ بين موقفين :

فأما أن يلتزموا بهمادته .

وأما أن يطرحوا ثقتهم به ويقولوا مع القائلين بتزويره .

ومعنى ذلك - أن الأسفار المقدسة حين يثبت تبشيرها بمحمد ﷺ . فإن على الذين يقدسون هذه الأسفار أن يؤمنوا ببصوته تمهياً مع مقتضيات

القُداسة ، أو أن ينصرفوا عن تقدسها ويعترفوا بنحر يقها حتى لا يلزمهم ما فيها من دلائل التبشير .

على أننا - نحن المسلمين - لسنا بحاجة إلى بشارات هذه الاسفار لنؤمن بإيماننا بحمد عليه الصلاة والسلام ، وإن كانت هذه البشارات تزيدنا إيماناً به وتسليماً له .

ونعود إلى موضوع المقارنة بين الأديان الثلاثة فنذكر :

أن مقاييس المفاضلة بين الأديان مختلفة وأسس التمييز بينها متفاوتة تبعاً لاختلاف المشارب وتفاوت الأذواق .

فالعالميون يفاضلون بينها على أساس ما فيها من حقائق ، فأكثر الأديان اشتمالاً على الحقائق هو أكثرها حظاً من الفضل .

والعلماء يفاضلون بينها على أساس ما فيها من المعارف العلمية .

والصوفيون يقيسون فضل الدين بما فيه من المواجد الروحية .

وأحدث مقياس في هذا الشأن - ما يحتكم إليه البراجماتيون في المقارنة ، فقد فسروا الحق بـ ( النافع ، والعمل ) ، وعلى هذا - يكون أفضل الأديان هو أكثرها نفعاً للناس وحشاً على العمل .

بيد أن هذا الاتجاه البراجماتي ليس جديداً تماماً ، فإننا نجد له جذوراً عميقة في فلسفة الفيلسوف الأندلسي ( ابن رشد ) .

لقد حدد ( أبو الوليد بن رشد ) وظيفة الدين الأساسية وهي عنده حث الناس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة التي تحقق لهم المعادة في الدارين .

وعلى ذلك - فأفضل الأديان هو ما كان بنصوره وطقوسه أكثر نهوضاً بهذه الوظيفة الجوهرية الخالدة .

فليس عجباً إذن أن يكون الدين الإسلامى هو أفضل الأديان جميعاً ، لأنه بفضل ما فيه من رموز وتمثيلات يعتبر بحق أقوى دفعاً إلى العمل ، وأشد تأثيراً في القلوب .

فالصلاة في الشريعة الإسلامية مثلاً - هي أتم وأكمل من سائر الصلوات في سائر الشرائع ، وذلك لما شرط في عددها وأوقاتها وأذكارها ووجوب الطهارة لها مما يقيح لها حقاً أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وتفوده إلى سبيل الخير والفضيلة .

ويمكن أن ينطبق هذا الكلام على كل مافى الإسلام من وظائف وشعائر إذا قورن بينها وبين نظائرها في الدبانات الأخرى (١) .

وأنا أرى - أن الباحث يمكنه أن يستخدم في المقارنة كل المقاييس التي من شأنها إظهار امتياز دين على آخر دون أن يقف عند مقياس بعينه ، وهذا ما سأحاول عمله في المقارنة بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية وستكون المقارنة بشكل عام في ثلاثة مجالات أساسية هي :

١ - مجال العقيدة .

٢ - مجال الشريعة .

٣ - مجال الأخلاق .

بيد أنني أستطيع القارىء العزيز عذراً عن عدم استقصاء القضايا التي يمكن أن تكون موضوعاً للمقارنة ، بل وعن عدم الدخول في تفاصيل كل قضية من القضايا

---

(١) راجع فكرة ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) ، ص ٨٦٩ ، ٨٧٠

المروضة - فذلك فيما أظن يحتاج إلى كتاب كامل ، فلاكتف من ذلك كله بتقديم الصورة التي تفتى القارئ في هذا الموضوع .

وتيسرأ الدراسة - فسامرض لمقارنة الإسلام بكل من الدينين الآخرين على حدة ، وذلك في المجالات الثلاثة المذكورة ؛ ويقضى ذلك أن نعتقد المقارنة في مقامين :

الأول - بين الإسلام واليهودية .

والآخر - بين الإسلام والمسيحية .

ويستطيع القارئ متى شاء أن يراجع القضايا موضوع المقارنة في مواضعها الأصلية من هذا الكتاب .

## (أولا) الإسلام واليهودية

### ١ - في مجال العقيدة :

تدور العقائد الدينية حول ثلاثة محاور أساسية هي :

( أ ) الألوهية .

( ب ) النبوات .

( ج ) المعاد .

وهناك عقائد أخرى أقل أهمية من هذه العقائد الثلاث ، ومن ثم - يسوخ لنا أن نكتفى بمقد المقارنة فيها بين هذين الدينين .

### ١ - الألوهية : بين التثنية والتنزيه :

لقد رسمت التوراة لـ ( ياهو ) إله اليهود صورةً هزلية مضحكة .  
واللون السائد بين ألوان هذه الصورة - هو تثنيته بالبشر فيما يعرض لهم من تقلبات النفس ونقائصها وآفات الجسد وشواغله .

صحيح أنه تفرد بخلق العالم كله في ستة أيام ، لكنه ما إن فرغ من ذلك حتى أدرك الإعياء الشديد الذي اضطره إلى أخذ اليوم السابع إجازة عارضة من مهام منصبه وشئون وظيفته .

وصحيح أنه قوى غالبا ، ولكنه مفتون بقوته إلى حد الإسراف في القوة فهو يصب جام غضبه على المدن العامرة فيدمرها تدميرا ، ويأخذ الأبرياء من الأجيال المتعاقبة بذنوب الآباء والأجداد فيلعنهم لها .



تخذه أحيانا قوة الجسم - فينهمز أمام خصومه ، وتخطئه أحيانا حكمة الرأي  
فيتطرف في إصدار حكمه فإذا نبه إلى خطئه رجع في حكمه وعدل عن  
قراره .

والغريب - أنه قد تخفى عليه ذنوب عباده - فإذا صار حوه بها أرغى وأزبد  
وتوعد بأشد العقاب .

وننتقل الآن إلى الصورة التي تستشرف آفاقها نفس المسلم في جلال مهيب -  
إنه الله جل عن الند ، وتنزه سبحانه عن القبيح .

ليدرك الحس ما شاء من الضر ، ليستوج العقل ما استطاع من المثل ،  
ليضرب الخيال ما شاء في شباب الكون ، أو ليطر بأجنحته في آفاق الوهم -  
ففيها أن يكون بين جميع المدركات ما يدنو منه سبحانه في كاله الأزل - ( كل  
ما خطر ببالك - فانه بخلاف ذلك ) .

هذا ما تقتضيه طبيعة الفرق بين المحدود المالك ، وللا محدود الأبدى .

( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير )<sup>(١)</sup> .

بقدرته الكاملة وإرادته الشاملة - خلق الكون كله بأرضه وسماؤه ، ببره  
ومائه ، بأشياءه وأحيائه - فامسه شيء من نصب ولا ناله حظ من فتور ( ولقد  
خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا لغوب )<sup>(٢)</sup> .

بل إن الكون الكبير أمام قدرته الشاحنة لا يسر من ورقة صغيرة يقبضها

---

(١) سورة العورى ، الآية ١١

(٢) سورة ق ، الآية ٣٨

أحدنا بشماله أو يطويها بيمينه ) والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه<sup>(١)</sup> .

رحيم في قوته فلا يصبوب قوته شيء من قسوة ، قرى في رحمته فلا يمازج رحمته شيء من ضعف ، منتقم إذا شاء ، ولا يكتف غاب رضاه غضبه وسبقت رحمته عذابه فهو يعفو بفضل ، أو يقتل بعذله ( وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب <sup>(٢)</sup> ) .

( إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ) <sup>(٣)</sup> .

( قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ) <sup>(٤)</sup> .

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير ) <sup>(٥)</sup> .

لا يفوته شيء من أمور خلقه وأحوال عباد له ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ) ( ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ) <sup>(٦)</sup> .

( يعلم ما يالغ فى الأرض وما يخرج عنها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) <sup>(٧)</sup> .

---

(١) سورة الزمر ، ٦٨

(٢) سورة الرعد ، الآية ٦

(٣) فصلت ، الآية ٤٣

(٤) الزمر الآية ، ٥٣

(٥) غافر ، الآية ٢

(٦) الملك ، الآية ١٤

(٧) الحديد ، الآية ٦

( وهندة مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين )<sup>(١)</sup> .

هذا هو الله في قرآنه - كمال لا يدركه الواصفون .

وذلك هو ياهو في توراتهم على نحو ما تصوره المحرفون .

فأعظم بين السكتابين . وما أبعد اليون بين الصورتين !

( فذلكم الله ربكم الحق فإذا بعده الحق إلا الضلال فأني تصرفون )<sup>(٢)</sup> .

(ب) النبوات ، بين الخطيئة والعصمة :

لا تزال تزكم الأنوف تلك الرائحة الكريهة التي تضيع في كلمات العهد القديم وهو يقص علينا أقوال الأنبياء ويعرض وقائع سيرتهم وأخبار حياتهم ولأنها لرائحة تبعث على التفرز والغثيان ، فلنغف أنفسنا من إعادة هذا السخف الممتن ، ولنلتزم الصورة الرائعة في كتاب الإسلام الخالد

الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه هم سفراء الله إلى خلقه "وصفوته من عباده ( الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس )"<sup>(٣)</sup> .

لأنهم قم السكال للبشرى ، ومصاييح الهداية الدينية ، ومواضع القدوة لمن شاء أن يستقيم ( أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا

---

(١) الأنعام ، ٥٩

(٢) يونس ، ٢٢

(٣) الحج ، ٧٥

مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ومن هـدينا واجتبتنا إذا قتل طيهم  
آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً (١) .

( أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد  
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) (٢) .

لقد طهر الله ساحتهم عن الرجس ونزههم عن الخطيئة وعصمهم من كبائر  
الذنوب ، فإن نسب إلى بعضهم شيئاً من ذلك - فهي المفضة الهينة تذكر لغتهم  
وتعظم في حقهم من باب ( حسنات الأبرار سيئات اللقيين ) .

ويعرض القرآن الكريم للحديث عن الأنبياء الذين نسبت إليهم أسفار العهد  
القديم كبائر الإثم - فإذا نجد ؟

هذا هو إبراهيم عليه السلام وقد صورته سفر التكوين متاجراً بالشرف  
متهاوناً في الضيلة بصوره القرآن مستهيناً بكل صعب مضحياً بكل عزيز في سبيل  
كلمة الحق .

فالحق أعز عليه من أبيه ، لذلك فهو يواجهه ( يا أبت لم تعبد ما لا يسمع  
ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً ) (٣) .

والحق أهر عليه من ولده ، لذلك فهو يواجهه ( يا بني إني أرى في المنام  
أني أذبحك فانظر ماذا ترى ) (٤)

والحق أعز عليه من أهله ، فهو يسكنهم في غير مسكن امتثالاً لأمر الحق الذي

(١) سورة مريم ، ٥٨

(٢) سورة الأنعام ٨٩ ، ٩٠

(٣) سورة مريم ، ٤٢

(٤) سورة الصافات ، ١٠٢

يضرع إليه فيهم ( ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ) (١) .

بل إن الحق لا يعر عليه من نفسه - فهو يمرضها لأشد ألوان الأذى والتعذيب مبتدرا قومه بالتوبيخ الساخر : ( قال أفتمبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولا تعبدون من الله أفلا تعقلون ) قالوا حررقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٢) .

هذا هو إبراهيم في قوة إيمانه وصفاء قلبه ونقاء ضميره  
هذا هو إبراهيم في ولائه للحق واستمساكه بالعقيدة واستقامته على الطريق .

ابتلاه الله فصبر ، وأنعم عليه فشكر ، فاستحق أن يكون الناس إماما ولرب الناس خليلا : ( وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمن قال إني جاعلك للناس إماما ) (٣) .

( وانخذو الله إبراهيم خليلا ) (٤) .  
( إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ) (٥) .

---

(١) إبراهيم ، ٢٧

(٢) الأنبياء ، ٦٧ ، ٦٨

(٣) البقرة ، ١٢٤

(٤) النساء ، ١٢٥

(٥) النحل ، ١٢٠ : ١٢٢

وموسى عليه السلام الذى زعمت الاسفار المقدمة أنه قتل أخاه ( هارون )  
فيرة منه وحقدا عليه - لم يحدث قط أن خمد في نفسه الإحساس برابطة الأخوة  
ولا سكنت في أعماقه عاطفتها السامية ، كيف وقد عبر عن هذه العاطفة النبيلة  
أصدق تعبير على الرغم من عى كلماته وضعف بيانه وذلك حين انقشى بأول  
فترات الوحي الإلهي وكلف بدعوة فرعون وقومه إلى الإيمان :  
( وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معن ردءا يصدقنى إني أخاف  
أن يكذبون ) (١) .

( قال رب اشرح لى صدرى • ويسر لى أمرى • واحلل عقدة من لساني •  
يفقهوا قولى • واجعل لى وزيرا من أهلى • هارون أخى • اشدد به أزرى  
وأشركه فى أمرى • كى نسبحك كثيرا • ونذكرك كثيرا • إنك كنت بنا  
بصيرا ) (٢) .

إن ما يروجه اليهود عن ( موسى ) عليه من قتله لأخيه ، أو حقهده عليه إن  
هو إلا إتهام زائف ليس له أساس إلا فى أسفارهم الباطلة وليس له وجود إلا  
فى خيالهم السقيم ، ولهذا - يرى الله ساحة نبيه ويحذر المسلمين من مثل هذا  
الضلال الفاحش وهذا التناول السفهية :

( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان  
عند الله وجيها ) (٣) .

ونذكر - أن ( هارون ) نفسه لم يبرأ من افتراء التوراة عليه ، فقد اتهمته  
بصنيع العجل والاشتراك فى عبادته مع المارقين .

---

(١) القصص ، ٢٤ .

(٢) طه ، ٣٢ : ٣٥ .

(٣) راجع تفسير الآية فى الجزء الثانى من تفسير المكشافات ، ص ٥٥١ .

( م ٢٠ - قصة الأديان )

والقرآن الكريم ينسب الجريمة إلى صاحبها الحقيقي ويضع الاتهام في مكانه المناسب .

فإن من صنع العجل واشترك في تأليهه - هو ( هارون السامري ) وليس ( هارون ) النبي .

وهذا هو الحوار الذي دار بين ( موسى ) عليه السلام وبين السامري بهذا الشأن كما نقله عنهما القرآن :

( قال فاطعلبك يا سامري ه قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سواك لي نفسي ه قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا إن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقه ثم لنفصنه في اليم نسفا ) (١) .

فصانع العجل إذن مشرك مسرف على نفسه وعلى قومه خسر ديناه وأخبرته ذلك هو الحشران المبين ) (٢) .

ولا يمكن أن يكون ذلك هو عاتبة نبي كريم كـ ( هارون ) فقد ذكره الله سبحانه ضمن قائمة مباركة من الأنبياء أتبعها بقوله سبحانه :

( ذلك هدى يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ) إلى أن يقول : ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) (٣) .

وهذا هو ( داود ) عليه السلام صوره سفر صموئيل ملكا عربيدا لا يقف

---

(١) طه ، ٩٥ ، ٩٧

(٢) الجزء الثاني من الكهاف ، ٢١٢

(٣) الانعام ، الآيات ٨٣ : ٩٠

تعلقه بالفناء عند حد فهو في سبيل إشباع شهواته النعمة يستعمل الزنى والكذب والتأمر ضد حياة زوج برى ، فكيف صدره القرآن ؟

يطالعنا القرآن بهذه الصورة المشرقة عن ( داود ) بأنه نبي كريم وملك حكيم يذكر الله فزدد الطير ذكره ، ويسبحه فتزدد الجبال تسبيحه وهو في كل أحواله لا ينسى عبوديته لله عز وجل ، يقول سبحانه في ذلك :

( اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ه إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ه والطير محمودة كل له أواب ه وشددنا وأتينا الحكمة وفصل الخطاب ) (١) .

و ( سليمان ) عليه السلام لم يكن كما صورته أسفار العهد القديم غرامتكالاً ضعيف العقيدة حتى تفتنه زينة الملك عن الذهاب إلى الهيكل أو يحمله حبه لأزواجه المشركات على التقرب إلى آلهتهن - حاشا لو أحد من أنبياء الله أن يكون كذلك ولو لحظة بسيرة من حياته .

فقد عهدناه من خلال تصوير القرآن له نبيا حكيما كآبيه لا تهمله النعمة عن شكر المنعم ، ولا يصرفه الخلق عن ذكر الخالق :

( ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ه وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهم الفضل المبين ) (٢) .

وحين رأى ( سليمان ) ملكه سبأ تسعى إليه بسبقها عرشها العظيم .

---

(١) سورة هود ١٧ : ٢١

(٢) سورة النمل ١٥١ ، ١٦٠



لم ينس ذلك كله واجب الشكر للنعيم الكريم ، فهو يقول :

( هذا من فضل ربى ليبلونى أ اشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ) (١)

بل لقد نفى القرآن تهمة الكفر عن نبيه الحكيم صراحة ليقطع السنة السفهاء ويكشف زيف المخرفين .

يقول سبحانه : ( واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ) (٢) .

وتشير آيات من سورة سبأ إلى أن ( سليمان ) عليه السلام ظل على شكره لربه حتى وافاه أجله المحتوم .

لقد سخر الله له الجن يعملون له ما يشاء لإجازه ، وكان ( سليمان ) كسائر آل داود الذين يعبرون عن شكرهم لله بالعمل كما يعبرون عنه بالقول والعبادة .

وقد ظل ( سليمان ) إلى النهاية مستخدماً الجن فى الأعمال المختلفة شكراً لله ولم تنبئ الجن موته حتى أكلت الأرض عصاه التى كان يتكى عليها فخر على الأرض وفى ذلك كله يقول سبحانه :

( يعملون له ما يشاء من محارب وتمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات )

أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ) (٣) .

(١) النمل ٤٠

(٢) البقرة ، ١٠٢

(٣) سورة سبأ ، الآيتان ١٣ ، ١٤ ، راجع تفسيرهما أيضاً فى الكشف ،

الجزء الثانى . ص ٥٥٦ ، ٥٥٧

فلو صح ما نسبته لإلله العهد القديم من تكريم أواخر حياته ما بقي متمتعا  
بنعمة تسخير الجن إلى آخر هذه الحياة بل لما اعتبر من فريق الشاكرين إذ  
الآليق به حيث أن يكون من الخامسين على حد قوله تعالى لحاتم رسله :  
( لئن أشركت ليحبطن عملك و لئن أشركت ليحبطن عملك و لئن أشركت ليحبطن عملك ) (١)

( سليمان ) عليه السلام إذن عاش مؤمنا ومات مؤمنا وكان بين ذلك خالص  
العبودية لله كثير الأوب إليه ، وصدق الله العظيم إذ ينوه به في قرآنه قائلا :  
( ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ) (٢) .

واكتفى بالمازج المتقدمة لبيان الفرق بين حديث القرآن الكريم عن الأنبياء  
عليهم السلام ، وحديث العهد القديم عنهم .

والخلاصة - أن أنبياء بنى إسرائيل قد نالوا من تكريم القرآن أكثر ألف  
مرة مما نالوه من تكريم العهد القديم ، فاهيك بنعيم من الأنبياء .

ويبدو - أن بنى إسرائيل قد خلعوا على الأنبياء من ذوات أنفسهم فبهطوا  
بهم إلى مستوى الخطيئة .

أما القرآن - فقد عرض الحقيقة الخالصة التي تعكس واقع هؤلاء الأنبياء  
من جهة ، وتتفق مع منطق الأشياء من جهة أخرى ، إذ ما دام الله قد اصطفاهم  
ليكونوا سفراءه إلى الناس - فينبغي أن يتأزوا عن سائر الناس بالعصمة .

( ج ) المعاد بين العبد والحكمة :

عرفنا - أن التوراة وما تلاها من أسفار العهد القديم قد خلت من أى إشارة

(١) الزمر ، ٦٥

(٢) سورة ص ، الآية ٣٠

إلى حياة بعد الموت، وأن سفر ( دنياك ) - وهو من الأسفار المتأخرة - هو الذى تضمن لأول مرة هذه الإشارة ، وأن هذا التحول مرتبط بالظروف الاجتماعية لبنى إسرائيل .

أما فيما قبل هذا السفر - فقد كانوا - ولمدة قرون طويلة - يعتقدون أن جزاء العمل رهن بهذه الحياة الدنيا سواء كان العمل خيراً أو شراً .

ولكن ليست هناك أى ضرورة تحتم أن ينال المرء فى هذه الحياة جزاءه المناسب عن عمله ، بل إن الواقع المشاهد يؤكد أن كثيراً من الناس يفعلون الخير ولا يمدون فى دنياهم إلا شقاء موصولاً وهما مقيما ، بينما يعيش آخرون متمتعين بسعادة على الرغم من ممارستهم للشرور ومقارفتهم للكرائم . فلو كان الموت هو خاتمة الرواية ولا شئ بعده - لسكانت الحياة فى جملتها عبثاً لا يحتمل وجعها لا يطاق .

ومن ثم تبرز ميزة الإسلام الذى يرفع الستار عن فصول أخرى بعد الموت يستوفى فيها الناس أجر ذمتهم عما قدموه فى حياتهم الأولى ، وبهذا تتحقق المفاضلة بين الأخيار والأشرار ، وتنضح التفرقة بين الصالحين والظالمين . وهكذا تصبح الحياة ذات قيمة أكيدة ، ويتسق الأمر كله مع الحكمة الإلهية اتساقاً تاماً :

( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) (١) .

( وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل

الذين كفروا من الذ - ار ه أم نجمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجمل المتقين كالفجار (١) .

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون ه أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلم نجعل جنات تجري من تحتها الأنهار فمما عملون ه وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (٢) .

فالحياة الدنيا كما تعرضها التوراة والاسفار المتقدمة من العهد القديم صراع لا طائل تحته وديث لا معنى له .

بينما هي في ظل المفهوم القرآني مزرعة الآخرة وفرصة - انحة لبلوغ السعادة الابدية .

---

(١) ص ٢٧٠ ، ٢٨٠

(٢) المائدة ١٨٠ : ٢٠

## ( ٢ )

### في مجال الشريعة

( أ ) نظام الأسرة بين الآلية والقصد :

يتفق الإسلام واليهودية في الحث على الزواج والترغيب فيه ، ثم لا يلبث أن يقع بينهما الخلاف في عدة نقاط أعرض لاهما فيما يأتي :

١ - تعتبر اليهودية الزواج فرضاً يأثم تاركه إن بلغ العشرين مع القدرة عليه - بينما يظل الأمر في الإسلام متعلقاً بالرغبة ، فن استطاع القيام بتكاييف الزواج والنهوض ببعائنه ولم تتجه رغبته إليه لا يعد آثماً مادام محتفظاً باستقامته وغفافه ، فالأمر يتعلق بالقدرة والرغبة وليس له من معينة ، على خلاف اليهودية التي نوهت أن تحول الزواج إلى ضريبة قومية هدفها تكاثر السلالة اليهودية .

٢ - يستتبع الزواج في اليهودية تاماً كاملاً من التراخي والكسل ، ولست أدري ماذا يمكن أن يكون لو أحدث الرجل في كل عام زواجا جديداً أ يكون العمر كله كسلاً وتراخياً واستسلاماً للراحة والدعة ، أم أن ذلك رهن بالزواج الأول فقط ؟ إذن فما ذنب الزوجات الأخريات اللاتي يلين الوجه الأول ؟

أما الإسلام - فلا يعرف هذا النوع من الدعة والحول لأنه يحرص على استثمار كل لحظة من لحظات العمر ونفع المجتمع بكل طاقة من طاقاته أبناؤه ، حتى شهر العسل نفسه ليس شأناً شرعياً من شؤون الزواج ، وإنما هو مجرد تقليد اجتماعي من تقاليد البيئة المعاصرة .

٣ - حرمت اليهودية زوجة الاخ المتوفى إذا أنجبته منه ، ولكنها تجعل ذلك أمرا مطلوباً إذا لم تنجب منه - على أن ينتسب بكرها من أخى زوجها إلى زوجها المتوفى حرصاً على بقاء ذكره في إسرائيل ، فإذا امتنع أخو زوجها عن زواجها - اعتبرته الشريعة اليهودية ساقط الهمة ذاهب المروءة لأنه أبى أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل .

فاليهودية هنا لا تلاحظ - أن الزواج ينبغي أن يقوم على أساس من الرغبة المحتركة والراضى التام ، بل لأنها لا تنبأ بأن يقوم الزواج بين شخصين يمتد بينهما جدار سامق من النفرة والجفاء ، المهم أن تصنع ذرية وهمية لرجل ميت تمهياً مع هدف التكاثر اليهودى .

فأين هذا الموقف الغريب من موقف الإسلام الذى يحتم أن يقوم الزواج على أساس الإيجاب والقبول ولا يعترف بأى زواج لا يقوم على هذا الأساس ليس هناك أى داع لتحريم زوجة الاخ منجبة كانت أو غير منجبة ، المهم أن يتم ذلك - إن تم - تعبيراً عن الرغبة والقصد دون لإكراه من تقاليد البيئة أو لإملاء من هدف قومى .

ثم ما معنى نسبة الاولاد إلى غير آبائهم الحقيقيين :

ما عسى أن يكون شعور الرجل الذى يتزوج مكرها ، وينسب ولده إلى غيره ؟

إن الإسلام يحرص أشد الحرص على أن ينتسب الاولاد إلى آبائهم الحقيقيين فإن تعدد ذلك - فإنه يرفض نسبتهم إلى غير آبائهم ، وفى ذلك يقول سبحانه : ( ادعواهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليتكم ) (١) .

٤ - وننتقل إلى موضوع تعدد الزوجات - فنذكر أن اليهودية قد أباحت دون قيد أو حد . بينما منعت المسيحية منها باتا فيما فهمه القسس من الاناجيل .

ويطالعنا الإسلام بوسطيته المعتدلة بين الإباحة المطلقة والتقييد المطلق فهو يبيح التعدد مشئى وثلاث ورباع دون الزيادة على ذلك ، ويشترط أيضا القدرة على تبعات التعدد وإقامة العدل الممكن بين الزوجات - يقول سبحانه :

( وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة ) (١) .

٥ - رأينا كيف منعت اليهودية الطلاق في حالة ما لو ادعى الزوج - أنه لم يجد زوجته عذراء إذا أبطل أهل الزوجة إدعاءه .

ورأينا أيضا - كيف أبدت اليهودية الطلاق إذا تزوجت المطلقة ثم طلقها الزوج الثاني أو مات عنها ، فإنها لا تعود إلى الزوج الأول بحجة أنها قد تنجست بزواجها الثاني .

ونلوح عدة أسئلة حول أبدية الزواج وأبدية الطلاق في هاتين الصورتين ، من ذلك .

( أولا ) كيف تستقيم أمور الحياة بين زوجين حدث بينهما الخلاف منذ الأيام الأولى من الزواج وحول موضوع في غاية الخطورة كموضوع الشرف ؟

( ثانيا ) كيف تعد المرأة متنجسة بزواج يتم على سنن الدين ووفق أحكامه ،

ومن الواضح أن ذلك بالنسبة إلى الزوج الأول فقط ، فكيف تعد المرأة  
متنحصة بالنسبة إلى رجل - غير متنحصة بالنسبة إلى غيره من الرجال ؟

لا أظن أن في اليهودية إجابات مقنعة عن هذه التساؤلات .

أما الإسلام - فإنه يقر الطلاق ويقعه إذا انجبت إليه نية الزوج وقد تعذرت  
محاولات التوفيق والإصلاح ، فذلك خير من بقاء رابطة لا معنى لها ولا روح  
فيها بل قل ذلك خير من استمرار حياة يسودها القلق والحزن والتوتر .

وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ،<sup>(١)</sup> .

أما عدم إباحة مراجعة المطلقة إذا تزوجت ثم طلقها الزوج الثاني أو مات  
عنها بحجة منعها بزواجها الثاني - فأمر يدعو إلى الدهشة حقاً ، فإن هذا الزواج  
الثاني الذي انتهى نهاية غير سعيدة - حرى أن يهيئ فرص التوفيق لاستئناف  
العلاقة الزوجية مع الزوج الأول ، فإن رصيد الزوجين من التجربة يساعدهما  
ولا شك على تقادى ما وقع في زواجهما الأول من أخطاء .

ولهذا - يجعل الإسلام ذلك الزواج الثاني هو الطريق الوحيد لتحليل المطلقة  
البائن بينونة كبرى ، يقول سبحانه :  
وإن طلقها فلا تحمل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح  
عليهما أن يترابعا إن ظنا أن يقيا حدود الله ،<sup>(٢)</sup> .

٣ - يشكل موضوع المهرات أحد مواطن الاختلاف الأساسية بين  
اليهودية والإسلام ، ويقع الاختلاف بينهما في عدة نقاط نورد منها ما يأتي :

---

(١) سورة النساء ، ١٣٠

(٢) سورة البقرة ، ٢٣٠



( أولا ) تحرم اليهودية من الميراث البنت الصغيرة التى تقل سنها عن الثانية عشرة ، بينما تمنح الابن الاكبر سهمين .

ولكن الإسلام لا يعطى مسألة السن أدنى لإعتبار فى تقسيم الانصبة بين الورثة ، بل لأنه ليؤجل تقسيم التركة إذا كان هنالك حل مستكن ، فإذا تمت أشهر الحمل ونزل الجنين حيا أخذ نصيبه المفروض على قدم المساواة مع إخوته الكبار وهذا هو الانسب لحال الصغير ذكرا كان أو أنثى والأليق بضعفه .

فحرممان الصغيرة من مال أبيها ، وكذا اختصاص الولد الاكبر بنصيب أكبر من نصيب أحد أخوته الذكور يوشك أن يكون تقيدا جاهليا يتناقى مع أبسط مظاهر الرحمة والعدل .

( ثانيا ) أبولوة التركة إلى من يضع يده عليها عند عدم وجود أحد من أصول الميت وفروعه - نقطة أخرى يختلف فيها الإسلام مع اليهودية ، فقد يكون هذا الحائز العاطفى غنيا فيزداد بذلك غنى على حين يوجد فى المجتمع كثير من ذوى الفاقة العديدة ، فاقنضت حكمة الإسلام - أن تتول التركة فى مثل هذه الحالة إلى بيت مال المصلين الذى ينفق على الأغراض العامة للأمة ويخصص جزءا من دخله للإنفاق على الفقراء .

هذه هى أم النقاط المتعلقة بنظام الأسرة والتى يختلف فيها الإسلام مع اليهودية .

والذى يبدو من استعراضها :

( أولا ) أن الإسلام يفسح مجالا مناسباً للرغبة أو القصد فى مسائل الزواج والطلاق ، بينما تضى اليهودية كثيرا بهذا المبدأ إما لسبب قومى ، وإما لفهر سبب على الإطلاق .

( ثانيا ) وضع المرأة في ظل الشريعة اليهودية سوء للغاية ، فهي مثلاً ملزمة بخدمة بيت الزوجية بنفسها أو بخدم تحضرهم معها من بيت أبيها ، وهي لا ترث زوجها إن ترمات ، ولا تستحق نفقة إن طاعت بل ولا ترث أباهها إن تركها مقيمة .

وموقف الإسلام على النقيض من ذلك كله ، ومن ثم - فإن وضع المرأة في ظل نظامه لا غبار عليه ، بل يدعو إلى الإعجاب والتقدير .

#### (ب) في الجنايات والحدود :

يذكر القاري - أنني عرضت ثلاثة شواهد بهذا الخصوص وهي :

١ - الزنى ، ٢ - القتل ٣ - السرقة .

ولكنني سأكتفى هنا بعقد المقارنة بين الإسلام واليهودية في موضوع الزنى ، وذلك على سبيل المثال .

جعلت اليهودية حد الزنى هو الرجم دون التفريق بين المحصن وغير المحصن .  
بينما يفرق الإسلام في تقدير الحد بينهما ، حيث يجعل الرجم هو عقوبة الزاني المحصن ، ويجعل الجلد مائة جلدة عقوبة غير المحصن .

وفي موقف الإسلام - كما لا يخفى - تقدير حكيم للظروف النفسية الدقيقة لكل من هذين الصنفين وهي ظروف ينبغي أن يكون لها الاعتبار الأول في تقدير العقوبة .

فتنير المحصن تقوده الرغبة المعسوبة إلى لذة لا عهد لها ولا خبرة لها فيها وهي في الوقت ذاته أقوى اللذات تسلطاً على النفس واجتذاباً لها ، ومن ثم تكون ظروفه النفسية ظروفًا عنيفة على حد تعبير رجال القانون .

وهذا تقنين قوة الشريعة الإسلامية التي لا تعتمد بمثل هذا الاعتبار الواهي في إقامة الحدود على النقيض من اليهودية .

ونقطة ثالثة وأخيرة يختلف فيها الإسلام مع اليهودية .

فعلی الرغم من تشدد اليهودية في تقدير عقوبة الزنى حيث لم تفرق بين المحصن وغير المحصن في ضرورة حد الرجم - إلا أنها تتهاون في بعض الحالات حتى لتفقد العقوبة ما ينبغي لها من الزجر والتخويف .

ولعلنا نذكر في هذا الصدد عقوبة الزنى بفقة غير مخطوبة - فقد عاقبهما سفا التثنية بأن يتزوجا أزواجاً أبدياً لا طلاق فيه فهل يمكن أن يكون الزواج عقاباً رادعاً .

أما يكون الزنى والوضع مكذاً هو أيسر طريق إلى الزواج خصوصاً إذا كان أهل الفتاة يرفضون مثل هذا الزواج حيث يجدون أنفسهم أمام الأمر الواقع الذي لا بديل له ولا مفر منه ؟

ومن ناحية أخرى - كيف يكون الزواج عقاباً أساسه الإثم والخطيئة وفرض الأمر الواقع وقد شرعه الله ليكون رابطة مقدسة بين الزوجين أساسها المودة والرحمة ؟

ما كان أحكم منطق القرآن حين عبر عن هذه الرابطة في قوله سبحانه :

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم ينفكرون ، (١) .

على أن مشكلة الحدود في بني إسرائيل كانت بشكل عام - تكمن في عدم تطبيقها إلا على الفقراء والخاملين .

أما عليه القوم من ذوى الثروة والجاه - فكانوا بمنجاة من هذه الحدود مهما ارتكبوا من جرائم وباشروا من منكرات .

وهذا هو ما كان يشير إليه الرسول ﷺ حين قال :

( إنما أهلك من كان قبلكم - أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد - والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) .

وربما يستأنس لهذا بما نصبتة أسفار العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السلام وكبار أتباعهم وخاصة أهلهم من جنابات تستوجب حدوداً ما مع عدم إقامة هذه الحدود عليهم مراعاة لما لأهلهم من الشرف والجاه (١) .

#### ( ج ) في العبادات والقرايين :

تكثر القرايين في اليهودية كثرة ظاهرة ، فهناك ذبائح الإثم ، والسلامة ، والولادة ، وقرايين المواسم والأعياد .

ومن الواضح - أن كل هذه القرايين تتكرر مراراً بتكرار أسبابها الموجبة ومناسباتها الخاصة ، وهذا كله فيما عدا الزكاة المفروضة والنذور التي يفرضها المرء على نفسه فتصير مفروضة عليه شرعاً .

---

(١) كمنسبة القتل إلى موسى عليه السلام ، والزنى إلى لابتى ( لوط ) عليه السلام ، وكمنسبة الزنى والقتل إلى ( داود ) عليه السلام وقد سبق تفصيل كل هذا عند الحديث عن النبوات في اليهودية .

والملاحظ - أن جميع القرايين إنما يتحتم تقديمها إلى كهنة الهيكل من اللاويين الذين فرضوا على الناس وصاياهم ومنحوا أنفسهم ساطة غفران الذنوب .  
وهكذا أصبح الكهنوت أقصر الطرق إلى الثراء الفاحش والنفوذ الشعبي الذي لا مسوغ له من عقل أو دين .

ونذكر بهذه المناسبة - أن فكرة ( صكوك الغفران ) التي نقلاها السكاوليك من اللاويين وأدخلوا عليها التطوير اللازم لتحقيق المزيد من الكسب - نذكر أن هذه الكفارة كانت في مقدمة الأسباب التي حملت ( مارتن لوتر ) على حركته الإصلاحية ضد نظام الكنيسة .

ومسألة الوصاية على قلوب العباد ، أو الوساطة بينهم وبين خالقهم العظيم مرفوضة تماماً في الإسلام ، حتى النبي - ﷺ - نفسه لا تتعدى وساطته مهمة وساطته مهمة التبليغ الذي لا ينتظر عليه من الناس أجراً ولا يرتقب عليه منهم شكراً ، قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى (١) .

وقد نص القرآن الكريم على مصارف الصدقة الثمانية والتي يمكن أن تكون أيضاً مصارف لسائر القربات المالية فإذا هو يذكر في مقدمتها الفقراء والمساكين على اعتبار أهم الشريحة الاجتماعية الجديدة بالرعاية الخاصة من القادرين ، يقول سبحانه في تحديد هذه المصارف أو تعيين هذه الأصناف :

«إِنَّ الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، ٢٣

(٢) سورة البقرة ، ٢٠٠

فلم يشرع الله تعالى لرسوله شيئا من هذه الصدقات ولا لأحد من القائمين بالخدمة الدينية على نحو ما قررت اليهودية لכהنة الهيكل - بل على العكس من ذلك تماما - فقد نزه مقام نبيه وآله عن قبول شيء من الصدقة وحجب الرسول ﷺ ذلك إلى منتهى نهجه ومتبعي سنته إلا من ألجأته الحاجة الملحة والعسر الشديد مع عدم القدرة على العمل المنتج والكسب الشريف .

ومعنى ذلك كله - أن القرابين في الإسلام وسيلة إلى التكافل الإجتماعي .

أما في اليهودية - فهي وسيلة إلى ثراء الكهنة الذين يستمرنون الكسل والحول وابتزاز أموال العامة بادعائهم السلطان الإلهي .

وقد كشف القرآن الكريم حال هؤلاء الكهنة ونمى على المعتقدين فيهم من السذج في نحو قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » (١) .

وقوله « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

وجدير بالإشارة قبل مفادرة هذه النقطة ، أن بيت المال في الإسلام ليس مؤسسة دينية متخصصة في الإنفاق على شؤون الخدمة الدينية كما قد يتوهم ، ولكنها مؤسسة اجتماعية تقوم على أمور المسلمين ومن في رعايتهم من لا يدينون بالإسلام .

وما دمتنا نقارن بين الإسلام واليهودية في مجال العبادة والقرابين فإن هناك نقطة هامة تستحق التنويه .

---

(١) سورة التوبة ، ٣٤

(٢) الآية ، ١٠١

ذلك أن اليهودية تمحصر الوظائف الدينية والإشراف على شؤون الهيكل في اللاويين بحيث لا يجوز لأحد سواهم أن يباشر هذه الوظائف .  
هي إذن الطبقة الدينية التي تحتكرها عائلة واحدة وتتوارثها أجيالها المتعاقبة جيلا عن جيل .

أما الإسلام ، فيختلف مع اليهودية اختلافا تاما في هذه النقطة ، فإنه يجعل هذه الوظائف واجبات شرعية يكرم بها القادرون عليها من المسلمين .  
فالمهم في ممارسة هذه الوظائف ، هو الكفاية والاهلية ، وليس الإلتزام إلى طبقة معينة أو عائلة خاصة .

وقد أسند الرسول ﷺ ، الأذان ، وهو الوظيفة الدينية الثانية بعد الإمامة ، إلى ( بلال ) ، رضى الله عنه ، وهو عبد حبشى ، ولم يسندها إلى شريف قرشى لإقراراً لمبدأ الكفاية ، ورفضاً لفكرة الطبقة .

وبهذا يتضح الفرق بين اليهودية والإسلام في موضوع العبادة والقرايين .  
فاليهودية تنحصر الفرص لبراء الكهنة وطبقة رجال الدين .  
والإسلام يوظف القرايين لأهداف اجتماعية عامة ويبتطل فكرة الطبقة الدينية بل إنه لا يعترف بما يسمى رجال دين .

#### (د) في المواسم والأعياد : بين القومية والدين :

ترتبط المواسم والأعياد في اليهودية بالمناسبات القومية البارزة في التاريخ اليهودي الأهم إلا السبت الذى يستند عندهم إلى عقيدة باطلة هي عقيدة استراحة الرب بعد فراغه من خلق الكون ، ومن ثم ، تكون هذه المواسم والأعياد حاملا أساسيا في ترسيخ الإحساس بالانتماء القومية لليهود .

أما في الإسلام ، فالأمر على العكس من ذلك .

فالوأمم الدينية تنحدر منحي روحيا خالصا وترتبط بمعان إنسانية عامة .

فرمضان ، طاعة روحية خالصة توثق ارتباط المسلم الكامل المطلق وهو  
له ، وتوثق ارتباطه في الوقت ذاته بالقيم المطلقة كالصبر والبر والقناعة والتعاون  
العفاف .

وعيد الفطر ، تعبير عن الشكر على التوفيق إلى هذه الطاعة .

وعيد الأضحى ، تذكرة بتهمة الفداء العظيم المتمثل في نبي لا يتردد في ذبح  
لده الوحيد طاعة لله . وز غلام لا يتردد في بذل نفسه طاعة لله أيضا .

بل إن عاشوراء لا تعنى أكثر من إحياء ذكرى هي أحب الذكريات إلى الشعب  
يهودي نفسه وهي ذكرى خروجهم من مصر وهلاك عدوهم فرعون .

لم تشرع الأعياد في الإسلام لإذن إحياء بالمناسبات خاصة في تاريخ العرب  
و تاريخ المسلمين كما ارتبطت الأعياد اليهودية بالمناسبات القومية لليهود ، وإنما  
إن هدف الأعياد الإسلامية هو دعم ارتباط المسلم بالله عن طريق دعم ارتباطه  
القيم الإنسانية العامة .

أما فيما يتعلق بالعيد الأسبوعي في كل من الدينين ، فقد رأينا أن اليهود  
يربطون تقديسهم السبت بمقيدة غاية في البطلان .

أما المسلمون ، فإنهم يحتفلون بيوم الجمعة استجابة مباشرة للتوجيهات  
إسلامية دون أن يربطوا ذلك بأساس عقدي .

ومن جهة أخرى ، فإن إحياء السبت كما طلبت اليهودية يتمثل في الراحة  
الكسلى والخلول .



أما إحياء الجمعة في الإسلام فيتمثل في أداء شعارها التي تستغرق وقتا قصيرا  
يتوجه عقبه المصلون إلى أعمالهم إلتامسا للرزق الحلال والكسب المشروع ،  
وفي ذلك يقول سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله  
وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » فإذا قضيت الصلاة فانتشروا  
في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلمكم تفلحون ، (١) .

بهذا تنتهى المقارنة بين الإسلام واليهودية في مجال الشريعة . ولعل الفرق  
بين الشريعتين فيما تزكده المقارنة ، هو أن اليهودية وقفت عند الأشكال  
والرسوم ، بينما غاصت الشريعة الإسلامية إلى الجوهر واللباب .

### ( ٣ )

## في مجال الأخلاق

عرفنا - أن النيرة الحادة في الأخلاق اليهودية - هي العنصرية التي تعد بحق مقوما أصيلا من مقومات الشخصية اليهودية ، بل هي أبرز هذه المقومات وأقواما على الإطلاق .

أما الإسلام - فإن الذي يتبين بوضوح من مبادئه وتوجيهاته هو أنه دين عالمي يتجاوز بسموه ونقائه حدود البيئة والعقيدة والعصية العرقية .

فإذا كانت اليهودية تزعم إمتياز السلالة الإسرائيلية على غيرها من سلالات الجنس البشري ، فإن الإسلام يقرر وحدة الأصل الإنساني فلا تفاضل بين بني آدم إلا على أساس التقوى والعمل الصالح ، يقول الرسول الكريم :

( كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيهي على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ) .

بيد أن التقوى ليست تظاهرا وادعاء أو نفاقا ورياء - لأن محلا هو القلب الذي لا اطلاع عليه إلا لمن يعلم خفايا الصدور .

وإذا كانت اليهودية تتخذ من اختلاف السلالات أساسا للصراع ، فإن الإسلام يتخذ من اختلاف الأمم والعصوب أساسا للتعرف :

و يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ، (١) .

وإذا كانت اليهودية تعتبر المخالفين في العقيدة أعداء الداء يتحتم العمل للقضاء عليهم تقرباً إلى إلههم الدموي ، فإن الإسلام لا ينهى أبناءه عن الإحسان إلى مخالفين في العقيدة ما لم يبدؤوا هم بالعدوان :

• لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين • إنا ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، (١)

وإذا كانت اليهودية تمنع الزواج بين اليهود وغيرهم على اعتبار أن غير اليهود وثنيون أنجاس فإن الإسلام لا يمنع زواج المسلم من الكتابية إذا آتاه صداقها أسوة بالمسلمة :

• اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مهافحين ولا متخذين أخدان ، (٢) .

وإذا كان العدل في اليهودية لا يتسع لغير اليهود حتى ليعد استغلال أموال غير اليهود ودمائهم من صميم العدل ، فإن العدل الإسلامي يتطلب الرفع عن العواطف الشخصية بحيث يعامل العدو على قدم المساواة مع القريب :

• يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، (٣) .

---

(١) المتحنة ، ٨ ، ٩

(٢) المائدة ، ٥

(٣) المائدة ، ٨

ويا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا<sup>(١)</sup> .

هذا هو الفرق بين الاخلاق الإسلامية والاخلاق اليهودية .

سور رفيع يشمل بمنه الرحب كل الآخرين بما في ذلك المخالفون في جانب .  
وعنصرية معقدة تتميز حنقا على الآخرين وتربص بهم في الجانب الآخر .

بذلك - يتم لنا ما أردناه من وراء المقارنة بين الإسلام واليهودية في المجالات الثلاثة ( العقيدة والشرعية والاخلاق ) .

فإذا أردنا أن نلخص ما انتهينا إليه من نتائج المقارنة بين الإسلام واليهودية فإننا نستطيع إجمالها على النحو التالي :

١ - وصفت اليهودية الله بما لا يليق بذاته المقدسة ونسب الإسلام إليه ما ينبغي له من مظاهر القداسة ومعاني السكال

٢ - نصبت اليهودية الى الانبياء من القبايح والمنكرات ما لا يليق بذواتهم الشريفة ، ووصفهم الإسلام بالعصمة التي يقتضيها جلال النبوة .

٣ - أغفلت اليهودية المعاد في معظم أسفارها فجعلت الحياة عارية عن أى قيمة حقيقية ، وجعله الإسلام إحدى عقائده الأساسية فربط الحياة بالحكمة الإلهية السامية .

٤ - وقفت الشريعة اليهودية عند الأشكال والرسوم فمجرت عن سياسة

الإنسان وتنظيم حياته ، وخاصة الشريعة الإسلامية إلى حقيقة الإنسان وعاشق  
واقعه النفس فنجحت في تنظيم علاقته وحل مشكلاته .

هـ - عطلت اليهودية في حضارتها فأوشكت أن تمزق اليهود عن المجتمع  
الإنسانى ، وتأسى الإسلام في مبادئه فشمل الجميع بإخائه .

وبعد هذا العرض السريع لبعض شواهد المقارنة بين الإسلام واليهودية -  
انتقل إلى المقارنة بين الإسلام والمسيحية في المجالات الثلاثة كذلك .

## ثانياً

### الإسلام والمسيحية

لن تطول وقتنا في المقارنة بين الإسلام والمسيحية - لأن التركيز سيكون فقط على ما تضمنه العهد الجديد من إضافات إلى اليهودية وهي في حد ذاتها قليلة جداً - إذ لم تهتم المسيحية بضم الجزيئات وكثرة التفاصيل ومن ثم - فلن يجد الباحث في المسيحية نقاطاً كثيرة يمكنه المقارنة بينها وبين نظائرها في الإسلام .

ولنأخذ من نقاط عدة أعرض لما فيها بآتي :

## (١)

### في مجال العقيدة

#### ( أ ) الألوهية بين التثليث والتوحيد :

تمد المسيحية بثليثها خروجا صريحا على إجماع الأديان السماوية حيث اتخذت التوحيد أساساً تصدر عنه وتنتهي إليه ، فاعرفنا ديناً سماوياً قط يخرج عن التوحيد ويقول بالثنائية فضلا من التثليث .

ولقد عرض علينا القرآن دعوات الأنبياء السابقين فإذا أساس هذه الدعوات هو التوحيد .

فأبناء يعقوب يعاهدون أباهم على التوحيد وهو في اللحظات الأخيرة من حياته : أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون ، (١) .

ويوسف عليه السلام يهرجها في استنكار ما خرد يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، (٢) .

وكان أول ما ألقى به من حقائق الدين إلى موسى عليه السلام .

---

(١) البقرة ١٣٣ .

(٢) سورة يوسف ٣٩ .

« إنا نحن الله لا إله إلا أنا فاعبدني » (١) .

ويحكي القرآن الكريم عن ( نوح ، وهود ، وشعيب ؛ صالح ) أنهم كانوا يدعون أقوامهم قائلين : « أعبدوا الله ما لكم من إله غيره . . . وبالجملة - ما من نبي تصدى للدعوة إلى الله إلا كان أساس دعوته التوحيد : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢) .

فالمسيحية بما فيها من التثليث إذن تعد نشازاً بين الديانات السماوية الأمر الذي يؤكد أن عقيدة التثليث دخيلة على المسيحية الحقيقية وأن مصدرها وثني لا صلة له بتماليم السماء .

والواقع - أن أحرار الفكر من علماء المسيحية لم يقتنعوا قط بعقيدة التثليث بل لعلم نزعوا إلى ممارستها تميداً لاسقاطها من ديانتهم لولا أن تدخلت السياسة للإبقاء عليها بقوة السلطان .

ومن شواهد ذلك - ما حدث في مجمع ( نيقيا ) سنة ٣٢٤ ، فقد انعقد هذا المجمع للنظر في بعض الشئون المسيحية تحت رئاسة الإمبراطور ( قسطنطين ) الذي كان وثنياً شديد التعصب لوثنيته وإن قبل رئاسة المجمع كظهور من مظاهر العمل السياسي ، أو قل إن شئت كظهور من مظاهر التدخل في شئون المسيحية تحت ستار السلطة السياسية .

وقد ناقش المجمع فيما ناقشه موقف المسيحية من عقيدة التثليث والتوحيد في الألوهية ، وقد انقسم الأعضاء تجاه هذه المسألة فريقين :

---

(١) سورة طه ١٤ .

(٢) الأنبياء ٢٥ .



أحدهما - يقرر ضرورة الأخذ بعقيدة التوحيد كأساس من أسس المسيحية  
وكان هذا الفريق يمثل أكثرية الأعضاء إذ كان يضم ١٧٣٠ قساً على رأسهم  
(أريوس) .

والفريق الثاني - ينأى عن هذا الاتجاه ويرفض القول بالتوحيد ؛ وكان هذا  
الفريق يمثل الأقلية إذا كان يضم ٣١٨ قساً على رأسهم (أثناسيوس) .  
وقد انحاز (قسططين) إلى هذه الأقلية وحكم على (أريوس) بالطرد  
والحرمان (١) .

وهكذا نشأت عقيدة التثليث أساساً في ظل الاتجاه إلى تلقيح المسيحية  
بمبادئ العموب ضامناً لا نفقارها وحرصاً على طاعتها، ثم فرضت استمرارها قداسة  
الإرث الديني من جهة ، وقوة السلطان السيامي من جهة أخرى .  
ولم يزل المسيحيون حتى اليوم عاجزين تماماً عن فهم هذه العقيدة أو تصورها  
وإن كانوا يمدون الخروج عليها إلحاداً صريحاً يستوجب اللعن والطرد على نحو  
ما علمتهم الكنيسة .

وبقول القس (توفيق جيد) : (إن الثالث سر يصعب فهمه وإدراكه وإن  
من يحاول إدراك سر الثالث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها  
في كفه) (٢) .

وبحاول الأستاذ (عوض سمعان) : (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل  
والإدراك ، ولكنه يتوافق مع كمال الله كل التوافق) (٣) .

---

(١) المسيحية الرابعة للدكتور (رؤوف شلبي) - ص ١٢١ : ١٢٦ .

(٢) الله واحد أم ثلاث - ص ٧١ .

(٣) الله واحد أم ثلاث - ص ٧١ .

أما القس ( بوطر ) - فإنه يترف بما عليه عقيدة التثليث من غموض وتعقيد إلى حد استعصامها على الفهم وتعذرهما على الإدراك ، ولكنه يحلم باليوم الذي تنكشف له فيه هذه المسألة حين يمن الله عليه بمفاتيح أسرار الكون ، يقول القس ( بوطر ) :

وقد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، وزجوا أن نفهمه فهما أكثر جهلاء في المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات والأرض ، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه الكفاية (١) .

ويضيف الأستاذ ( محمد مجدى مرجان ) بعد أن أورد هذه الأقوال ونحوها بما يؤكد صعوبة فهم الثالث .

( ولقد قت بنفسى بتناقض كثير من الآخرة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة تارة حين كنت محسوباً في الجماعة المسيحية وتارة بعد انفلاخى عنها - وكثير من هؤلاء للمسيحيين أصدقاء وأقارب يولوننى تقهم وبصدقونى الحديث - فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالث للقدس ، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم ، وحين تناقض في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الإيمان بالثالث دون أى تمحيص أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالث تسلياً مطلقاً أى تسلياً أعمى فعلى للمسيحي أن يؤمن ويمتدأ أولاً في الثالث للقدس ، ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد ، فإذا لم يفلح في ذلك - فإنه خير له أن يلنى عقله ولا يلنى عقائد الآباء وراث الأجداد وتعاليم القس ) (٢) .

---

(١) الله واحد أم ثالث ص ٧١ .

ويسوق الشيخ (رحمت الله) الهندي مثلاً طريفاً يوضح إلى أى حد تنافي عقيدة التثليث مع منطق العقل واستقامة الفطرة فيقول :

( نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعليهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث - وكانوا في خدمته فجاء محب من أجباء هذا القسيس وسأله عن تنصر ؟ فقال : ثلاثة أشخاص تنصروا ، فسأل هذا المحب : هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية ؟ فقال : نعم ، وطلب واحداً منهم فسأله عن عقيدة التثليث فقال : إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة .

أحدهم الذي هو في السماء .

والثاني تولد من بطن مريم العذراء

والثالث - الذي نزل في صورة حمامة على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده .

ثم طلب الثاني وسأله ، فقال : أنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة ، وطلب واحد منهم ، قال باقي الإلهان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده .

ثم طلب الثالث - وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين - فسأله ، فقال : يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح - أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وطلب واحد منهم ومات فأتى الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفي الاتحاد (١) .

وهكذا - يتبين أن منغص الغموض الشديد في عقيدة التثليث إنما هو التنافي الحاد بين هذه العقيدة والاتجاه إلى التوحيد الذي يليق بذات الإله .

وأن محاولة الجمع بينهما في عقيدة واحدة هو محاولة لإلغاء وظيفة العقل بإكراهه على قبول الجمع بين النقيضين متمثلاً في وصف الله بالواحد والمتعدد .  
ومن ثم - يمكن القول بأن الصيغة المختارة للعبادة المسيحية ليست أكثر من ألفاظ مرصوفة فقدت دلالاتها اللغوية وتماسكها المنطقي يرددها القساوسة في الكنائس ترديدا آلياً دون أن يفقه عقـل أو يحضر قلب فما بالك باتباعهم المساكين الذين يلزمهم الوقوف عند حد ترديد الترانيم الكنسية دون التجاسر على مجرد السؤال - وإلا كان نصيهم مهانة الطرد وذل الحرمان .  
وفيما يلي - هذه الصيغة التي اتفق عليها أساقفة مجمع ( نيقيا ) الأول كصيغة للصلاة وقانون الإيمان :

( نؤمن بإله واحد الله الأب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء . معاً كان هذا الذي من أجلنا نحن البشر وذن أجل خلاصتنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس وصاب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث وعود إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذي ليس للملك انقضاء نعم نؤمن بالروح القدس ، الرب المحيي المنبثق من الأب ونسجد له ونمجده مع الأب والابن للناطق في الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى ، آمين )<sup>(١)</sup> .

---

(١) الله واحد أم ثلاث ص ٢٥

أين هذا الخبط في العقيدة والخلط في العبادة من استقامة الإسلام في عقيدته  
وعبادته على السواء ؟

إن الوحدانية في الإسلام - هي أول ما يجب أن يثبت لله من صفات بعد  
صفة لوجوده : شهد الله أنه لا إله إلا الله هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط  
لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، (١) .

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو  
الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر  
سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى  
يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، (٢) .

بل إن على المسلم - أن يرتقى في عقيدته عن مستوى الإيمان بالوحدانية إلى  
مستوى الإيمان بالآحادية وهي الوحدة المطلقة في الذات والصفة والفعل فليس  
له - سبحانه - نظير في ذاته ولا شبيه في صفاته ولا شريك في أفعاله ، وليس له  
جزء ولا جهة ولا صاحبة ولا ولد ولا كفي ولا والد ولا لا تمتريه حاجة ولا يموزه  
غرض وإنما يرجع إليه جميع خلقه بحراهم فيجيب من شاء برحمته ويعمل من  
شاء بحكمته .

وفي القرآن الكريم سورة تستحق ألقاها الميسورة إلى لسان المسلم فإذا هي  
نعيد رائج يلقى في وجدانه هذه الدفقات الروحية الخالصة عن معبوده العظيم :  
هو الله هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . .

(١) سورة آل عمران ، ١٨ .

(٢) سورة الحشر ، الآيات ٢٢ : ٢٤ .

وتؤكد هذه العقيدة في نفس المسلم دائماً بفضل ما يمارسه من ألوان العبادة وشعائر الدين ، في عبارات الآذان والإقامة ، وفي مناسك الحج والعمرة ، وفي أعمال الصلاة مفروضة كانت أو مستنونة .

وهكذا - يختلف الإسلام مع المسيحية في قضية الألوهية اختلاف الفطرة السوية مع التقييد الكهنوتي ، والمنطق المستقيم مع التقليد الأعمى الذى يقاوم كل منطق ويمارض كل استقامة :

« فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) .

وعلى الرغم من تألق التوحيد فى الإسلام ووصوله إلى أرقى مستوياته وأنقاها كما رأيت .

وعلى الرغم من تصدى الإسلام لهدم كل مظاهر الشرك وإثبات حقيقة التوحيد بكل ما يمكن من أنماط الأدلة وأنواع البراهين على نحو ما تقدم فى بيان موقف الإسلام من الوثنيين ، على الرغم من كل هذا - وجد من يدعى أن الإسلام بهبه المسيحية فى القول بالتثليث .

ذلك أن أنصارى حين هم عليهم أن يفهموا التثليث فضلاً عن أن يقوموا به غهرو أنفسهموا أن يجروا المسلمين معهم إلى ساحة الاتهام ، وكأنهم يريدون أن يقولوا . إن كنا قد ضللنا فإن لنا شركاء فى الضلال .

والقصة هى - أن القس ( باسيلوس اسحق ) ألف كتاباً سماه (الحق) أدعى فيه - أن الإسلام يقول بالتثليث الذى تقول به المسيحية .

وقد أورد عدة أدلة على هذه القضية الغريبة أو على هذا الزعم الفاسد .

فقد ذكر أن المسلم يبدأ صلاته بقوله بسم الله الرحمن الرحيم ، كما يبدأ  
المسيحي صلاته : بسم الآب والابن والروح القدس .

وإذا أقسم المسلم قسماً مغاظاً ، قال : والله العظيم ثلاثاً ، أى أنه يقسم بالآب  
والابن والروح القدس .

وإذا طلق المسلم زوجته طلاقاً بائناً بينونه كبرى : طلقها ثلاثاً .. أى أنه  
يطلقها بسم الآب والابن والروح القدس ، وهذه كلها من أدلة إيمان المسلمين  
بالتثليث .

وقد علق الأستاذ ( محمد عبد اللطيف الخطيب ) على هذا النوع السخيف  
قائلاً :

( هذا كلام كما ترى غير قابل للرد عليه لإطلاقنا اتفاهته ووضوح بطلانه ،  
ونفى من التثليث عند المسلمين قوله تعالى ( فصيام ثلاثة أيام ) وقوله ( ثلاثة  
قروء ) ، وقوله عز سلطانه ( وعلى الثلاثة الذين خلفوا ) ، وقوله تعالى ( تمتعوا  
في داركم ثلاثة أيام ) ، وقوله جل شأنه ( وكنتم أزواجاً ثلاثة ) ، وقوله عز  
وجل ( فعدتين ثلاثة أشهر ) ، وهكذا فإن فيه الكثير من التثليث .

أخواه الله تعالى وزاده جهلاً ولو أن جهله لا يقبل المزيد (١) .

أما الأستاذ ( محمد مجدى مرجان ) فيرد على استدلال القس ( باسيلوس )  
بالهبة الإسلامية على عقيدة الثالوث عند المسلمين فيقول :

---

(١) هذا من الحق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

( ونحن إذا تابعنا هذا الرأي فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث بل أيضاً على التسبيع ووجود سبعة آلهة وليس ثلاثة وذلك بما ورد في أول سورة غافر ، حم نزل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب الله شديد العقاب ذي الطول ، .

بل يمكن أيضاً أن يجرى الزيف والضلal فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلهاً وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر التي ورد بها سبعة عشر اسماً وصفة من الصفات التي يتصف بها الرحمن والتي لا يحصيها بيان .

ومع ذلك فإن قسيسنا الفاضل القمص ( باسيلوس اسحق ) يتحدى في ادعائه ويقوم باستجلاب بعض الالفاظ الخارجة التي يتلفظ بها العامة أحياناً ، ثم يقوم بتحميل تلك الالفاظ فوق ما تحتمل أو تطيق رغبة منه في إلصاق تهمة التثليث بها وهي بريئة منها براءة الحلال (١) .

والواقع أن ( القس باسيلوس ) قد تجاهل عامداً الفرق الحائل بين القول بثلاثة أغانيم كل منها إله — وهو ما ين به النصارى — والقول بإله واحد من كل وجه وله صفات كثيرة تدل على كاله — وهو ما يدين به المسلمون .

ولم يكن هذا الفرق ليخفى عليه ولا على غيره — فقد جرى العرف في كل اللغات على وصف شخص ما بعدة صفات دون أن يؤدي ذلك إلى القول بكثرته أو تعدده فالمعجب من ادعاء أن القسمية الإسلامية تعبر عن عقيدة التثليث .



أما اسفهاده على دعواه الغريبة بما يجرى على السنة العامة في إيمانهم -  
فتكلف في غاية السخف كما أشار الأستاذان ( الخطيب ومرجان )  
وفي مقدور أى مسلم سطحى الثقافة أن يكشف ما فيه من زيف وتضليل .  
وثبقى في النهاية الحقيقة التى تفرض نفسها وهى أن المسيحية دين الثالث  
الفاغض .

أما الإسلام - فهو دين التوحيد الخالص الصريح .

( ب ) النبوات بين نبوة البشر لله ونبوة الأنبياء :

يتفق النصارى مع اليهود في تقديس أسفار العهد القديم، ومن ثم - ينسبون  
إلى أنبياء بنى إسرائيل ما تنسبه إليهم هذه الأسفار من ممارسة الكبار وإتيان  
المنكرات ، وبالتالي - يمكن أن توجه إليهم نفس الملاحظات التى توجه إلى  
أسلافهم في الضلال .

ولكن الجانب الهام الذى يربط بالنصارى وحدهم - هو ما يتصل  
باعتقادهم فى المسيح عليه السلام ، فإنهم لم يقفوا به عند وصف النبوة بما تقتضيه  
من وجوه السكال البشرى وهو مقام الصفة الممتازة من عباد الله وإنما صدوا  
به إلى مستوى آخر منه خيالهم الممنح وأوهامهم الطائفة وذلك حين تصوروا  
أنه ابن الله وحاول أقومهم رأياً أن يرجوا فيه بين الناسوت واللاهوت بشارات  
أقرب إلى الهديان .

على أن فى كلام المسيح نفسه ما كان يجب أن يبعد هذا الوم السخيف عن  
مجرد التصور ، فإنه لم يزل يردد فى حياته أنه ابن الإنسان وأن النبوة المجازية  
فه أفق رحب يتسع للجميع دون أن يكون له استثناء به ولكنهم أهر

إلا أن يسيرا مع الوم إلى آخر القوط غور آبهن له ماء العقل الملح ونصوص النقل الصريح .

والغريب - أن الاناجيل التي وصفت المسيح أحيانا بأنه ابن الله - وصفت أحيانا أخرى بأنه حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (١) .

وقد كان ينبغي أن تفهم هذه الأوصاف على أنها من مجاز التعبير لا على أنها من أصول الاعتقاد .

وعلى أى حال - فإن الإسلام يختلف مع المسيحية اختلافا شديداً في هاتين المسألتين :

١ - بشوة أحد من الخلق لله على المعنى الحقيقي .

٢ - فحمل أحد من الخلق خطأيا سواء نحت أى أسم من الأسماء ، أو نحت أى ظرف من الظروف .

أما فيما يتعلق بالمسألة الأولى - فإن القرآن وصف محمداً عليه السلام بالخلق العظيم والسراج المنير واعتبر رسالته ختاماً للرسالات ورحمة للعالمين ، ولكنه مع ذلك ركز بشكل عاصر على جانب البشرية فيه .

فهو عليه السلام يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ، وهو يوت ويصمت تماماً كغيره من الأنبياء ، بل كغيره من بنى البشر جميعاً :

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق » (٢) .

---

(١) الإنصاح الأول من إنجيل يوحنا .

(٢) سورة الفرقان ٧

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق » (١).

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون » (٢).

« إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (٣).

وقد حسب المشركون ذات يوم أن النبوة ينبغي أن تمنح النبی طاعة التصرف في أمور الكون والتحكم في نواويس الوجود فقدموا إلى محمد ﷺ مطالبهم السخيفة التي علقوا عليها إيمانهم به

ويعرض القرآن الكريم هذه المطالب ممقبا عليها بما يحدد على وجه الدقة وظيفة (محمد ﷺ) ومكانته ، فيعالج بذلك طريق الغلو المتطرف في تقديسه والمبالغة المجاوزة في الولاء له ، بقول سبحانه :

« وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالثور والملاك كقبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء وإنؤمن لرفيقك حتى تنزل علينا كتابا نقرأ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا » (٤).

(١) الفرقان ٢٠ .

(٢) الأنبياء ٢٤ .

(٣) الزمر ٣٠ ، ٣١ .

(٤) الإسراء الآيات ٩٠ : ٩٣ .

هذا هو ، انتهى القول فيه ( بشر ، رسول ) ، لا تغض البشرية من رسالته ،  
ولا تجرده الرسالة من بشريته .

فن حججته بشرية الرسول عن ملاحظة رسالته ، فقد كفر .

ومن بهرته نبوة الإنسان فقال بتأليه ، فقد أشرك :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فن كان  
يرجـو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١) .

وبما هو جدير بالتنويه — أن معجزة الإسلام الكبرى إنما هي وحي إلهي  
لا فضل لمحمد فيه إلا أمانة التبليغ ، وليس لإنجازاً مادياً خارقاً يمكن أن يصرف  
عامة المسلمين عن السماء إلى الأرض ، ويضلهم عن المرسل بالرسول فهدفوا به  
إلى مقام ليس له .

ولهذا — لم يقل أحد من المسلمين قط بألوهية ( محمد ) صلى الله عليه وسلم  
مع أن منهم من قال بألوهية بعض أتباعه كما هو اعتقاد غلاة الشيعة في ( علي )  
رضي الله عنه .

بل إن القرآن لا يفتأ بجسد أخطاء النبي الكريم ويذكر بمواضع ضعفه  
وقصوره تأكيداً لجانب البشرية فيه .

على العكس من الاناجيل والرسائل الكاثوليكية التي تلج على  
إبراز الجوانب البطولي في شخص المسيح تمهيداً للقول بألوهيته أو بنوته لله  
هو وجل .

أما فيما يتعلق بالمسألة الثانية وهي عدم تحمل أحد من الخلق خطايا سواه - فنحن نذكر أن المسيحية قد حملت بنى آدم خطيئة أبيهم بأكله من الفجرة المحرمة ، ثم كثرت عن هذه الخطيئة الموروثة ببذل الله ولده الوحيد حيث صلب وقتل فداء لبنى الإنسان .

وعلى الرغم مما في هذا البذل من مناقاة صريحة لمنطق الاعتزاز بالابن الوحيد كما أشرنا في تمقيب سابق على المسيحية ، إلا أن فيه أيضا مناقاة صريحة للعدل الإلهي ، إذ يتحمل البشر خطيئة لم يرتكبوها ، ويتلقى المسيح فصاها لا يستحقه .

أما في الإسلام - فترتبط المسؤولية بالفعل والعمل بالجواز بحيث لا يسأل أحد عما لم يفعل ولا يعاقب على ما لم يعمل :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . » (١) .

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأولي » (٢) .

وأكتفى بهذا القدر في المقارنة بين الإسلام والمسيحية في مجال العقيدة .

ولأن أتمرض لقضية المبادئ لأن الدينين متفقان في أساس القضية وإن زاد الإسلام بعرض من التفاصيل المتصلة بيوم الحساب .

فهر أن ثمة إشارة ضرورية في هذا الصدد إلى نقطة جوهرية يفرق فيها الدينان .

---

(١) - سورة الزلزال ، الآيات ٧ ، ٨ .

(٢) سورة النجم ٣٩ ، ٤١ .

وهي :

أن المسيحية تـكـل الحـصـاب والدينونة إلى ( عيسى ) عليه السلام .

بينما يمد ذلك في الإسلام من شئون الله عز وجل .

بيد أن هذه المسألة لا تستحق وقفة طويلة ، إذ ما دامت المسيحية قد  
ارتفعت بالمسيح إلى مستوى الألوهية - فإن لها أن توزع الاختصاصات العليا  
بين أفراد الثالوث كما تها .

فلتجاوز هذه النقطة إذن ، ولنتقل الآن إلى المقارنة في مجال الشريعة .

## ( ٢ )

### في مجال الشريعة

نقل إنجيل متى عن المسيح عليه السلام أنه قال :

( لا تظن أني جئت لآنقض التاموس أو الأنبياء ، ما جئت لآنقض بل لا أكمل )  
فاني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولا يزول حرف واحد أو  
نقطة واحدة من التاموس حتى يكون الكل ، فن نقض إحدى هذه الوصايا  
الصغرى وعلم الناس هكذا يدهى أصغر في ملكوت السموات ، وأما من عمل  
وعلم فهذا يدهى عظيما في ملكوت السموات )<sup>(١)</sup> .

وقد فهم الباحثين أن هذا النص إنما يؤكد الإلتزام التام الدقيق بشريعة  
التوراة بحيث لا يكون ثمة أدنى مجال للتغيير .

- في هذه الشريعة ، وإمكن النص فيما أظن لا يعطى هذا المعنى ، إذ الأقرب  
إلى المقول - أن يكون المقصود هو نفي الاتجاه إلى النقض الكلي للتاموس ،  
أو عدم معارضة الروح العام للشريعة ، وإلا - فإن هناك مسألة واحدة على الأقل  
مخالفة فيها ( عيسى ) - عليه السلام - شريعة التوراة وهي مسألة العمل في السبت ،  
فقد حرمته التوراة وجعلت عقوبته القتل ، بينما أحله ( عيسى ) فيما تنقله عنه  
الإنجيل .

وربما كانت الإشارة إلى هذه المسألة في نحو قوله تعالى على لسان المسيح :

---

(١) الإصحاح الخامس .

و مصداقاً لما بين يدي من التوراة ولا حول لكم بعض الذي حرم عليكم<sup>(١)</sup> .

على أن الأمر في المسيحية لا يتوقف على دور ( عيسى ) عليه السلام وحده .  
فمنك واضعوا الاناجيل واساخها ومفسروها .

وهناك أيضاً ( بولس ) الذي قام بالهزول الأكبر بإدخال تغييرات جذرية عميقة على المسيحية .

ومن أبرز ما يتصل بالشريعة من هذه التغييرات - تحريم الختان - فقد كان الختان هو شريعة ( عيسى ) عن ( موسى ) عليهما السلام فحرمه ( بولس ) - لأنه لا يتفق مع تفاليد اليونان الذين يحرص على نشر المسيحية بينهم<sup>(٢)</sup> .

وقد كانت هذه التغييرات تؤذي مشاعر الحوار بين الخاص الذين امتثلوا ولا المسيحية الأصلية .

نلبس هذه المشاعر بوضوح في مقدمة إنجيل ( برنابا ) - وهو إنجيل لا يعترف به المسيحيون ولا يعدونه ضمن أسفار العهد الجديد .

يقول ( برنابا ) أيها الاعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثير بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به دائماً بجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عداوم أيضاً .

---

(١) آل عمران ، ٥٥

(٢) الدكتور رؤوف شلبي : المسيحية الرابعة ، ص ٨١



بواس الذي لا أنكم عنه إلا مع الأنس ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيتُه وسمعتُه أثناء معاشرتي ليسوع الذي تفاصوا ولا بضلكم الشيطان فتماكبوا في دهنونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاف لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا .

ومما يكن من شيء - فالمسيحية رغم كل ما دخل عليها من إضافات لا تزال نقيدا أخلاقيا تسوده في أعطافه نبرة الحب .

وربما أمكن تحديد ما تضمنته من التشريعات الجديدة المتعلقة بالنظام الإجتماعي في مسألتين اثنتين :

المسألة الأولى - هو منح تعدد الزوجات خلافا لما عليه كل من اليهودية والإسلام .

والمسألة الثانية - هي تحريم الطلاق إلا في حالة الخيانة الزوجية خلافا للإسلام الذي يجعل الطلاق حقا مباحا للزوج مع الكراهة ، وخلافا لليهودية أيضا التي جعلت الطلاق هو القاعدة العامة التي لا تتخلف إلا في إستثناءات قليلة .

وقد كمانا أحرار الفكر من النصارى أنفسهم مؤونة المقارنة بين الإسلام والمسيحية في هاتين المسألتين .

فقد لاحظ هؤلاء الأحرار - أن الأخذ بالشريعة المسيحية فيهما قد أدى إلى مشكلات خطيرة زادت الواقع الاجتماعي تعقيدا ، ومن ثم - لم يعد لديهم شك في ضرورة الأخذ بالنظام الإسلامي الذي يعد النظام الأمثل لتفادي هذه المشكلات .

وأكتفى هنا بعرض مثالين لإثبات لهذا الموقف الجديد :

أحدهما - يحصل بتعدد الزوجات .

والآخر يتصل بمسألة الطلاق .

المثال الأول : في أعقاب الحرب العالمية الثانية وجدت ألمانيا نفسها أمام إحدى المشكلات المزعجة ، وهي وجود عدد رهيب من الأراامل اللاتي فقدن أزواجهن في الحرب .

ووجود هذا العدد يشكل ولا شك عبئا على الإقتصاد القومى - لأن أكثر هؤلاء الأراامل لم يتعودن الخروج للعمل وكسب الرزق ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى - فإن وجود مثل هذا العدد من الأراامل يسبب مفاصد أخلاقية لا سبيل إلى تجاهلها أو الإغضاء عنها .

هذا فضلا عن أن فقد زهرة الشباب الألمانى في الحرب إنما يندب بوجود عدد آخر من العوانس الأمر الذى يترتب عليه مزيد من الفوضى والانحلال وقد اجتمع البرلمان الألمانى - فتدارس هذا الموقف الخطير ، ونظر في الحلول المقترحة لهذه المشكلة .

وانتهى الاجتماع الذى أتمر عدة جلسات إلى ضرورة الأخذ بنظام تعدد الزوجات والعدول عما تفرضه الشريعة المسيحية من الاكتفاء بزوجة واحدة .

المثال الثانى : اجتمع البرلمان البرازيلى للنظر فى قانون الطلاق المستمد من المذهب الكاثوليكي ، وقد انتهى فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٦/٦/١٩٧٧ إلى ضرورة إباحة الطلاق للزوج . وفى الظروف التى يراها موجبة لذلك ، وإلغاء القانون المهار إليه وهو القانون الذى يحظر الطلاق حظرا تاما ، وذلك بأغلبية ١٩٠ عضوا ضد ٥٦ عضوا .

وهكذا - يقترب العالم إلى الشريعة الإسلامية كلها انقذ الهوى والتعصب وأحسن تصور الأمور والحكم عليها .

وأي شرع أحكم من شرع ارتضاه الله الإنسانية إلى يوم الدين ؟  
« اليوم أكلت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) .

ولا بد من التذكير بأن تعدد الزوجات ليس مباحاً في الإسلام على إطلاقه وإنما له قيوده وحدوده التي سبقت الإشارة إليها عند المقارنة مع اليهودية .  
أما الطلاق - فهو في الإسلام أشبه شيء بالعملية الجراحية التي لا يلجأ إليها الطبيب إلا إذا فشلت شتى الوسائل الممكنة .

وإلى الوسائل التي ينبغي التدرج فيها قبل الوصول إلى هذه العملية الحرجة المسماة بالطلاق - يشير قوله تعالى :

« واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان عليماً كبيراً » وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً » (١) .

فإن فشلت كل هذه الوسائل وتمذر الإصلاح في كل تلك المراحل - فقد صار الطلاق هو الضرورة المتينة التي لا بد من لها ولا خيار فيها :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً » (٢) .

ويبقى الطلاق في النهاية هو أبغض الحلال إلى الله كما يقول الحديث الشريف .

---

(١) المائدة ، ٣٠

(٢) النساء ، ٣٤ ، ٣٥

(٣) النساء ، ١٣٠

فخلاصة الموقف إذن ، أن المسيحية سلبت حرية الرجل في التعدد والطلاق  
شكا منها في أهليته لهذه الحرية .

بينما أعطاه الإسلام حقه الطبيعي في ذلك مقترنا بمسئوليته الكاملة عن سوء  
استخدام هذا الحق .

فالفرق بين المسيحي والمسلم في المثالين ، هو الفرق بين العبودية المقهورة  
والحرية المسئولة ، بين الفريضة المحبطة خوفاً من جنوحها ، والعقل المخير ثقة  
بتمييزه ، بين القصور الصباني الذي لا قدرة له على التصرف ، والرجولة الكاملة  
التي استجمعت مقومات القيادة . فإعظم الفرق ، وما أبعد المسافة .

## ( ٣ )

### في مجال الأخلاق

عرفنا - أن المسيحية في جوهرها ناط من التعاليم الأخلاقية التي تحاول أن  
تحيى في القلوب معاصر المحبة والسلام .

وقد كان المجتمع الإسرائيلي إبان ظهور المسيح عليه السلام في أشد الحاجة  
إلى أناس يعتقدون هذه التعاليم لبحث نوع من التوازن مع ما كان سائداً من  
الفسرة والوحشية والعنصرية والحرص المصرف على جمع المال .

ومع ذلك - فلا بد من القول بأن الأخلاق المسيحية الجديدة كانت تتم  
بالتطرف الروحي الشديد في مقابلة التطرف المادي الشديد الذي كانت تقسم به  
الأخلاق اليهودية الصاعدة .

أي أن الشخصية المسيحية قد استعلت برومانيتها الحاملة على الإنسان بينما  
هبطت الشخصية اليهودية بمادييتها الآثمة إلى مستوى الحيوان .

وتبرز شخصية المسلم بوسطيتها الرائعة بين تطرف أولئك وتطرف هؤلاء .  
نظام من نسوة اليهودى بروحانيتهما الحقيقية . ونشر حول المسيحي بقوتها  
الصاعدة .

إن المجتمع الإنساني لا يتألف من ملائكة أطهار ، ولا من شياطين جبابرة  
فل المرء إذن أن يحمل في يمينه سيف القوة ، وفي يساره غصن الزيتون .

ولهذا الإمتياز الراجح في شخصية المسلم أبرز الله تعالى منه في توراته

جانب الرحمة ، وأبرز منه في إنجيله جانب القوة ، وعبر عن ذلك كله في آرائه حيث قال :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأً فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً » (١) .

فإذا أردنا للمقارنة أن نقف عند نقاط محددة من الأخلاق المسيحية فإن من أوضح هذه الأخلاق شيوها في الأناجيل : ١ - الزهد ٢ - السلام . وسأخص كلا من الخلقين بكلمة قصيرة .

#### ١ - الزهد :

الزهد في المسيحية ، مقاومة عنيفة للميل الطبيعية في الإنسان ، وقد نهأ عنه نظام الرهبانية الذي يحرم الزواج على الرهبان .

ولم يطق الرهبان صبرا على هذا الكبت الذي يتصادم مع الطبيعة الإنسانية فبدأوا يتصلون بالراهبات اتصالاً آثماً إنطلقت فيه غرائزهم المكبوتة ورغباتهم المحبطة ، وقد أطلقوا على هذا اللون من الاتصال إسم (المساكنة الروحية) .

ولعل ذلك النظام التمسني الذي لم يطبقوا الصبر عليه ، هو المشار إليه في قوله سبحانه متحدثاً عن أتباع المسيح عليه السلام :

« وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها

عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فادعوا حق رعايتها فساتيننا الذين آمنوا منهم  
أجرهم وكثير منهم فاسقون ، (١) .

وقد ذكرنا ، أن هذا الفساد الأخلاق الذي نشأ عن نظام الرهبانية كان أحد  
الأسباب المباشرة لحركة الإصلاح الديني التي قام بها ( مارتن لوتر ) .

فإذا ما انتقلنا إلى الزهد الإسلامي ، لم نجد فيه هذا القهر القاسي لميول النفس  
ولا هذه المقاومة العنيفة لرغباتها المشروعة ، ذلك لأن النظرة الإسلامية تقيم  
الزهد على أساس التفرقة بين المشروع والممنوع أو بين الحلال والحرام وهي  
نظرة تضع في اعتبارها دائما المطالب الملحة للطبيعة البشرية والحدود الضرورية  
للمجتمع الآمن ، ومن ثم ، كان المقصود بالزهد في الإسلام ، هو الزهد فيما  
ورد بتحريمه نص أو حامت حوله شبهة .

أما ما وراء ذلك ، فلا بأس أن ينال المرء منه ما يشاء مع مراعاة القصد  
حفاظا على صحة البدن قبل أي اعتبار آخر .

• يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه  
لا يحب المسرفين • قل من حرم زينته الله التي لعباده والعلييات من الرزق قل  
هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفع الآيات لقوم  
يعلمون • قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم بغير الحق  
وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، (٢) .

إن إسقياء المرء نصيبه من طيبات الحياة لا يفتنى مع زهده ، بل ولا بعونه  
من بلوغ الدرجة القصوى في تقوى الله تعالى وخصيته .

---

(١) سورة الحديد ، ٢٩

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ٣١ : ٣٣

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : أن أخذ النفس بما لا تطيق من ألوان الزهد في الحلال - ربما ألقى بالمرء إلى طريق غير طريق المسلمين .

فقد انطلق ثلاثة إلى بيت النبي ﷺ - يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا : ما لنا ورسول الله ﷺ - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثاني : وأما أنا - فأقوم الليل ولا أنام .

وقال الثالث : أما أنا - فلا أنزوج النساء .

فلما بلغ أمرهم رسول الله وإمام الزاهدين - قال لهم : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، قالوا نعم ، قال : أما والله إنى أتناكم لله وأبكمى أصوم وأفطر وأصل من الليل وأنام ، وأنزوج النساء - فمن رغب عن سنتى فليس منى .

فالزهد الإسلامى إذن - تمام ميسور عند المسلم لا مكان فيه للقلق والتوتر والعقد النفسية .

أما الزهد المسيحى - فيقتصر الطريق إلى ذلك كله بكبت المواقف الطبيعية وإحباط الرغبات المشروعة ريثما تتاح لها فرصة المساكمة الروحية .

## ٢ - السلام :

السلام فى المسيحية - نوع من البطولة الروافية الراقفة ، أو الصبر البرزى المبين .

لأن السلام الذليل الذى يفرض على المسيحى أن يقابل إساءة أعدائه بشئ بامم ويتلقى طعناتهم القاسية بالصفح والإحسان .

سلام يسلب المسيحى ملكيته حتى لشئبه ورحاه ، ويحل به حرته حتى



في اختيار طريقه وتوجيه خطواته ، ويسلبه حقه حتى في حماية بدنه وحفظ كرامته : ( من اطمك على خدك الايمن فأدر له الايسر ، ومن نازحك ثوبك فأعطه الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا فسر معه ميلين ) .

ولم يكن الإسلام ليضع الفرمة كاملة أمام البغاة وقطاع الطريق ويجمع المعتدين على هذا النحو فيزدادوا عدوانا وإثما .

لم يكن ليقبل مهانة الشرفاء وذل الاتقياء على هذا النحو المورى بدعوى المودة أو السلام ، فإن الإنسان ليس جهازا آليا تمل عليه الأوامر فلا يملك إلا الطاعة ولا يستطيع إلا التنفيذ ، ولكنه كيان نفسى قاهر بالمفاهيم والأحاسيس ، ومن حقه - أن تحترم مشاعره وتسان كرامته .

من حقه - بل ومن حق المجتمع أيضا - أن تكفل له الدولة الفرصة المناسبة للقصاص من ظالمه : « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (١) .  
« ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » (٢) .

ومع ذلك - فلا يزال الإسلام يرغب في أن يقسمى باختياره المطلق وحرية الكاملة فوق إرادة النار وشهوة الانتقام فيعفو عن ظالمه عفو القادرين لا عفو العاجزين محسبا أجر عفوهم عند من لا يضع أجر المحسنين :

« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، (٣) .

---

(١) البقرة ، الآية ١٩٤

(٢) سورة البقرة ؛ ١٧٩

(٣) سورة آل عمران ، ١٣٣ ، ١٣٤

• وإن عاقبتهم فمافبوا بثل ما عوقبتهم به وإن صبرتم لم يغير للمصبرين، (١) .  
• والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون • وجزاء سيئة سيئة مثلها لمن هذا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين • ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل • إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم • ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور، (٢) .

وهكذا يجر الإسلام المظلوم بين مبدأى العدل والفضل ، فإن شاء أخذ بحقه عزيزا عادلا ، وإن شاء تنازل عنه كريما متفضلا .

هذا سلام القادرين القادرين على صد الظلم ودرء العدوان .  
القادرين فى الوقت نفسه على إصدار العفو وفعل الإحسان .

فأين منه سلام العاجزين الذين شلت المسيحية أيديهم من حماية أنفسهم وصيانة كرامتهم ، وشلت أصدانهم أمام ظالمهم إلا أن تهتف فى صم ذليل بكلمة شكر زائف على الحق الضائع والشرف المهان .

هنا هذا الحد تنهى مقارنتنا بين الإسلام والمسيحية فى مجالات ( العقيدة والشرعة والأخلاق ) ومنها نستطيع أن نخلص إلى النتائج العامة التالية :

١ - شذت المسيحية عن سائر الأديان السماوية بخروجها عن مبدأ التوحيد وتقريرها الثالث الإلهى ، وحرس الإسلام على تأكيد ما قرره الأديان السماوية السابقة من أمر التوحيد .

---

(١) سورة النحل ، ١٢٦

(٢) سورة العورى ، الآيات ٣٩ : ٤٣

٢ - ارتفعت المسيحية بنبيها عن مستوى البشرية حيث زعمت بنوته لله عز وجل ورواه الإسلام في نبيه بل وفي سائر الأنبياء عليهم السلام بين النبوة ومقام البشرية الخاصة .

٣ - قررت المسيحية - أن ( عيسى ) عليه السلام هو الذى سوف يحاسب الناس يوم القيامة وذلك إمعانا منها في تأليهه ، وروى الإسلام ذلك إلى الله سبحانه بناء على علمه وقدرته وعدله وحكمته .

٤ - نعت المسيحية في حظر الطلاق وتعدد الزوجات منحى غير واقعى يقوم على أساس الشك في أهلية الرجل لممارسة حقه الطبيعى ، وكانت نظرة الإسلام واقعية حكيمة تحقق خير الأسرة والمجتمع على السواء .

٥ - تجاهلت المسيحية دوافع الفرد وحاجاته النفسية ، وأولت الأخلاق الإسلامية تلك الدوافع والحاجات ما تستحقه من الرعاية والاهتمام .

فإذا أضفنا هذه النتائج إلى النتائج التى سبق استخلاصها من المقارنة بين الإسلام واليهودية ظهر لنا إلى أى حد بلغ الإسلام من العظمة والهموخ ومن الاحالة والمروامة وتأكد لدينا - أن هذا الدين بمبادئه القوية وقيمه السامية هو الطريق الأمثل لتحقيق خير الفرد والجماعة وسعادة الدنيا والآخرة :

و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .  
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، (١) .

## خاتمة

### لن يطفئوا النور

هانت أيها القارىء العزيز قد طفت معنا بين الأديان وتبين لك - أن الإسلام هو الدين الحق - فتعين هذا الدين سبيلا للنجاة وطريقا للخلاص .

وقد كان أهل الكتاب أجدر الناس جميعا بالإقبال على هذا الدين والولاء له ، وذلك لما تأكد من مراجعة كتبهم المقدسة من حقيقة هذا الدين .

بل لقد كان في موقف الإسلام نفسه من أهل الكتاب ما ينبغى أن يجتذبهم إليه ويؤلفهم حوله . ولكن الذى حدث كان على العكس تماما ، فقد تحمقوا كل فرصة مناسبة للتآمر ضده والنيل منه .

أقد امتد نور الإسلام إلى أقطار شتى وأمم مختلفة فحضر أناسا لا شأن لهم بالحضارة وطبق آفاقا لا عهد لها بالنور .

أقد انتشرت المآذن الشاهقة هنا وهناك حتى أوشكت أن تهر بكلمة التوحيد ثالث فرنسا وتزلزل وثنية الصين .

وفى طريق زحفه الجاسم غزا أفئدة رانست عليها اليهودية بماديتها الصفيقة أو صقلتها المسيحية بروحانياتها الحاملة ، وبين هذه وتلك - أفئدة تحطمت على صخر عنادها السافر وأخرى دفعت أصحابها إلى اليأذ بكهوف الأمان فى هدوء . ولم يكن آمن هؤلاء الكتابيين من القسرة بالإسلام ، أو التظاهر بالمسالمة فإن ذلك وحده كاف لرفق بهم والإحسان إليهم لاستجابة لأمر الله وأمر رسوله .

ومؤلاء الهاربون بأنفسهم من وجه الزحف العظي - الملتصمون منهم  
في كهوف الصمت ومغاور الممانعة هم الذين خططوا للنيل من الإسلام وحلوا  
بالقضاء عليه .

وكان نشاطهم يمتصم بالخفاء غالباً ويتججج بالظهور أحياناً ، وهذا يتوقف  
على يقظة المسلمين أو غفلتهم ، وعلى قوتهم أو ضعفهم .

وقد قام اليهود والنصارى بأدوار متفاوتة في هذا النشاط وإن غلبت على  
النشاط اليهودي سمة التخطيط السري ، وغلبت على النشاط المسيحي سمة المواجهة  
السافرة .

ونستطيع أن نجمل المظاهر البارزة لهذا النشاط بشكل عام على النحو التالي:

١ - حركة إدخال الإسرائيليات في الثقافة الإسلامية .

٢ - توجيه المطاعن إلى الإسلام .

٣ - تشجيع الجماعات الخارجة على الإسلام .

٤ - إذكاء العصبية الدينية ضد الإسلام .

وسنخص كلا من هذه المظاهر الأربعة بكلمة قصيرة .

١ - إدخال الإسرائيليات في الثقافة الإسلامية :

وقف اليهود في وجه الإسلام يقاومون مداه الزاحف إلى الحواضر والبوادي  
ونوره الدافق في الأفئدة والقلوب - مرة بسيوف حفرها لهب الكراهية ،  
وأخرى بأسنة تقطر منها بذاءة السفهاء .

ولكن النور الدافق لم يردد إلا نألقاً ، والزحف المبارك لم يردد إلا تقدماً  
وإنطلاقاً .

ولم يجد أولئك الحاقدون بدا من أن ينصرفوا عن ميدان المواجهة بعد أن سقطت فيه رؤوسهم المتعجرفة وخرست أسننتهم السليطة .

فلاذت البقايا المقهورة بالصمت وهي ترتقب أنسب الفرص لاستئصال سمعها الخبيث .

وانبعث شعاع الأمل الآثم بين ركام الأحقاد المنقنة والعداوات الموروثة .  
بعد مقتل ( عمر ) رضی الله عنه .

فقد تبدلت حال الخلافة من شدة وحزم إلى تساهل ولين .

وتبدل الطابع العام في الأمة الإسلامية من الحرص على دين الله والنسك  
بهدي نبيه إلى الرغبة في زخارف الدنيا والإقبال على متع الحياة .

وانطلق خفافيش الظلام يستأنفون سمعهم الخبيث ضد الإسلام ، ولكنهم  
كانوا قد تعلموا من السنوات التي أربت على الثلاثين - أنه لا قبل لأمثالهم  
بالمواجهة العلنية للدين الجديد ، فإكانوا أقوى شوكة من الفرس ولا أعر جندا  
من الروم ، وقد سقطت فلاج الدولتين تباعا في أيدي المسلمين حتى لكانهم مع  
النصر على ميعاد .

أفوم السبل إذن - أن ياجشوا إلى الدس الخفي والتدبير المحكم والتخطيط  
المرحلي المحسوب - وهي أساليب أجادها اليهود أكثر من غيرهم وشهد لهم  
التاريخ في اصطناعها بسعة الباع ورسوخ القدم .

وكان أخطر ما أصفرت عنه مؤتمراتهم ومؤامراتهم - أن أفحموا على  
السنة الشريفة كثرا من الإسرائيليات الهدامة التي صارت مع الأيام جزءا من  
السنة بصمم تمييزه من الأحاديث الصحيحة .

وسرطان ما تسلك هذه الإسرائيليات إلى كتب العقيدة والتفسير وصارفت

جراً لا ينفصل من عقائنا العربية الممتدة أو من ثقافتنا الإسلامية الموروثة ،  
وانعكس أثرها على طرق تفكيرنا وأساليب حياتنا فبعد بنا قايلاً أو كثيراً عن  
جوهر ديننا الأصيل .

وقد تم ذلك كله عن طريق بعض اليهود الذين تظاهروا باعتراف الإسلام  
وأخذوا يمارسون دورهم الخطير دون أن نحوم حول نزاهتهم شبهة أو يرقى إلى  
ورعهم اتهام .

على أن الدائرة لم تلبث أن اتسعت لتشمل بعض المسيحيين الذين أسهموا  
في هذا النشاط الهدام بوعى كامل ، وبعض المسلمين الذين أسهموا فيه أيضاً دون  
وعى بطبيعته ولا بصير بنتائجه .

ولعل في رسوخ عقيدتي رفع ( عيسى ) عليه السلام إلى السماء بجسده وروحه ،  
ونزوله آخر الزمان على نحو ما يئناه في موضعه من هذه الدراسة - لعل في رسوخ  
هاتين العقيدتين في أذهان المسلمين ما يمثل شاهداً قريباً لتسلل الإسرائيليات  
إلى الثقافة الإسلامية .

#### ٢ - توجيه المطاعن إلى الإسلام :

اهتم المستشرقون والمبشرون بدراسة الإسلام لا نهديانا لما فيه من معالم  
الحق ، ولا القاسما لما تضمنه من أسباب الهداية ، وإنما محاولة لتصيد بعد النقاط  
التي يمكنهم من خلالها الطعن على الإسلام ، وذلك باصطناع وجوه غريبة من  
التفسير الذي لا يتفق مطلقاً مع الفهم المستقيم لمبادئ الإسلام .

ومن أشهر المطاعن التي وجهت إلى الإسلام والتي تم عن كثرة من سوء  
الفهم وكثرة من سوء القصد أيضاً - نذكر ما يأتي :

( أ ) لم يلتزم الإسلام في دعونه بمنطق الحوار الحر والافتناع العقل ، وإنما أكره الناس بقوة السيف على قبول مبادئه ، ولولا ذلك ما أتيج له شيء من الانتشار .

( ب ) كان نبي الإسلام رجلا مكبا على شرواته غارقا في لذاته ، وأقوى الأدلة على ذلك - أنه لم يكتف زوجة واحدة ولا حتى بأربع زوجات كما شرع لاتباعه وإنما جمع في عصمته بين أكثر من عشر زوجات في وقت واحد .

( ج ) مبدأ تعدد الزوجات في الإسلام ، وكذا مبدأ إباحة الطلاق عبث بكرامة المرأة واستمساك بعهد الحريم - فضلا عما في المبدأين من إطلاق العنان لشهوات الرجل ونزواته .

ولا تطيل بالالتسار في عرض هذه الدعاوى السخيفة التي لا تستند إلى حجة ولا تقوم على أي أساس غير أساس الكراهية المفسدة والحقد الشديد ، وليكتفنا نورد فقط الإشارة إلى بعض أمثلة هذه الحملات المسعورة :

فن ذلك - مقالات الكاتب الفرنسي ( هانوتو ) وهي مقالات اشتهر أمرها في مصر أوائل هذا القرن .

ومن ذلك أيضا - لقاءات المساومة بالشيخ ( رحمت الله الهندي ) حيث أوردوا إعتراضاتهم الآتية على الإسلام ، وقد لخس الشيخ ما دار في هذه اللقاءات في الصفحات الأخيرة من كتابه ( إظهار الحق ) .

ولا ننسى حملة القس ( باسيلوس إسحق ) في كتابه المسمى بالحق وقد سبق في الإشارة إلى شيء من إفزائه على الإسلام .

### ٣ - تهجين الجاهات الخارجة على الإسلام :

تعاقدت في العالم الإسلامي الحركات الهدامة التي تقوم بها جماعات طائفة .



تستمر بالإسلام وتدعو باسمه إلى مبادئ غريبة ليست من الإسلام في شيء ، بل  
إنها لتناقض صراحة تعاليم ومبادئه

فإذا ما ذهبنا نلتمس تمليلاً مقبولاً لظهور هذه الجماعات وتآلق دعواتها ولو  
في حين محدود من الأرض ولحين قصير من الزمان - فإن أقوى ما يطالغنا من  
ذلك سببان أساسيان :

السبب الأول - سوء معرفة المسلمين بدينهم وضعف صلتهم به الأمر الذي  
يفعل القربة المناسبة لزراعة الاتجاهات الشاذة والمبادئ الهدامة باسم الإسلام .

أما السبب الثاني - وهو الذي يهمنا هنا - فهو وقوف أعداء الإسلام من  
اليهود والنصارى وراء هذه الجماعات الضالة وتأبيدكم لها بكل ما تحتاج إليه من  
ألوان الدعم المادى والأدبى .

ونذكر من هذه الجماعات على سبيل المثال جماعتين لا يزال لها نشاطهما  
الخطير إلى اليوم وماتان الجماعتان هما :

( أ ) البهائية (١) .

( ب ) القديانية .

---

( ١ ) ظهرت هذه الفرقة أول الأمر في مدينة شيراز الإيرانية ، وتدين بأرائها  
لثلاثة شخصيات هامة هي :

( أ ) مرزى علي بن محمد بن رضا البراز الملقب بالبواب والمولود سنة ١٨١٩  
وقد قتل سنة ١٨٤٧

( ب ) الحسين بن الباب الملقب بالبهاء ومات سنة ١٨٩١

( ج ) عباس بن الحسين الملقب بعبد البهاء ومات سنة ١٩٢٢

( ١ ) البهائية :

اتجهت البهائية منذ بدايتها إلى طمس حقيقة الاسلام بتقرير مجموعة من المبادئ الفاسدة في مجالات العقيدة والشريعة والأخلاق .

فالإله يتجسد في أشخاص الانبياء ، بل وفي أشخاص أئمة البهائيين كذلك على نحو ما يقرره مذهب الحلول .

والغيبيات حقائق مرموزة ينبغي إستنباطها من وراء العبارات . فانفطار السماء هو نسخ الأديان السابقة ، والدجال - هو ( يحيى ) أخو البهاء ومنافسه بغير حق ، وتكوير الشمس وانكدار النجوم - هو لإضلال العلماء واحتجاب الحقائق الدينية بالآلومام ، وصحف الأعمال - هي الصحف السيارة ، والقيامة قيامتان صغرى وكبرى فالصغرى هي حلول الروح الإلهي في هيكل بشرى بظهور أحد الانبياء ، أما الكبرى فهي ظهور الباب بدعوته سنة ١٨٤٣ :

والمبادئ في البهائية وضع يختلف كثيراً عن وضعها في الاسلام .

فاصلاة - تسع ركعات في اليوم والليلة ، ونصاب الزكاة مائة مثقال من الذهب أو ما يساويها من الفضة وعلى من يملكها أن يخرج تسعة عشر مثقالاً ، والصوم تسعة عشر يوماً في العام ، والحج إلى قصر إمام البهائية في حياته وإلى قبره بعد وفاته ، وقد أوصى البهائية بهدم الكعبة وهدم جميع مزارات الانبياء والأولياء .

وتبيح للشريعة البهائية - أن يتزوج الرجل بنته أو أخته أو عمته أو خالته أو ما شاء من المحارم فيما عدا الأم ، والطلاق تسعة عشرة طلاقاً .

ومن اقترف ذنباً لا تقبل ثوابه إلا إذا هجر زوجته شهراً كاملاً ، والهرم تسعة عشر يوماً ، كما أن السنة تسعة عشر شهراً .

وكفارة الزنى - تسعة مثاقيل تدفع الى بيت العدل وهو أحد المنهآت البهائية .  
وتجيز البهائية الربا بلا تحديد أو تقيد .

الى آخر هذه المبادئ . المسرفة في الشطط والاضلال .

ويهمنا هنا - أن نشير إلى العلاقة بين هذه الجماعة وبين اليهود . وربما ظهر ذلك من ملاحظة إتفاق البهائية مع اليهودية في بعض المبادئ .

على أن البهائية قد فضحت نفسها وكشفت عن قوة هذه العلاقة وعمقها وذلك حين نادى ( عبد البهاء ) بضرورة التناف العالم كله حول دين واحد بهدف القضاء على الصراعات الدينية ، وقد اختار ( عبد البهاء ) اليهودية من بين جميع الأديان لتكون هي دين العالم كله .

بل إن ( عبد البهاء ) نفسه قد تنبأ بقيام الدولة اليهودية في فلسطين . فلما قامت دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ - همل البهائيون لذلك واعتبروه معجزة من معجزات ( عبد البهاء ) .

#### (ب) القديانية (١) :

ادعى القدياني النبوة ، وزعم أنه هو الذى بشر به المسيح فيما حكاه عنه القرآن حين قال : « ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » . وفسر القرآن تفسيراً غريباً يتفق مع دعواه الفاسدة .

من ذلك - تفسيره الخاتم في قوله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، بالربينة .

---

(١) تنسب القديانية إلى مؤسسها ( مرزى غلام أحمد ) الذى عاش في قديان التابعة لافانم ( بنجاب ) بالهند ، وقد ولد سنة ١٨٣٩ ومات سنة ١٩٠٨

فحمد لم نختم به الانبياء - إذ النبوات فضل من الله ، وبما أن فضل الله لا ينتهي فكذلك النبوات لا تنقطع من بنى آدم - وغاية ما يقال عن محمد هو أنه زينة الانبياء كما أن الخاتم زينة اليد وهذا هو ما تشير إليه الآية في اسم القدياني .

بل لقد ادعى القدياني أنه قد أوحى إليه بكتاب خير من القرآن وهو كتاب ( البيان ) .

وقد أبطل ذلك المأفون فريضة الجهاد وقرر ذلك أن الحج إنما هو إلى نديان لا إلى الكعبة .

وله كتب كثيرة ، كما استطاع أن يصدر عددا من الصحف والمجلات ، ونسب تعاليمه وتروج لمبادئه .

كذلك أنشأ عدة مراكز لنشر القديانية في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا ، والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : كيف استطاع القدياني بموارده المحدودة جداً أن يعول هذه الحركة الواسعة ويهيئ لها سبل الانتشار السريع على هذا النحو ؟

والجواب على هذا السؤال الهام في غاية اليسر ، فلقد كانت الحركة الإنجليزية - هي أكبر مصدر للتمويل اعتمدت عليه القديانية سواء في حياة القدياني أو بعد وفاته .

والقدياني نفسه لا يسمه إلا الاعتراف بهذه الحقيقة فيما ينشره من كتب ، وما يلقيه من خطب ، فهو يقول مثلاً : ( لقد ألقت عشرات من الكتب العربية والفارسية والارمنية أثبت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلاً ضد الحكومة الإنجليزية

( م ٢٤ - قصة الاديان )

التي أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن بطيح هذه الحكومة بكل إخلاص .

وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كبيرة ، أرسلتها إلى البلاد الإسلامية وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد - الهند - وقد كرن أنباعى جماعة تفيض قلوبهم لإخلاصاً لهذه الحكومة ، والنصح لها ) .

ومعنى ذلك - أن (إنجلترا) المسيحية هي التي إحتضنت القديانية وشجعتهها كما شجع اليهود والصهيونية العالمية الحركة البهائية ، فلا عجب أن سبيع القديانى بمحمد الانجليز - كما سبيع ( عبد البهاء ) بمحمد اليهود .

والغرض الاسامى لهذا التهجيب في الموقفين واحد وهو إضغاف المسلمين وتشويه معالم الإسلام .

#### ٤ - إزكاه العصبية الدينية ضد الإسلام :

بالرغم من تسامح الإسلام مع اليهود والنصارى ودعوتهم الدائمة إلى الرفق بهم والإحسان إليهم كما مر بيانها ، بالرغم من كل هذا - فإنهم بفتنمون كل فرصة سانحة لإثارة المهاصر الدينية ضد الإسلام وأبنائه ، وربما خلقوا هذه الفرصة لأن لم تكن موجودة بالفعل .

وكلنا يذكر أيضا أن الحروب الصليبية على الشرق الاسلامى التي استمرت أكثر من قرنين كان وراءها إحساس حاد بالعنصرية الدينية .

وكلنا يذكر - أن قيام دولة إسرائيل كان على أساس من العنصرية الدينية المتطرفة وأن تعامل هذه الدولة مع جيرانها ورعاياها من المسلمين قائم على هذا الأساس من التطرف الدينى .

وما يحدث في الفلبين من اضطهاد المسيحيين المسلمين وإبداؤهم لهم - مثل آخر لهذا القوم المتطرف بالتمصب الدينى .

بل إن بعض الأقليات المسيحية أو اليهودية في البلاد الإسلامية تحاول أن تكتل نفسها ضد الاسلام وتخطط للإيقاع به والقضاء عليه .

وفي مصر رغم التزام المسلمين بمقتضيات الوحدة الوطنية ومعاملتهم للأقلية المسيحية بماتليه عليهم تعاليم دينهم من الكرم وحسن المعاشرة - إلا أنه تحدث أحيانا من هذه الأقلية بعض التجاوزات التي لا تتفق مع هذه المعاملة الكريمة من قبل المسلمين .

وقد نقل الأستاذ ( محمد عبد اللطيف الخطيب ) مضمون خطاب ألقاه البابا ( شنودة ) في الكنييسة المرقسية الكبرى يكشف عن حقيقة المفاعر العدوانية تجاه المسلمين ، فقد أذاع البابا في هذا الخطاب ضرورة تحريم تحديد النسل على الأقباط وإذاعة حله بين جمهرة المسلمين - لأنه يريد أن يزداد عدد المسيحيين ، ويقل عدد المسلمين .

وطالب البابا في خطابه أيضا بأن تكون أهم ثمانى وزارات يملوها مسيحيون دون المسلمين ، وأن يكون للبابا مركز خاص في البروتوكول بعد رئيس الجمهورية مباشرة وقبل رئيس وزراء هذه الأمة المسلمة وأن يخصص للمسيحيين ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس ، وأن يكون لهم أيضا ربع المراكز القيادية المدنية : كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين ووكلاء الوزارات والمديرين العاملين ورؤساء مجالس المدن ، وأن يستقار البابا عند شغل هذه النسبة : في الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتمديد فيها .

وقد أعلن في ختام خطابه - أن أمامهم الأكبر هو عودة البلاد والأراضي إلى أصحابها من الفزاة المسلمين<sup>(١)</sup> .

ويذكر الأستاذ الخطيب - أن لديه نص الخطاب واسكنه يكتفى بعرض المضمون خفية الإطالة .

وبعد - فهذه هي أهم المحاور التي تدور بينها محاولات أهل الكتاب القضاء على الإسلام .

ولكن الله بفيض في كل عصر من يأخذون على ما تقدم كشف هذه المحاولات وحماية دينه عما يحاك له من شر ويراد به من نكر .

فالامرائيليات - بتصدى لها علماء أفذاذ ينهبون عايبا ويمحدون منها .

كما فعل المرحوم الدكتور ( الذهبي ) في كتابه الاسرائيليات في التفسير .

والمطاعن على الرغم من تماثلها وضعفها تجد من يرد عليها ويكشف زيفها كما فعل الشيخ ( رحمته الله ) في رده على القساوسة ، والشيخ ( محمد عبده ) في رده على ( هانوتو ) بكتاب سماه ( الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ) .

وكما فعل أيضا الشيخ ( محمد عبد الطيف الخطيب ) في رده على القس ( باسيلوس إسحق ) بكتابته المسمى ( هذا هو الحق ) .

والفرق الإسلامية العادلة يعلمو أمرها حيناً ، ثم لا يلبث أن يتحول إلى هبوط واضمحلال .

---

(١) هذا هو الحق ، ص ٢٨ ، ٢٩

أما العصبية الدينية التي يلجأ أقطاب اليهود والنصارى إلى إذكائها رغبة في الزعامة - فمجذوة لا تكاد تتقدم حتى يطفئها التسامح الإسلامي الذي يذكر بكلمة السيد المسيح : ( أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعينكم ، أحسنوا إلى مبغضكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ) .

ولكنه هنا - تسامح القادرين الشرفاء ، لا تسامح العاجزين الأذلاء .

وهذا التسامح الإسلامي الرائع - تنقشع اليوم الهداكنة ، والدوب الفتن العمياء . وتخفق رايات الأخوة من جديد .

وما كان أصدق قول الحق في كتابه العزيز :

« إُدْفِعْ بِالْعَنَى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (١) .

وتمضي المحاولات الحاقدة ، ولكن دين الله طرد راسخ لا تنال منه صروف الليالي وأحداث الزمان ، ونور ساطع لا يحجب به غبار الباطل ولا يطفئه نفخ الأفواه .

وسيق النور ساطعا حتى يبدد كل ظلمة، وسيق الطود راسخا حتى تنحطم عليه معاول الحق وتدمى أكف الحاقدين ،

لقد وعد الله - ومن أصدق من الله وعدا - لو كانوا يقولون ؟

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢) .

---

(١) سورة فصلت ، ٢٤

(٢) سورة الحجر ، آية ٩



« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، (١) .

## المراجع

١ - القرآن الكريم .

العهد القديم

٢ - التوراة .

٣ - مجموعة أخرى من أسفار العهد القديم .

العهد الجديد

٤ - إنجيل متى .

٥ - إنجيل مرقس .

٦ - إنجيل لوقا .

٧ - إنجيل يوحنا .

٨ - رسائل بولس .

٩ - الرسائل الكاثوليكية .

١٠ - سفر أعمال الرسل ، لوقا .

١١ - سفر الرؤيا ، يوحنا ،

الكتور إبراهيم بسيوني

١٢ - نهضة التصوف الإسلامي ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٩ .

أحمد أمين بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود

١٣ - قصة الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، السلطة

أبو الحصن أحمد بن الحسين الزيدى

١٤ - إثبات نبوة النبى ( ﷺ ) .

مكتبة خليل أحمد إبراهيم الحاج ، دار التراث العربى للطباعة والنشر  
بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٧٩ .

الدكتور أحمد شلبى

١٥ - اليهودية .

مكتبة النهضة المصرية ، ٩ شارع عدلى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .

١٦ - المسيحية .

النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣ .

١٧ - أديان الهند الكبرى .

النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ .

الدكتور أحمد عبد القادر الجبال

١٨ - دراسات فى النظم الاجتماعية والسياسية .

النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٦ .

البيرونى - محمد بن أحمد أبو الريحان

١٩ - الفلسفة الهندية .

راجعته وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود ، عثمان عبد المنعم يوسف .

ابن حزم الاندلسى

٢٠ - الفصل فى الملل والامواء والنحل .

مكتبة محمد على صبيح وأولاده ، ميدان الازهر بالقاهرة ، ١٩٥٤ .

الدكتور حسن خاذا وآخرون

٢١ - الصهيونية العالمية وإسرائيل .

الهيئة العامة للمكتب والأجهزة العلمية سنة ٢٩٧١ .

الدكتور رؤوف شلبى

٢٢ - المسيحية الرابعة .

مكتبة الأزهر ، ١٣٠ شارع جوهر القناذ بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٩

الشيخ رحمت الله بن خليل الهندى

٢٣ - إظهار الحق .

تقديم وتحقيق وتعليق - الدكتور أحمد حجازى السقا . دار التراث العربى للطباعة والنشر ، ميدان المشهد الحسينى بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ابن رشد

٢٤ - توافيق التوافيق .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ذخائر العرب .

الرمخسرى

٢٥ - الكشف عن حقائق التنزيل وحيون التأويل في وجوه التأويل .

مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بالقاهرة .

سعيد حوى

٢٦ - الرسول ﷺ ، الجزء الأول .

مكتبة وهبه ، ١٣ شارع الجمهورية ببابدين القاهرة .

سبينوزا

٢٧ - رسالة في اللاهوت والسياسة .

ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفي ، مراجعة الدكتور فزاد زكريا ،  
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . سنة ١٩٧١ .

الهدرستانى

٢٨ - الملل والنحل .

تخريج محمد بن فتح الله بدران . مكتبة الانجلو المصرية ، ١٦٥ شارع محمد  
فريد بالقاهرة ، الطبعة الثانية .

شوقي عبد الناصر

٢٩ - بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود .  
دار التعاون للطبع والنشر .

عباس العقاد

٣٠ - الله .

دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٦٩ .

٣١ - حياة المسيح في التاريخ وكهوف العصر الحديث .  
دار الهلال .

٣٢ - مبقرية المسيح .

دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢

عبد الله حنين

٣٣ - المسألة اليهودية بين الأمم الغربية والأجنبية

مطبعة أبو الهول ، ١ درب العنبر ، شارع محمد علي بالقاهرة

الدكتور علي عبد الواحد وافي

٣٤ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام

دار نهضة مصر للطبع والنشر ؛ الفجالة بالقاهرة سنة ١٩٧١

القرطبي — محمد بن أحمد الانصاري

٣٥ - التفسير الجامع لأحكام القرآن

دار الهمد .

ابن كثير — الحافظ عماد الدين

٣٦ - تفسير القرآن العظيم .

دار الفكر العربي ببغروت .

الشيخ محمد أبو زهرة

٣٧ - مقارنات الأديان القديمة .

دار الفكر العربي ١٩٦٥ .

الدكتور محمد أبو النبط الفرت

٣٨ - بولس والمسيحية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠

الدكتور محمد جابر عبد المال الحيني

٣٩ - في العقائد والأديان .

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١

الشيخ محمد الحضري

٤٠ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين

المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الرابعة والمعكرون سنة ١٩٦٩

محمد خليفه التونسي

٤١ - الخطر اليهودي برونو كولت حكام صهيون

تقويم عباس محمود العقاد .

دار الكتاب العربي ببغروت ؛ الطبعة الرابعة .

الدكتور محمد خليل هراس

٤٢ - فصل المقال في رفع عيسى عليه السلام حيا وفي نزوله وقتله الدجال .

الطبعة الاولى ١٩٦٩

محمد رشيد رضا

٤٣ - تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار

دار المنار ، شارح درب الجماهير بالقاهرة ، ١٢٢٤

محمد عبد العليخ الخطيب

٤٤ - هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة

المكتبة المصرية ، سوق الاوقاف بأرض شريف بالقاهرة ، الطبعة الثانية

١٩٧٩

الدكتور محمد غلاب

٤٥ - الفلسفة الإغريقية

الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية

محمد مهدي مرجان

٤٦ - الله واحد أم ثالث .

دار النهضة العربية ، ٤٤ شارع عبد الحفيظ ثروت بالقاهرة ، ١٩٧٢

الدكتور محمود محمد مروة

٤٧ - دراسات في الملل والنحل ، ١١٧١

والر

٤٨ - معالم تاريخ الإنسانية

ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .





تصويب

الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصويب
٢٢	٩	ومن هنا نعلم جريان	ومن هنا نعلم سر جريان
٢٨	١٧	أربعة من الذنوة	أربعاً من الذنوة
٣١	١	لذلكم	لذلك
٤٧	٣	(أسفاراً أخبار الأيام) (سفر عزرا)	(سفر أخبار الأيام) (أسفار عزرا)
٥١	١٨	فقد استطاعت	وقد استطاعت
٧٥	١٢	مسارح هزيلة	مسارح هزيلة
٨٤	١٣	مرجج	مع
٩٨	٢	تألفت	ألفت
١٢٢	٢	فليس له ابن يسند رأسه	فليس له ، أين يسند رأسه ؟
١٢٦	١٥	التوفيق بينهما	التوفيق بينهما .
١٧٦	١٣	الباب أما فهو يقول	باب البحث في الدين تماماً فهو يقول
١٧٩	٥	الدهريين	الدهريون
١٩٢	٥	مناقضة بيانه	مناقضة بينانه
٢٠٦	٨	الانجليزى المعروف على	الانجليزى المعروف ولهم شكسبير دلي
٢٧٤	١٥	فأحدهما	أحدهما
٢٧٦	١٤	عليه السلام على وفق	عليه السلام إلى الطوفان على وفق
٢٨٥	١٧	المصريات	المصرية
٢٩٦	١٩	المعادة	السعادة
٣٠٢	٦	أعظم بين	أعظم الفرق بين
٣٠٧	١١	حاشا لأحد	حاشى لأحد
٣٠٨	١٣	أكات	أكات
٣١٢	٩	من معونة	من معونة
٣٦٢	٢	الممانعة	المصانة

## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٩	في الشريعة	٣	١ - المقدمة
١٩	الزواج ونظام الأسرة		الفصل الأول
١٣	في الجنايات والحدود		(أ) هل الإنسان في حاجة
٨٦	العبادات والقرابين		إلى الدين ؟
٨٩	المواسم والأعياد	٦	أولاً : على المستوى الفردي
	الفصل الثالث	١٢	ثانياً : على المستوى الإجتماعي
١٠٢	بين عهدين		٢ - بين الأديان السماوية
	المبحث الأول	١٧	والأديان الوضعية
١٠٤	في الديانات الوضعية	١٩	٣ - نظرة في الأديان السماوية
١٠٥	الرحمية		الفصل الثاني
١٠٩	اليهودية		المبحث الأول
	المبحث الثالث		التعريف باليهود
١٢٢	في النزعات الفكرية	٢٨	١ في التاريخ القديم
١٢٢	للفيشاغورية	٢٨	٢ - الفرق اليهودية
١٢٣	الرواقية	٣٤	٣ - مصادر الفكر اليهودي
١٢٦	الابيةورية	٤٠	أولاً : أسفار العهد القديم
	الفصل الرابع	٤٩	ثانياً : التلمود
	المسيحية		ثالثاً : برونوكولات حكماء
	المبحث الأول		صهيون
١٣٠	نظرة عامة	٥٠	المبحث الثاني
١٣٠	عصر المسيح		في العقيدة
١٣٨	حياة المسيح	٥٧	أولاً : الألوهية
١٤٥	الفرق المسيحية	٦٠	ثانياً : النبوات
١٥٣	العهد الجديد	٧١	المبحث الثالث
١٥٤	المبحث الثاني		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٣٩	الإسلام	١٥٧	شريعة الحب
٢٤٥	أولاً : في العهد القديم		المبحث الثالث
٢٦١	ثانياً : في العهد الجديد	١٦٣	مسيحية بولس
	المبحث الثاني	١٧٠	تمقيب
٢٧١	قضية التحريف		الفصل الخامس
٢٧٤	أولاً : في العهد القديم	١٧٧	الإسلام
٢٨٦	ثانياً : في العهد الجديد		المبحث الأول
	المبحث الثالث	١٧٩	الطوائف غير الكتابية
٢٩٤	مقالات للمقارنة	١٧٩	١ - المهر يون
٢٩٩	أولاً : الإسلام واليهودية	١٨٠	٢ - الوثنيون
٢٩٩	١ - في مجال العقيدة	١٨٥	٣ - الحنفاء
٣١٢	٢ - في مجال الشريعة		المبحث الثاني
٣٢٧	٣ - في مجال الاخلاق	١٨٨	أهل الكتاب
٣٣١	ثانياً : الإسلام والمسيحية	١٨٨	١ - اليهود
٣٣٢	١ - في مجال العقيدة	٢٠٣	تمقيب
٢٤٨	٢ - في مجال الشريعة	٢٠٧	٢ - النصارى
٣٥٤	٣ - في مجال الاخلاق	٢٢٩	تمقيب
	خاتمة		الفصل السادس
٣٦١	لن يطغفوا النور	٢٢٧	الدين الحق
٢٧٥	المراجع		المبحث الأول
٣٨٢	تصويب		تبشير الكتب السابقة بنبي

رقم الابداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٣٤٢

دار المطبوعات الدولية  
٧ شارع الصبيان - ميدان الجيش